٤١٤٤

التاريخ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٤١٤٤ ف ١/٨٥٠

العنوان: المنح المكية في شرح الهمزية

المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي

تاريخ النسخ: الثاني عشر الهجري

اسم الناسخ:

عدد الأوراق: ١٩٩ ق ٢١×١٥ سم

ملاحظات: ٨١١٠

٢٠٢

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

٥ر١١٨
م٠٢ ح

(المنح المكية في شرح الهمزية) ، تأليف أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، السعدي ، الأنصاري ، شهاب الدين ، شيخ الاسلام ، أبي العباس (٩٠٩-٩٧٤هـ) ،
٤١٤٤ كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا .
١٩٩ ق ٢٣ س ١٥ × ٢١ سم
نسخة حسنة ، ناقصة الأول والآخر وباثنائها خروم ، أبيات القصيدة بالحمرة ، خطها نسخ ممتاز ، طبع .
الأعلام ١ : ٢٢٣ ، كشف الظنون ٢ : ١٣٤٩
١ - الشعر ، العصر التركي والمملوكي ، أدب اللغة العربية أ - ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد - ٩٧٤هـ
(التكملة في البطاقة ٢ )

(المنح المكية في شرح الهمزية) ، تأليف أحمد بن محمد ...
كتب في القرن الـ ١٢ هـ تقديرا . (البطاقة الثانية)

ب - تاريخ النسخ ج - شرح الهمزية د - شرح
٤١٤٤ أم القرى في مدح خير الورى هـ - أفضل القرى لقراء أم القرى .

Copyright © King Saud University

جامعة الرياض قسم المخطوطات

وعمامة تظله اذا وقف وقف واذا سار سار ولما بلغ ثمان عشرة
سنة سافر الى الشام مرة اخرى لتجارة على ما ورد لكن بسند
ضعيف وفيه ان ابا بكر كان معه وان بحيرا قال لهذا والله نبي
وان ذلك سبب ايمان ابي بكر به لما ثبت فيما غيره ثم خرج وله بعث صو
خمس وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه
غلامها ميسرة فراى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس
وكذا رات خديجة ذلك لما اقبلوا وهي في علية لها وفي هذه السنة
تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها اربعين سنة
ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تهدم السيول بلغ
الكعبة لتشعثها فامروا باقوم النجار القبطي مولى احدهم ان
يبنيها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم معهم م
الحجارة ثم لما تقارب بعثه صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك احبار
اليهود ورهبان النصارى لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان
العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السما فتسترق السمع
وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السما لكن كانت العرب لا تلتفت
لذلك بالا فلما دنا مبعثه صلى الله عليه وسلم حجبت الشياطين
عن السمع كما قال **بعث** اي ارسل **الله** علم على الذات الواجب الوجود بلغ
المستحق لجميع المحامد من الخلق لذاته **عند** بتثليث العين اي قرب
**مبعثه** اي زمن بعثه صلى الله عليه وسلم اي ارساله الى الخلق
كلهم كما قال في خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة وبين بعث
ومبعث جناس الاشتقاق **الشهب** على الشياطين الذين
يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة
كما في الحديث ثم يلقيها للكاهن وهي جمع شهاب وهو شعلة نار

بعث الله عند مبعثه الشهب حرسا وضاق عنها الفضا

تحرق الشيطان المسترق للسمع او تخبله **حرسًا** اما جمع حارس على
غير قياس كقايم وقيام هو حال او مصدر اي لاجل الحراسة لشريعته
صلى الله عليه وسلم التي سيأتي لها من الشياطين اذ يخلطوا لها
ما يلبس منها وهو للمبالغة والتاكيد لانه معلوم من قوله تطرد
لخ ففيه التتميم كعلى حبه من ويطعمون الطعام على حبه
ولكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي السما **ضاق عنا**
**الفضا** اي المفازات الواسعة فلم يبق يجدونه حتى يستتر فوانه محله
السمع منه ويبن ضاق والفضا الطباق **تطرد** حال من الشهب
اوصفة له كما في قول ولقد امر على اللئيم يسبني لكن ظاهر بعضهم
المقام يرجح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة **الجن** وهم
انهم اجسام نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة
**عن مقاعد** امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها **السمع**
اي يسمعون شيا من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض
من الاقضية والمغيبات اما لكون ربهم يلقيه عليهم
ليكتبوه فيتلقونه منه اوان بعضهم ينسخه من كتب البعض
الاخر زيادة في الاعتنا والظهور للملايكة واصل هذا قوله
تعالى قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع الان
يجد له شهابا رصدًا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فامنوا
ثم ولوا الى قومهم منذرين قايلين ما حكاه الله عنهم اواخر سورة
الاحقاف ويوافق هذا ما رواه اهل السير انه لما حيل بينهم وبين
خبر السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق
الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فسلكوا
وولوا الى قومهم منذرين فخرجت طايفة منهم من جن نصيبين

باليمن

اليمن قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة قرية
على ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرا فاستمعوا
له ثم قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فاسلموا
وولوا الى قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل اوحي الى الايات
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية قال الحافظ ابن كثير
ذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى اهل الطايف
يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرا
تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اي مدينة بالشام انتهى
وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه
نظر فان استماعهم انما كان في ابتدا الوحي كما يدل له حديث
ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون
الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما
زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث
صلى الله عليه وسلم كان لا ياتي احدهم مقعده الا رمي بشهاب
يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا
لامر عظيم قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه
وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث
الذي حدث في الارض ورواه النساي وصححه الترمذي
قال ابن كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطايف
فانما كان بعد موت عمه ابي طالب وروى ابن ابي شيبة عن
ابن مسعود انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة
مكة يقرا القران فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فهذا مع رواية ابن

عباس تقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في
هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد
ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذي
آذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم
سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم
اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه رد على من
زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل
ان ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطايف انما كان بعد موت
عمه ابي طالب سنة عشر من البعثة ثم موت خديجة
بعده بثلاثة ايام او خمسة ثم تزوجه سودة بعد ايام
فكان خروجه الى الطايف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر
في شوال لما نال من قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة
فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم يجيبوه واغروا به
سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا عقبيه
بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته
الحجارة قعد الى الارض فياخذ ولم يعضديه فيقيمونه فاذا
مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى
لقد شج في راسه شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد ما لقيه
يوم احد وان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه حينئذ
ومعه ملك الجبال ليامره في قومه بما شاء فقال صلى الله
عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
لا يشرك به شيئا وجا عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون
عن السموات وكانوا يدخلونها وياتون باخبارها فيلقون على

الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث
السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي
بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله
ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل
الناس في البراري قال الايمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء
امره صلى الله عليه وسلم تاسيسا لنبوته صلى الله عليه
وسلم نعم جاء عن معمر انه قال للزهري اكان يرمى بالنجوم
في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث
صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة
مثله بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وعلم من قول ابن عباس
شعلة نار ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي ينفصل
عنه نار وقيل ينفصل ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب
لاوليك الشياطين طرد باغ جد كما موصولة او مصدرية
تطرد الذباب جمع ذيب بالهمز وقد يخفف وتشبيه شياطين
الجن بالذياب صرح به الحديث الصحيح الرعا بضم اوله وكسره
للغنم اذا ارادت العدو عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن
عن خبر السماء محت اية الكهانة مفعول مقدم وهي بالفتح
مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اي مخبرا بالامور الخفية
والمغيبات المستقبلة اي علامتها وهي ما كانت تاتي به الكهان
وتذكره من المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين بواسطة

مصدر كهن

فمحت آية الكهانة آيا ت من الوحي ما لهن امحاء

اشتراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القاء اليهم مع ما يضمونه
اليه من الكذب كما مر ايات من جملة الوحي وهو الكتابة
والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكذلك كان الوحي
الاتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام الرؤية الصادقة فكان
صلى الله وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح مما يلقيه الملك
الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان روح
القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله
واجملوا في الطلب تمثيل الملك له رجلا فيخاطبه وصح انه كان ياتيه
في صورة دحية اي لانه كان جميلا جدا اذا اقدم للتجارة خرجت الظعن
لتراه وتشكل جبريل عليه السلام مع عظم صورته وان لها ستمائة
جناح تسد الافق في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية
تقبل الانضمام حتى تصغر القشرة جدا كما ان القطن يقبل الانكباس
فتصير القشرة الكبيرة منه صغيرة وهذا اولى من قول بعضهم ان
صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة اخرى له
وروحه متعلقة بهما اي كما في الابدال الذين تتعدد صورهم في
الوجود وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط باي صورة اراد
الانسان ياتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليه ولذا
كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكانت راسه على فخذ
زيد بن ثابت فكادت ترض من شدة الثقل حتى انه يقول لا امشي
بعد اليوم على رجلي ابدا ياتيه على صورته الاصلية ووقع
له ذلك مرتين كما في سورة النجم كلام الله له بلا واسطة كموسى
ولخص بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا صلى الله
عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى وصح عن

الشعبي



الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين
ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقران ثم
وصف ايات الوحي بانهن ما لهن امحاء من محى يمحو ويمحى ويمحا
كذا ذكره بعضهم وعبارة القاموس محاه يمحوه ويمحاه اذهب
اثره وامحى كادعى والمحو السواد في القمر انتهت ملخصة والمعنى
هنا ما لهن ذهاب ولا تغيير كيف وقد تكفل الله لهذه الشريعة
الغراء بانها باقية على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى صلى الله عليه
وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة
الذين اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم بانهم لا يزالون
قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله اي ريح لينة
تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله
الله فتقوم الساعة وبين محت وامحاء جناس الاشتقاق
ثم ذكر قصة زواجه صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي
الله عنها ولو قدمها كما فعلت لتوافق الواقع لا لتطابق قوله
بعث الله الخ لكان اولى فقال وراته اي علمته وابصرته لما
سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر امهات المؤمنين
خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب
وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر ومن الحال
التقى هو البراءة من كل شيء سوى الله وهذا غايته ومبداه
اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يتفاوت في التقوى
وصح خبر انا اتقاكم واعلمكم بالله انا وخبر اني لاعلمكم بالله
واشدكم له خشية والزهد هو اخذ قدر الكفاية مما يتيقن
حله وترك الزائد على ذلك لله وقد صح خبر ما شبع ال

ابن قصي صح

بلغ مقابلة

محمد من طعام ايام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم
يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشا
وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رايت
نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من
الدقل اي بتحريك اردا التمر ما يملا بطنه وخبر انه كان يمضي
الشهران ولا توقد في ابياته صلى الله عليه وسلم نار
وانما طعامهم التمر وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات
ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير
اخذها صلى الله عليه وسلم قوتا لاهله فيه كل منهما سجية
بالشين المهملة اي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن
الخلق غريزة او مكتسبا يتعين ان يكون محله في غيره صلى
الله عليه وسلم وتمسك من قال بانه غريزة بالحديث
الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والتحقيق
ان اصول الاخلاق غرائز وملكات في نوع الانسان وانما
التفاوت في ثمراتها وهذا هو الذي به التكليف لان الغريزي
لا تكليف به لانه ليس في الطاقة نعم من فيه غريزة
منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيومر
بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوى وفي غير المحمود حتى يصير محمودا
وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك
لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان في
او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين
يحبهما فترديد السوال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق الجبلي
والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما

حسنت

حسنت خلقي بفتح اوله فحسن خلقي وكان يقول في دعا الافتتاح
واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما
اجتمع في نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال
الجلال والجمال ما لا يحيط به حد اثنى الله تعالى عليه في كتابه
العزيز فقال مؤكدا لذلك بذكر على الاستعلائية وانك لعلى
خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على الجميل ووصف
بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكريم لان خلقه صلى الله عليه
وسلم لم يقتصر على الكرم المقتضي للسماحة والدماثة بل يعم
صفتي الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمومنين شديدا غليظا
على غيرهم والحياء فيه سجية ايضا على اكمل غاية بانه ففي البخاري
من حديث ابي سعيد كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من
العذراء اي البكر في خدرها وقيد به لان حياها فيه اشد لانها
مظنة ان يظفر منها طامع بدخل عليها فيه بشي بخلافها بحضرة
الناس والحيا بالمد لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف
ما يعاب به من الحياة ولذلك سمي المطر حيا لكنه مقصور وشرعا
خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنع التقصير في حق ذي
حق ومن ثم صح انه لا ياتي الا بخير وانه من الايمان وجعل منه
وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى
قصد واكتساب وعلم واتاها الخير بكر امتين عظيمتين
وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ومنها ان الغمامة
وهي السحابة والسرح وهو كما في القاموس شجر عظام او كل
شجر لا شوك فيه او كل شجر طال انتهى وقضية سياق القصة
الاتية ان المراد هنا الاول او الثالث واما الثاني فلم ار ما يدل

واتاها ان الغمامة والسرح الظل منهما ثلاثة

له اظلته منهما لما مال من قوله افيا جمع فيء وهو ما بعد الزوال
من الظل من فاء رجع لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم
بين الظل والفيء بان الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسختها وبه
ذكرها تين الايتين قبل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب
وحاصلهما مع بعض زيادة انها ارسلته في تجارة لها ومعه
عبدها ميسرة الجبصري فنزل تحت ظل شجرة فاظلته فقال
راهب ما نزل تحتها الا نبي وسال ميسرة افي عينه حمرة
قال نعم لا تفارقه فقال الراهب هو اخر الانبيا ليتني ادركه
اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه في بيع وهو بسوق بصرى
احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال خصمه
لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه هو الذي تجد احبارنا
منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة يرى ملكين يظلانه
في الهاجرة ورات خديجة ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم
وهي في علية لها فارته نساء عندها فعجبن من ذلك فلما
جا ميسرة اخبرته بما رات فاخبرها بجميع ما راه منه وبقول
الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط تنبيه
ورد في تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها
ما رواه جماعة وهو على شرط الصحيح الا ان في روايته
غرابة ان ابا طالب خرج به الى الشام في اشياخ من قريش
فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى
اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين فقالوا له وما علمك قال انكم حين اشرفتم من الثنية
لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبي واني

اعرفه

اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع
لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم في رعية
الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله فلما دنا الى
القوم وجدهم قد سبقوا الى الشجرة فلما جلس صلى الله عليه
وسلم مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة
مال اليه الحديث رواه ابو موسى الاشعري وهو اما ان يكون
تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض
كبار الصحابة او كان مشهورا اخذه بطريق الاستفاضة
وروى ابن اسحق معضلا والبيهقي في الدلايل موصولا انهم
لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا
لانه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة
تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر
الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصانها اي
مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
استظل تحتها القصة وورد ان حليمة رات غمامة تظله
وهو عندها وورد ذلك عن احد من الرضاعة واشار غير
واحد الى ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل
النبوة ارهاصا وتاسيسا لنبوته صلى الله عليه وسلم كما ياتي
ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضي الله عنه اظله
صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة في الهجرة لما اصابته
الشمس فظلل عليه بردايه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه
بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل به مرة اخرى وهو بالجعرانة وانهم
كانوا في اسفارهم اذا اتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى

واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما احسن ان يبلغ المنى الاذكياء

الله عليه وسلم وسياتي في شرح قوله واذا امشى محى نوره الظلم الخ
مسالة تتعلق بذلك واتاها ايضا احاديث الاحبار والرهبان
والكهان ان اي بان وعد رسول الله مصدر مضاف
للمفعول اي وعد الله له وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا في الخير
بالبعث اي الارسال الى الخلق كافة حان اي قرب منه اي من رسول
الله وهو متعلق بقوله الوفا اي قرب وفا الله سبحانه وتعالى
بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسبب
ما راته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة عقل على ان
يغسل قدميه ويشرب ما غسلهما دعته اي خطبته الى الزواج
اي الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمي
اني قد رغبت في نكاحك لقرابتك وعرفته منك وكان سنها
حينئذ كان اربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان
خمسا وعشرين على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله
برجلين وما احسن هذه احدى صيغتي التعجب ما مصدرية
فتؤول مع يبلغ بمصدر منصوب المحل على التعجب المنى
اي الاماني جمع امنية وهي ما يتمناه الانسان الاذكيا جمع
ذكي كغني والذكا بالمد حدة القلب وسرعة تيقظه اي شيء عظيم
حسن بلوغ الاذكيا كل ما يتمنونه ومنهم بل من اكملهم خديجة
رضي الله عنها فانها ادركت بقوة ذكائها ونفيس نفسها فيه صلى الله
عليه وسلم منه وبه كلما تمنته واملته مما لم تبلغه امراة من هذه
الامة اذ هي على الاصح افضل امهات المومنين رضي الله عنهن
وهذا من انواع البديع المسمى بارسال المثل وهو ان يذكر الشاعر
في بعض بيت ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة او نحو ما كقول

ابي

قوله لا تكلفه بحذف احدى التائين والاصل لا تتكلفه

ابي الطيب • لان حلمك حلم لا تكلفه • ليس التكحل في العينين كالكحل
وهو كثير في كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه
وسلم ذكر ذلك لاعمامه صلى الله عليه وسلم فخرج معه حمزة حتى
دخل على ابيها خويلد فخطبها اليه صلى الله عليه وسلم فاجاب
فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وحضر
ابو بكر رضي الله عنه ورؤسا مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله
الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ
اي معدن ومعدن اصل معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته اي الكافلين له وسواس حرمه اي المتولين لامره وجعل لنا
بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن
اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به وان كان
في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم
قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق
ما عاجله واجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم
وخطر جليل فزوجها ابوها منه وذكر الدولابي وغيره انه
صلى الله عليه وسلم اصدقها ثنتي عشرة اوقية ذهبا ونصف
اوقية قالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك اربعين درهما ومما يدل
على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه اتاه بعد النبوة والرسالة
في بيتها جبريل كعند بيب لغة في جبريل ليلقي اليه ما امر به
من الوحي وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت
ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام
في قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا تريد هذه المرتبة العلية
ولذي اي صاحب اللب اي العقل الكامل وخديجة رضي الله

واتاها ان ببيتها جبريل ولذي اللب في الامور ارتياء

عنها من اكمل اولي الالباب واذكاهم في الامور اي الاحوال التي قد
تشتبه ارتيا اي استبصارا من ارتيابه اي نظر بالعين او القلب
كما في القاموس وفراسة خديجة يقتضي لها على تلك الامور بتمييز
حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية
المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لا بد لها من نكتة
وهي هنا الاشارة الى ان كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا
امر كلي جار مجرى المثل والحكمة فهو من ارسال المثل فـ بسبب
تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل اماطت ازالت عنها عن
راسها الخمار وهو ما يخمر اي يغطي به الراس لتدري اي لكي تعلم عين
اليقين اهو اي هذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى اخرجه
عن حالته المالوفة منه الوحي اي حامله وامينه الذي كان ياتي
به الانبيا قبله اقسامه ام هي معادلة الهمزة المطلوب بها وبام
التعيين ولها قسم ثان وهي اذ تقع بعد همزة التسوية وسميت
فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام في الاولى
والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها
لا يستغني باحدهما عن الاخر ويقابلها المنقطعة وهي ثلاثة
اقسام مبسوطة في محلها هو الاغما الذي هو من بعض
الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
دون الجنون فـ بسبب ازالتها الخمار عن راسها اختفى عند كشفها
الراس مفعول كشف المضاف لفاعله جبريل فما عادا او اعيد
الغطا اي الى ان اعادت غطا راسها فاعيد ماض مبني للمفعول
والغطا نائب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال واعيد
منصوب بان مضمرة بعد او التي يصلح موضعها حتى والغطاء

فاماطت عنها الخمار لتدري اهو الوحي ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الراس جبريل فما عاد او اعيد الغطاء

فاعل



فاعل اعيد وهو سهو عجيب لما تقرر انه ماض الخ وكان هذا الوهم
سرى اليه مما يصرح به كلام النحاة ان او بمعنى العاطفة التي بمعنى
الى ان لا تدخل الا على مضارع كما في حتى الغائية المرادفة لاو المذكورة
كما صرحوا به وحينئذ فاضطره ذلك الى ما ذكره غفلة عن ان
اعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه
يعاد ويذكر لما اشرت اليه وامّا كونه يبقي اعيد على حاله
ويجعله منصوبا ونحوه فهو جلي الفساد لا يقال هو ماض لفظا
مستقبل معنى فليجوز دخول او الناصبة عليه كما صرحوا به
في حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل
مستقبلا او ماضيا في حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة
فهذا يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل
بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم او ماضيا في حكم المستقبل
ان لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض وكان قضية القياس
ان لا تدخل عليه حتى الغائية فاجابوا بان ما فيه من المضي
مؤول بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما لفظه ماض
فلا تدخل عليه الغائية اصلا فان قلت كيف هذا مع قوله
تعالى حتى اتاهم نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفي البخاري
حتى جاءه الحق وهو في غار حرا قلت حتى هنا ابتدائية
لا غائية واو الناصبة انما تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد
صرح بذلك الايمة وخصه الجلال السيوطي في شرح جمع الجوامع
له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها الجملتان
الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرية بشرط واما زعم ابن
مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضي باضمار ان بعدها

على تاويل المصدر نغلطه ابو حيان وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف
له سلفا في ذلك وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة ورد وازعمه في ذلك صح
هو الاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا في موضع جر بها بانه
خلاف ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا في موضع نصب
بشرطها اوجوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابط
حتى انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرور او مضارع منصوب
فحرف جر او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف او جملة اي ماضوية
فحرف ابتدا ولا محل لهذه الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى ان في صح
كل جملة ماضوية تدخل عليها حتى في القران اوغيره تكون حتى
حينئذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى
لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير ما لا حاجة اليه واذا تقرر ان
حتى الغائية لا تدخل على الماضي فاو التي بمعناها اولى فان قلت
لم قست او على حتى الغائية في منع دخولها على الماضي ولم تقسها
على الى ان او الا ان اللذين بمعناها قلت اما كونها بمعنى
الا ان فهو ما ذكره ابن مالك وقد رد عليه حتى ولده ومن ثم قال
ابو حيان فذا غنا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لا
تدخل على الماضي الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل او قد كما
هو مقرر في محله واما كونها بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع
دخولها على الماضي لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى
موجود في الى ان بطريق الاصالة فليمتنع دخولها على الماضي
بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر ان او
بمعنى الى ان وهي تدخل على الماضي كما في الحديث قام الى ان تورمت
قدماه فليكن او كذلك قلت هذا اشتباه لان ان

المتضمنة

المتضمنة او هي الناصبة وهي خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول
او المتضمنة لها على الماضي واما الملفوظ بها بعد الى فهي التي ان صح
لا يتصور لها عمل وهي تدخل على الماضي فلا جامع بين هذه وتلك
فان قلت بعضهم يقدر او بالى ان وبعضهم يقدرها بالى
فقط وهذا يدل على ان لا نظر اليها قلت لا يدل
لذلك بوجه وانما سبب ذلك انهم في ناصب المضارع الداخل اختلفوا صح
عليه او فالاصح انه مقدرة بعدها وقال قوم هي الناصبة ان صح
نفسها فعلى الاول تقدر بالى ان وعلى الثاني بالى فقط فان
قلت قد ادخل الناظم او على الماضي في موضع من البردة
وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه في ذلك
ايضا واما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك نظرا للمعنى
او انهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم الدال على او الغائية أن صح
لا تدخل على الماضي ثم رايت شارحها العلامة ابن مرزوق نبه
لما ذكرته فقال في او خلت البطاح لها ان او هنا عاطفة ثم
جعلها بمعنى الواو او بل او انها على حالها للشك او التخيير
وتكلف بيان ذلك ولم يعرج على انها او الغائية بوجه وليس
ذلك الا امتناع دخولها على الماضي والا كان معنى الغائية
في البيت اقرب مما تكلفه ولا يتاتى نظير ما تكلفه هنا بوجه
والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا
لاو الا قسمين عاطفة وناصبة وهي الغائية فالعاطفة
امرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن
اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها على الماضي ولا تكون للعطف
فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع

تأملا ذلك كله فانه نفيس مهم غفل عنه الناظم وغيره فاستبانت
خديجة قيل صرفها للضرورة ويرد بانه انما صرفه وان كان الوزن
صحيحا مع عدم الصرف ليسلم من قبح زحاف الشكل وهو اجتماع
الكف والخبن لان مستفعلن تحذف سينه فيسمى خبنا كما مر
وهو على انفراده غير قبيح ويدخله مع ذلك الكف وهو حذف صحيح
حركة السابع وهو النون فيصير مفتعل وهذا هو الشكل
القبيح الذي هو اجتماع هذين وان كان الاول وحده حسنا
والثاني وحده صالحا وهو من العجايب اذ اجتماع الحسن والصالح
يصير قبيحا عندهم اي ظهر لها اتم الظهور لا انها علمت من ابن
عمها ورقة ابن نوفل الاتي او من غيره ان جبريل لا ياتي محلا
فيه امراة مكشوفة الراس انه اي ما يعرض للنبي صلى الله عليه
وسلم التي طلبت الوقوف على عين اليقين فيه الكنز اي الشي
النفيس بل الذي لا انفس منه الذي حاولته اي ارادت حيازته
والظفر به وانه الكيميا اي العلم البديع الذي يقلب الاعيان
الردية الى الاعيان النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون
والكيميا وهو العلم المعروف للوحي لان بهما يحصل الذخاير النفيسة
المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحي كذلك وايضا هما لا يظفر
بهما الا الفرد النادر كما ان الوحي لا يظفر به الا الكمل البشر وهم
في غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس واشار بذكر ما
وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة ابتدا بعثه صلى الله عليه
وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين سنة وقيل
وعشرا بعثه الله يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع عشر من رمضان
وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان في رجب رحمة للعالمين

فعل فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال نعم قالت فاجلس
في حجري ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت
اتراه قال لا قالت اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان
ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر صلى
الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبي اي جد واجتهد
في حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان به وبرسوله وترك
ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك اول ما وجب
عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعا الى التوحيد ثم فرض الله من
قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه
بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرا بمكة قاله النووي وقال في فتح
الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا يصلي قطعا وكذلك
اصحابه ولكن اختلف هل فرض قبل الخمس صلاة ام لا فقيل
ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وروى ان جبريل
بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رايحة فقال
يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس
فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين
ما فتوضا منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل يصلي وامره
ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السما ورجع
صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول
السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي
عليها من الفرح ثم امرها فتوضات وصلى بها جبريل فكان ذلك
اول فرضها ركعتين الحديث وهي الحال في اهل الكفر نجدة اي قوة

فمن أشربت قلوبهم الكفر فذا الضلال الذي فيهم عياء

تامة كما صح به وتحزب عليه **وأباء** اي امتناع عن اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والايمان به **أمما** مفعول بدعوا اي جماعات هم
امة الدعوة **أشربت** بالبنا للمفعول **قلوبهم الكفر** اي اختلطت
به بتقدير تجسمه وتمكن فيها جبة حتى صار لا يقبل على غيره
ولا تلتفت اليهما لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار
لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ **فذا الضلال**
الذي استقر **فيهم** اي مرضه او الاضافة بيانية اي فالكفر الذي
استقر فيهم وهو الكفر لا يرجى برؤه **عياء** بمهملة مفتوحة فتحتية
اي داء عضال اعيا الاطبا مداواته وحصول شفا به ولما
قام صلى الله عليه وسلم بدعوا الى الله دخل الاسلام رجال ونسا
حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق خديجة ثم من
الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي وصح اسلامه مع صباه
لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالي زيد ومن
الارقا بلال **وروي** ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم
من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول من اسلم ثم دخل
الناس في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا
امره الى اذ امره الله باظهار امره بقوله فاصدع بما تؤمر
قالوا وكان ذلك بعد البنوة بثلاث سنين ولم يبعد منه
قومه ولا ردوا عليه حتى عاب الهتهم سنة اربع من البنوة
فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صدق
المحبة كابي طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد
الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم
ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب

داء

عز وجل

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم
يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراه يحذر منه
ورموه بالشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب بالحجر
ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على عنقه وهو
ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا
شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو
بكر ومنعه منهم ثم اسلم حمزة عمه رضي الله تعالى عنه سنة ست
من النبوة فعز به وكفت عنه قريش قليلا وسالوه ان يملكوه
عليهم وبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فابى
وقال اصبر لامر الله بيني وبينكم حتى يحكم الله وفي سنة خمس اذن الله
لاصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته
رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة
رضي الله عنهما بثلاثة ايام فعز به صلى الله عليه وسلم كثيرا بإسلامه
فاجتمعت قريش على قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب
فجمع بني هاشم والمطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم
ومنعوه **ورأينا** معشر امة الاجابة اي ابصر الصحابة رضي
الله تعالى عنهم وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة ويصح
الكل بمعنى علم في الكل وهو واضح وابصر في الكل وهو فيمن
بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على آيات
لا تحصى **آياته** اي معجزاته وخلقه وخلقه وبديع صفاته **فاهتدينا**
اي وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع **وإنما**
بادرنا الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد راينا الحق عيانا
لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه الحق **اذا الحق جاء زهق**

ورأينا آياته فاهتدينا وإذا الحق جاء زال المراء

في نعيم

قال الجوهري والشعب بالكسر الطريق في الجبل والجمع الشعاب انتهى

من بديع

بلغ مقابلة

الباطل وبابن بجاان لكن فاعل مثله المحذوف ولان اذ الا ان تدخل الا
على الجمل الفعلية على الراجح وال المراء اي الضلال والجدال
فيه وفي هذا ابلغ التعريض لكفار قريش حيث لم يومنوا به صلى
الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا
وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا رب ان الهدى
اي اتباع الحق ليس لا هداك اي ليس الا بتوفيقك وهدايتك
كما قلت في كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السما من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له وان اياتك التي اقمتها ادلة على صدق انبيائك
ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين موكد لما قبلهما
وعلى الثاني هي موكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض بنا على
جواز وقوعه بعد تمام الكلام نور كما قلت قد جاكم من الله
نور تهدي بها من تشا هدايته وتضل عنها من تشا غوايته
ففي كلامه اقتباس من الايتين المذكورتين كما اشرت اليه وايما
الي ان الايات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى
الله وانه يهدي من يشا ويضل من يشا وان الايات وحدها لا
تجدي شيا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو ان غير العاقل
قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم مرة اي مرار كثيرة فهي
خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها
اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح
من جمعه فان فصل حملا على الاستفهامية رأينا اي علمنا وابصرنا
نظيره مامر واستعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه

حج

بهامر

منصب صح

كم صح

رب ان الهدى هداك واياتك نور تهدي بها من تشاء

كم راينا ما ليس يعقل قد الهم ما ليس يلهم العقلاء

جايز وعلى منعه الذي ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز ما اي شيئا
ليس يعقل اصلا كالحيوانات والجمادات قد الهم من المصالح ٥
وهذه الجملة في موضع ثاني مفعولي راى ما اي كثيرا ليس يلهمه العقلا
اذ ظرف او علة لراي ابى اي امتنع الفيل المذكور في الاية من ان
يفعل ما اتى اي عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة ملك صنعا
وهو دخوله الحرم لهدم الكعبة وبين ابى واتى الجناس المصحف ومنه
قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولم ينفعه
الحجا اي العقل الوافر والذكا اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له
الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما في الذكا والعقل فعلم ان
الهداية والضلال ليستا الا بتوفيق الله وهدايته وخذلانه
وعدم رعايته وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من
قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعا وكتب الي النجاشي قد
بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب اليها فجا رجل من بني
كنانة فاحدث فيها فسمع بذلك فغضب وحلف ليسيرن
الى الكعبة العرب فيهدمها فامر الحبشة فتهيئات ثم سار وخرج
معه بالفيل فيل واحد يسمى محمودا وقيل باكثر فخرج عليه ملوك
فقهرهم واسرهم الى ان قرب من المغمس عند عرفة فبلغ ذلك عبد
المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت ان له
ربا يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم
ولعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب في قريش حتى بلغ جبل
ثبير فاستدارت دايرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال
ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون

اذ ابى الفيل ما اتى صاحب الفيل ولم ينفع الحجا والذكاء

الظفر لنا فرجعوا ثم ارسل ابرهة رجلا يستدعي عبد المطلب
ليخبره انه لا حاجة له بدمائهم وانما غرضه تخريب الكعبة
فان مكنتموني بخ دونكم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه
والبيت بيت الله فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه
واجله ونزل عن سريره وجلس معه على بساطه ثم قال له ما
حاجتك قال ان ترد علي ابلي فقال له انت اعجبتني ثم زهدت
فيك تكلمني في ابلك دون بيت هو دينك ودين ابايك فقال
اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله
فرجع فاخبرهم فتحرزوا في شعف الجبال والشعاب ثم اخذ
عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة الكعبة ودعوا
فاستنصروا وفي رواية ان رسول ابرهة لما دخل مكة وراى
وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه
وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب
وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي ان عبد المطلب لما
ذهب لابرهة لحضر فيله الابيض العظيم فلما راى عبد المطلب
خر ساجدا وقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب
تنبيه مر انفا انه لا يخلوان عن اشكال وهما النور
الذي في جبهة عبد المطلب والذي في صلبه وان ذلك نور محمد صلى
الله عليه وسلم مع ان الاشهر ان ولادته صلى الله عليه وسلم
كانت بعد الفيل بخمسين يوما فكل ذلك جرى وهو صلى الله عليه
وسلم حمل قريب وضعه وسبب اشكال هذين ما علم مما
مر ان نوره صلى الله عليه وسلم كان ينتقل في اصلاب الاباء
وارحام الامهات بحسب ترتيبهم في الوجود فاذا وجد ولد

انتقل

التابع

انتقل اليه ما كان في الذي قبله وهكذا وقضية هذا المعلوم المستقر
ان النور كله انتقل الى امنة ولم يبق منه شي في عبد الله فضلا
عن عبد المطلب ويؤيد ذلك ما مر في الكاهنة التي شاهدت
ذلك النور في عبد الله فبذلت له ما لا عظيما ليتزوجها فيتنقل
النور اليها فتراخى في اجابتها ثم ذهب فواقع امنة فحملت فانتقل
النور اليها فخرجا لتلك الكاهنة فابت فقال لم فقالت لان
النور الذي كنت اشاهده فيك انتقل لغيرك فعلم انتقاله
لامنة وقد يجاب عن ذلك بان النور وان انتقل كما ذكر
لكن الله سبحانه اكرم عبد المطلب فاحدث فيه نورا كما
يدل عليه سياق القصة حين احتاج الى كرامة تخلصه وماله
من ذلك الملك وجنده الذين طغوا في العتو والجراة على الله
وعلى بيته الذي اجمع الامم من لدن ابراهيم على صيانته وتعظيمه
وانه لا يحاكي ولا يغالب نورا يحاكي ذلك النور الذي استقر في
امنة بل مع زيادة حتى صار في جبهته كالشمس ثم اكرمه ثانيا
بنور اخر اوجد في صلبه واطلع الفيل عليه فسجد ليعلم الخلق
بهاتين الكرامتين ان جميع ما وقع في قصة الفيل انما هو من
كمال الارهاص لتحقيق نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وجوده
مع الاشارة الى انه سيظهر دينه على الاديان كلها وانه لا يوذيه
لحد الا اهلكه الله واستاصل اتباعه حتى لا يبقى منهم احدا
الشاذ ليخبر الناس عن الكيفية التي اخذهم الله بها والى ان
ربه سبحانه وتعالى سيعطيه من خوارق المعجزات وباهر
الايات ما لم يعطه لنبي مرسل ولا ملك مقرب لان هذا
الامر الباهر اذا وقع لاجله وهو حمل لم يبرز في الوجود فما بالك

بما سيقع له بعد وجوده ثم في تنويع كرامة عبد المطلب لكون احد
دينيك الباهر يظهر للناس وشاهد وكل احد والثاني يبطن فيه
ولم يطلع عليه الا القليل فيسجد له لا لاشارة الباهرة ايضا الى
ان الله سبحانه وتعالى سيظهر تلك الحمل وكراماته الى حد لا يمكن ابانه صح
احد ان يخفى عليه من ذلك شي والى انه سيطلع على حقايق علومه في سيقع
الباطنة ما انبا صلى الله عليه وسلم عنه بعد بقوله في الحديث
المشهور فعلمت علم الاولين والاخرين والى ان تلك العلوم الباطنة
يطلع الله على بعضها خلفاه ووارثيه ليتم لهم حقايق الخلافة
وغاية الوراثة والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان له
مقامان باهران ظاهر في العالم كالشمس وباطن يوجب خضوع
ساير الارواح الكاملة من البشر وغيرهم بين يديه واستمدادهم ان صح
منه وانه الممد لساير الكمل من لدن وجودهم الى ما لا غاية له
ولا انقضا ولما اصبح ابرهة بالمغمس وهيا فيله وجنوده لدخول
برك في الفيل في محله بنا على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل
دخلوه وانما برك لما وصلوا الى وادي محسر ولذا سمي بذلك لان
فيلهم حسر اي اعيي فيه فضربوه في راسه ومراق بدنه حتى سرقوه
بالحديد فابى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق
فمشى ثم نحو الكعبة فابى فثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال
الخطاطيف من البحر مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجر في منقاره
وحجران في رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا قتلته
لخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده
بدا فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعا وهو مثل
فرخ الطاير وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى تصدع

قلبه

قلبه وقد ذكر الله هذه القصة في سورة الفيل وافتتحها بالم تر كيف مع
انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان المراد من الروية
العلم والتذكر وان الخبر متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا
للعلم الحاصل بالروية البصرية وقد دلت هذه القصة على
غاية شرف نبينا فانها كانت ارهاصا وتاسيسا للنبوة ويجوز
تقديم المعجزة على زمن النبوة تاسيسا كما مر في تظليل الغمامة
والشجر والمكين بل جاء ان الشجر والحجارة قرب مبعثه صلى
الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشي الا سلم عليه سلاما يسمعه
باذنيه وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب
لشرفهم لعلمهم بان ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله
فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل ذلك على عظيم عنا الله بهم
ولفقد معنى الارهاص بعد مجي النبوة وثبوتها بالدلايل القطعية
املي للحجاج فبعه الله تعالى حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشي
ولما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق
بالهام الجماد فقال والجمادات وهي ما لا روح فيه افصحت
اي اظهرت ونطقت بكلام بين فصيح لا تلعثم فيه قيل يخلقه
الله فيها حينيذ من غير حياة وان من شي الا يسبح بحمده وقيل
بل يخلق حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق فيهما صح
به ويدل لهذا ما ياتي في حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل
على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن وان لا يعارضه
ان مذهب الاشعري ان خلق الصوت في محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل
فيه لانا لم ناخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه
حن وان ومذهب الاشعري ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزما

بالترامة

الجبالة استلزام العلم لها ولذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحي له
فالترمه كما يلتزم الغايب اهله بالشهادة بالانبيا والارسال
الذي اخرس عنه لاحد منتعلق بافصحت الفصحا نايب فاعل
اخرس وفيه الطباق اي ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم ارباب
الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت السنتهم من النطق له صلى
الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهد له
بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح
الحصا في يده ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر رضي الله عنهما بحيث
يسمع تسبيحهم ويسمع تسبيحه من في الحلقة رواه جماعة وهو
مشهور لكن في سنده ضعف وصح عن ابن مسعود كنا ناكل
مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام
وفي سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم ايضا وصح ايضا اني
لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل اذ ابعث اني لا عرفه
الان قيل هو الحجر الاسود وقيل هو البارز بزقاق المرفق لانه
لانه كان بممره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه
اهل مكة سلفا وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت امشي
مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحي مكة فاستقبلنا
شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وابو نعيم
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله والبيهقي وابن ماجة انه صلى الله عليه
وسلم غطى العباس وبنيه ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي
اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملائي هذه فقالت
اسكفة الباب وحيطان البيت امين امين امين وصح انه صلى

الله



الحقيقة كما صرحوا به وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفي هنا
فيكفي التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام فان فيهما
قلت لم لم يبعد وامنه ان النفر ما بالنفر الى اخره قلت
لكونه كانه هنا غيرا يمنع تمام التجنيس وهو الباء الدالة على المقابلة
فتامله فان قلت لم اكتفوا في التورية بكون احدهما مجازا
لا هنا قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى
البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم تكف
فيه كون احدهما مجازا ومن ثم اقر بعض المحققين شرط كونهما المشتمل
حقيقيين وعليه يحتمل ان يقال لا بد ان يكون كل حقيقة في الشرع
او العرف او في اللغة فلا يكفي كون احدهما حقيقة شرعية والاخر
حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر
انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك ويوبده اطباقهم على
ان الاية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة او عرفا
او شرعا سيء واحد وانما الاختلاف من حيث اطلاقها في مطلق الزمن
حقيقة لغوية وفي القيامة حقيقة شرعية وهذا الثاني
اقرب ومما يويد الثاني اشتراط كونهما حقيقيين انه ما من لفظ
غالبا الا ودايما الا وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما
مجازا لزم وجود التجنيس في غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا
ولك ان تاخذ من قولهم ليس في القران جناس تام الا الاية مع ما
فيه من نحو النفس بالنفس الذي قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا الحر بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا يكون في
اللفظ قرينة ظاهرة تدل على مغايرة معنى اللفظ المتحد وسومحه
لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية اصلا ومبنى الجناس التام انما

هو التنبيه على السامع ما امكن نظير التورية ولو ار لاحد من اهل البديع
في هذا المبحث ما ينبغي فتأمله فان قلت ما ذكر في شق من
الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق الشقين دون موضوعهما وذلك
لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من ان
يلحق به لاختلافهما من حيث المتعلق اذا انبا ينبئ به صورتهما
وانما شق له الفم لانه شق عن صدره حتى اخرج قلبه ثم شق وطهر
فجوزي على ذلك اذ من شرط كل شرط وقع في البدن لغرض مقصود
ان يكون له جزا من برء من مرض او غيره فكذا هنا لما روع صلى الله
عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتألم
جوزي على ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة هو شق القمر
الذي هو اظهر معجزاته واشهرها بعد القران وفي كلامه الجناس
التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقة ولا يقدح
فيه كون الاول حقيقة نحوية والثاني حقيقة عرفية على ان الاول
يحتمل ان يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح
كل منهما حقيقة لغوية فجا التجنيس التام اتفاقا وبفرض ان
احدهما مجاز يكون فيه التورية او حقيقة ايضا ولكنه ابعد فهما
من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومن الكلام فيها
مستوفيا اذ الشرط المراد بمعنى الاول ما علق بحصوله حصول شيء
اخر يسمى جزا وفي الثاني شق الجلد واللحم والجزا فيه وتورية ايضا
اذ يطلق على الجزا النحوي والجزا العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع
منه ومنه وجازيته بما صنع جزا ومجازاة ومن معجزاته صلى الله
عليه وسلم ايضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى اعداه بالحصى
فاقصد اي اصاب فاهلك في القاموس اقصد السهم اصاب

فقتل

فقتل مكانه جيشا عظيما ان لبوا حتى ظن ان الهم لا يبقون
لحرام المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول
صلى الله عليه وسلم كفا من الحصا فرمى به في وجوههم وقال
شاهت الوجوه اي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم
وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شي فانهزموا
فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر منهم اشرافهم
قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم
ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة
القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا
وكذلك روى غير واحد انها نزلت في رميه يوم بدر وان كان
رمى في غيره ولاهل الجبر في هذه الاية غلط لا باس بذكره ثم
رده قالوا فيها سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه و
اضافته الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد
اليهم وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب وسر
ما في الاية ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ كان
منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى
نهايتها وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه
ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا ما في الاية
نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد
بالتاثير وان غيره ليس منه الا اسباب تظهر للناس قيل ورماهم
بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذي نقل انه صلى الله عليه وسلم
لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب

سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل
عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت
اوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفأت قدورهم وسمعوا في
ارجاء عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا ليلتهن
خائبين ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد يغزونه
اليوم فكان كذلك ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين
من هوازن ما لم يروا مثله في السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة
فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا اناس
قليلون من اهل بيته العباس وابي سفيان بن الحارث وعلي
والفضل واصحابه ابي بكر وعمر واخرين فامر صلى الله عليه وسلم
ان ينادي في الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم
الابل اذا حنت على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا
مع الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس
وهو التنور يخبز فيه اي اشتد الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ
تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت
الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا
الا ملا عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من
تراب والجمع بينهما انه يحتمل انه رمى بكل مرة او انها قبضة واحدة
لكنها مختلطة وفي رواية عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا
قال صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم
عن بغلته واخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلا عيناه وفمه ترابا ولاحمد
والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك

الله

١٠٧

الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات اعينهم
ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب
فولى المشركون الادبار واذا قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله
عليه وسلم بالحصى من تشتيت شملهم وافتراق جمعهم وهزيمتهم
امكنك ان تقول لمن قال لك ان القاء موسى العصا والسحرة
حبالهم وعصيهم يعادله الرمي بالحصا لا تقل ذلك ما استفهام
انكاري العصى التي القاها موسى على حبال سحرة فرعون عندهم
وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده اي الحصى المرمى وما الالقاء
لتلك العصا تلك العصا على تلك الحبال والعصي الذي فعله
سحرة فرعون اي لا تقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
في القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى صلى الله عليه وسلم في القاء
عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر
وابهر اذ القاء موسى العصاه حاكى به القاء السحرة لحبالهم
وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لم يحاك شيئا
قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش
الذي هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن اخرهم وشتت شملهم
ابهر من قلب العصاه حية وابتلاعها لتلك الحبال من حيث
الجامع ذلك لم تقهر العدو ولا شتت شمله بل زاد بعدها
ذلك طغيانه وعتوه على موسى وقومه وجانس بين الحصا
والعصا ونفي بين رمى والالقاء تنبيه اكثر معجزات
بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم واكثر معجزات
هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه
الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة

خصت بالمعجزات العقلية الباقية لبراهاد ذوى البصاير كما قال صلى
الله عليه وسلم في حديث البخاري ما من نبي من الانبيا الا اعطي ما بمثله
امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي وانا
ارجو ان اكون اكثرهم تبعا وفي معنا قولان غير متنافيان اذ رجع — تابعا خ — معناه
حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبيا انقرضت بانقراض
اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة
صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القران تشاهد
بالبصيرة وتستمر الى القيامة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شي اخبر بانه — يوم صح
سيكون فكان من يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده
كل من جا بعد الاول ومن معجزاته ايضا دعا للانام من تفسيره
لكن المراد به هنا غيره تمرا اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم
اذ لا وقت اولا جل ان دهمهم اى غشيهم سنة من اجل محولها
متعلق بما بعده اى شدة جدبها وقحطها شهبا اى لا خضرة فيها ولا
مطر والسنة زمن الجدب والمحل ومطلق الزمن المخصوص فعلى
الاول شهبا تاكيد وعلى الثاني تاسيس وسبب دعائه ما في
الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم
فقام اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال
يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه
وليس في السما قطعة سحاب فما وضعهما حتى ثار السحاب امثال
الجبال فلم ينزل حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك
الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع
الله لنا فرفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا فاقلعت السحابة
وخرجوا يمشون في الشمس وسال وادي قناة شهرا ولم يجي احد من

ناحية

بلغ مقابلة

ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فبسبب
دعائه استهلت بالغيث اى صبت المطر بشدة سبعة ايام كوامل
لما علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى بالغا الكسر
عليهم سحابة فاعل استهلت وطفا اى مسترخية الجوانب
لكثرة ما بها حال كونها تتحرى اى تقصد تلك السحابة بمائها واسناد
ذلك اليها مجاز كما في جدارا يريد ان ينقض الا ان يراد الملائكة
الموكلون بها مواضع الرعي اى الكلا الذي يرعى ومواضع السقي
التي يجتمع الما فيها ليشرب منها البهايم وفي الرعي مراعاة النظير
والسقي والسقا تجنيس شبه الاشتقاق وتتحرى ايضا
حيث العطاش اى مواضعهم التي نوهي بالبنا للمفعول اى
تخرق الشفا منهم فيها اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن
بما يحيي اهلها تتحرى الامكنة المعطشة التي تخرق اسقية — خ
العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر
واولى مما سلكه الشارح كما يعرف بتاملهما لا يقال مواضع السقي
تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الى اخره لانا نقول
قرينة قرن السقي بالرعي تصرفه الى سقي البهايم فاحتاج في افادة
عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش قال الشارح ايضا
وفي قوله حيث العطاش الى اخره اقتباس المثل وهو لم تخل سبيل
من وهي سقاوه ومن هريق في الفلاة ماوه يضرب لمن لا يستقيم
امره فضرب به المثل هنا في المحل والجدب انتهى ملخصا وفيه نظر
لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم
ما دلت عليه عبارته من تلك النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن
ولما استمر عليهم سبعة ايام وكادت اذ لم تدركم اتى الناس اليه صلى

الله عليه وسلم وهو على المنبر لحاله يوم سالوه ان يدعو لها **يشتكون**
**اذاها** اى تلك السحابة اى الما النازل منها لقطعه السبل وتعطيله
المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان السائل واحد لان
ما به يصح فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا اسندها الى كلهم ونظيره
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد
كما هنا **ورخا** اى سعة من المطر **يوذى الانام غلا** اى شدة عظيمة
واصله ارتفاع السعر المودى الى الشدة وبين اذاها ويوذى جناس
الاشتقاق والرخا والغلا جناس لتضاده **و**بسبب ان هذا الرخا
الذى هو المقصود منه حياة النفوس انتقل الى الضد وهو الهلاك **كما**
**دعا** صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشف عنهم **فانجلا الغمام** اى
السحاب عقب دعايه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر
هذا **فقل** ايها العالم بهذه الوقعة ما شئت من الكلام الدال
على التعجب **فى وصف غيث اقلاعه** اى انكشافه **استسقاء**
اى ذو استسقا على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما
يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه ولهذا يندفع قول الشارح
الاحسن ان الاستسقا بمعنى السقى لانه يلزمه فوات هذه النكتة
التى هى سبب التعجب **ثم** بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة
دعايه صلى الله عليه وسلم **اثرى الثرى** اى كثر المطر الواقع عليه
حتى كثرت فوايد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار المودية
الى كثرة الاموال من اثرى الرجل كثر ماله **و**بسبب هذه الكثرة
**قرت** اى فرحت واطمانت من اقر الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح
عينه الى من هو فوقه **عيون** لاجل المدينة بسبب ما زال عنهم من
الكرب وحصل لهم من الخصب **و**بسبب عمارة **قراها** اي العيون





اى المدينة وبلادها بتلك الفوايد الكثيرة بعد خرابها **واحييت**
بعد ما حصل لها من الجدب والشدة فاصبرها كالموتى من احياه
الله فحيى بالفك وحى بالادغام وهو الاكثر **احياء** جمع حى اى
قبايل العرب بواسطة احيا نفوسهم ومواشيها وفيه تجنيس
الاشتقاق فى ثرى الثرى وقرت قراها واحييت احيا **فترى**
انت لو شاهدت تلك الواقعة **الارض عقبه** اى عقب ذلك
الغيث المتولد منه ما يدهش الابصار من النبات والزهور
**كسما** حال ان جعلت راى بصرية وهو الظاهر او مفعول ثان
ان جعلت علمية **اشرقت** اى زالت عنها **من اجل نجومها الظلما**
ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل فى النور ووجه الشبه ما حصل
للارض باصابة الغيث وللسما من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية
فى السما والمجازية فى الارض وبين الارض والسما والاشراق
والظلمة الطباق وتراها ايضا **تجل** اى تحير وتدهش **الدر**
اى اللولو **واليواقيت** وهى فارسى معرب واسناد تجل اليها مجازا
وهو على حذف مضاف اى اهلها بمعنى ان من بايديهم تلك
الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن روية
تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة **من نور** بفتح النون
اى زهر وهو بيان لفاعل تجل الاتى **رباها** بضم الراء المهمل المرتفعة
منها وخصت لان ما بها انضر واكثر من بقيتها **البيضا** راجع للدر
**والحمرا** راجع لليواقيت اى تجل نورها الابيض الدر ونورها
الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير
بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان
وما تقرر ان الناظر انما اراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة

وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا ما وقع بمكة
على ما ورد ان قريشا لما ابطاوا عن الاسلام ودعا عليهم صلى
الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا
الميتة والعظام جاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة
الرحم وان قومك هلكوا فادعوا الله فسقوا الغيث فاطبقت عليهم
سبعا فشكى الناس كثرة المطر فسال الله تعالى رفعه ولما ذكر من
صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق لكل سامع الى التملي منها
والى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته هي للتمني ما لا طمع في حصوله
او ما فيه عسر حظي برؤية وجهه اى ليتني ادركت زمانه لاكون
من اصحابه لانهم افضل من جميع من جاء من بعدهم عند الاكثرين
وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو
افضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة
مثل امتي مثل المطر لا يدرى آخره خير ام اوله وللخبر الحسن
ايضا ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا وفي حديث
ابي داود والترمذي بان ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل
منهم او منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قبل ان يعلم
افضلية اصحابه فلما علم لها صرح بها وبقوله خير القرون قرني
وعن الثاني بان او فيه تحتمل ذلك ايضا وعن الثالث بانهم صرحوا
بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضي الافضلية على ان فضيلة
الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن عمر
ابن عبد العزيز ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ايهما افضل قال
للغبار الذي دخل في انف معاوية رضي الله تعالى عنه مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل ابن عبد العزيز
واشار

واشار بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل له الا مجرد الصحبة
الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو رواية او غزو فلا نزاع فيه
او ليتني اراه في الموقف وعلى الحوض وفي الجنة شافعا نافعا
او ليتني اراه في النوم رؤية تدل على اعتنائه بي لاخباره
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة بان من رآه فيه رآه
حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم
ولا يتشبه بها وان من رآه فيه فقد رآه في اليقظة اى كانه رآه
في اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه صلى الله عليه وسلم
فهو وان تمكن من التصور باى صورة اراد لم يمكن من التصور
بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان رؤي
بصورته التي كان عليها وقال بعضهم ان رؤي بصفته
التي قبض عليها حتى عدوا شيبه وصح هذا عن ابن سيرين
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما يفيده وفي حديث
ضعيف اني ارى في كل صورة وصحح النووي وغيره انه يرى
حقيقة ولو على غير صفته قال الحجة الغزالي وغيره لكن رؤيته
على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا او بصورة حسنة كاملة
تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض في رواية مسلم من
رآني فسيراني في اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته صلى الله عليه
وسلم على صفته موجبة لرؤيته صلى الله عليه وسلم في الآخرة
على وجه مخصوص من قربه منه او شفاعته له وفي هذا
اقوال اخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس
المراد ذاته حقيقة بل مثال يحملها على التحقيق كما في رؤية
الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نوره او غيره

او ليمتني اراه في يقظتي بنا على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن ابي جمرة
والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن
بعدهم انه راه في المنام فراه بعد ذلك في اليقظة وسالوه
عن اشيا غيبية فاخبرهم عنها فكانت كما اخبر قال ابن ابي جمرة
وهذه من كرامات الاوليا فيلزم منكرها الوقوع في ورطة
انكار كراماتهم وفي منقذ الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم
فد يشاهدون الملايكة وارواح الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوايد وقال
البدر حسن الاهدل ووقوعها للاوليا تواترت باجناسها
الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت
عليه اخبارهم لم يبق منه شبهة ثم اخذ يبطل ذلك كله ويفنده
ويعظم النكير على مجوزه بلا حجة له فيه ومما يبطل جميع ما ندد
به وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم
حي في قبره وانه لا يراه في قبره الروية النافعة الاولى وانه
لا يبعد ان من اكرم بروينه صلى الله عليه وسلم ان يكرم بازالة
الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه في قبره يراه
يراه الاوليا في اليقظة ويجادثونه وان بعدت ذاتهم واختلفت
مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على سبيل
الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته صلى
الله عليه وسلم واذا كان من راه بعد موته وقبل دفنه غير صحابي
فهو لا كذلك بالاولى فاندفع قول فتح الباري هذا مشكل جدا
ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة انتهى ومما يويد ان الناظم
يحتمل انه اراد ذلك انه تلميذ القطب ابي العباس المرسي فهو

الذي

الذي خلت عليه بركته حتى وصل البالغ الذروة العليا والقطب
المذكور وارث القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت
عنه روية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال ابو الحسن لو حجب
عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي مسلما
والقطب علي بن القطب محمد بن ابي الوفا وهما من جملة المنتسبين
الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقة الوفاية خلاصة
طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه روية النبي صلى الله عليه وسلم
يقظة مرارا لا سيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور في
كراماته فكون الناظم رحمه الله تعالى منسوبا لهو لا الواقعة
لهم الروية يقظة يقرب انه سال في وقوع ذلك له كما وقع لهم
ولقد كان شيخي وشيخ والدي محمد بن ابي الحمايل يرى النبي صلى الله
عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه يسال في الشي فيقول حتى
اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه في جيب قميصه
ثم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما اخبر
لا يتخلف ذلك ابدا فاحذر من ذلك انكار ذلك فانه السم الموحي

تنبيه ما ذكرته من مناسبة الاول والثاني بعيد
اذ لا مناسبة لفظ خصني بل ولا معناه لان الذي يسال
رويته في حياته ليكون من اصحابه او في الموقف او في الجنة وكل مسلم
يتمنى ذلك فالتمني امر عام لا خصوصية فيه ومن الثالث
قريب مناسبة لفظ خصني ومعناه ليس خصني فيما مضى برويتي
له في النوم الروية السابقة فالمعنى فيه صحيح وكذا الخصوصية
لان مراي الناس له في النوم متعددة الانواع والدلالات
فلا بدع ان يتمنى وقوع روية تخصه دون غيره باعتبار ما تدل

عليه من اللحظ والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفضولا بالنسبة
لاكثر الاولياء والعلماء لان ذلك لا يمنع انه يحصل له من ذلك
الجناب من نوع امداد ولحظ ما لم يحصل لغيره ومن المعنى الرابع قوي
ايضا لكن على القول بوقوعه وحينئذ يتبع اذا حسن هذه الاحتمالات
الذي لا نزاع فيه وهو الثالث تنبيه اخر من المقرر
عند المحققين ان الباء في حيز الاختصاص وما اشتق منه يجوز
دخولها على المقصور والمقصور عليه فهي هنا داخلة على الاول
على كل من الثالث والرابع واما على الاولين فخصني فيهما بمعنى اعطاني
والماضي قد يستعمل مرادا به الاستقبال ايضا تنبيه
ما تقرر من ان خص وما اخذ منه يفيد الحصر وانه يفيد في خصه
بكذا قصره عليه قصر قلب تارة وافراد اخرى هو المشهور وايضا خلافا
لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفي القاموس خصه بالشي خصا وخصوصا
وخصوصية وقد يفتح وخصيصى ويمد وخصية وتخصة فضله وبالله
كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم انتهى ولا يتوهم منه ان
الاختصاص غير الحصر لانه يسمى فضله به الا ان حصره فيه ويؤيده
قوله التخصيص ضد التعميم في ان التخصيص قصر العام على بعض
افراده فتامل ذلك فانه نفيس زال اي تحول هنا تامة لا ناقصة
عن كل من راه مومنا في حياته او بعد موته في يقظة الراي لان ذلك
لا يقع الا لاكابر الاولياء وفي النوم على صفته التي كان عليها صلى
الله عليه وسلم لما مر ان ذلك يدل على الحبور وبنيه المخصوصة
في الاخرة الشقا اي جميع انواعه لان الصحابة رضي الله عنهم
كلهم عدول كما يشهد لذلك الكتاب والسنة نحو اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه



الله عليه وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد وصح ايضا على حرا
فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبي او صديق
او شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال
له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم
وهي على شاطي الوادي فاقبلت تخد الارض خدا الى ان شقها شقا
فقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا فشهدت
ثم رجعت الى منبتها وفي رواية فقال لتلك الشجرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها
ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول
الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت
عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي
ان اسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت
المراة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بم اعرف
انك رسول الله فدعاه فسقط اليه قال بان ادعو هذا العذق
هذه من النخلة يشهد باني رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال
ارجع فعاد فاسلم الاعرابي تنبيه علم من كلام الناظم
على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من دلائل نبوته
ما وجد في كتب الله من نعته وخروجه بارض العرب وما ظهر
بين يدي مولده ومبعثه من العجائب المبطلة لسلطان الكفر
والمنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل باصحابه وخمود
نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة باوصافه
صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة على وجهها

من محالها فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وما سبق
بعضه من العجائب التي ظهرت ايام رضاعه الى بعثته واتباع (ولعله صح)
الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال
مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة
وشن الغارات لا يجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء فعالهم
النظر في عاقبة ولا خوف لايمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم
وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا
واحدة على من سواهم وهجروا اوطانهم واهاليهم في محبته وبذلوا
مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز
كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا عوض الاجل اطمعهم
(بما في صح) في نيله يتجرونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل
الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور
(قبل صح) من اختيار عقلي او تدبير فكري لا والذي بعثه بالحق انما ذلك
امر الهي وتاييد سماوي يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه
الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهذا الذي
ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله ويح منصوب بفعل
محذوف او بحرف النداء اي يا ويح على حد يا حسرة على العباد اي
احضري هذا وقتك كذا قيل والذي صرح به الائمة انه حيث
كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله
نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل
مفردا ومضافا قولهم ويح فلان وويحا له قال ابن طاهر متى
اضيف ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لا خبر له
ومتى افرد فانه جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوي لانه

مصدر

٤٢

مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع
بل قال ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح
على تب تعين نصبه ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه
لتناقض معناهما ورد بان ويح اخرج مخرج الدعا وليس معناه
الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل
ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل
للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع
في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى وعلى (واحد صح)
الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها في هذا المحل لان الجافين
له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدائم وقد يجاب
بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما آل اليه حالهم
ويرد بانهم بهذا الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا في
هلاك اصلا فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث
النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانهم من عمود نسبه وجلدته وان الترحم لهم من هذه الحيثية
لا محظور فيه قوم جفوا نبيا بلغ مراتب الجلالة والتعظيم ما لم (من صح)
يبلغه نبي اي بغضوه واذوه الايذا البالغ بل قصدوا قتله كما
مر آنفا مبسوطا بارض الفته ضبابها جمع ضب وحديثه
مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة لكنه
حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا
وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم
طرحه بين يديه وقال لا او من بك حتى يومن هذا فقال له (بك صح)
يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السما (قال صح)

عرشه وكلمات لخر فقال من انا قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي
الحديث بطوله فذكر وهو موضوع ورد بان غايته الضعف
لا الوضع ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم مما هو ابلغ من هذا
والظبا جمع ظبي روى حديثه من طريق البيهقي وابو نعيم والطبراني
وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكن
ضعفه الايمة بل قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة
احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه
حديث صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله
استغنى عنه بغيره او لعله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم في صحرا اذا هاتف يهتف يا رسول الله
ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق ونايم عندها
فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك
الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين
قالت عذبني الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها
فذهبت وفي الحديث فقالوا لها الاولاد وقد احتبست عنهم ثلاثة
ايام ما غيبك فذكرت لهم القصة والضمان فقالوا جعلت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامنا فوالله لم نرضع منك قطرة
حتى توفي ضمانته فرجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه
الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحرا فرحا وهي تضرب برجليها
الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ولم
يرد الناظم الحصر في هذين فقد صح ان الذيب الفه وأخبر بنبوته

صلى الله عليه وسلم ايضا كما جا من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما
انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنتزع مني رزقا
ساقه الله الي فتعجب الراعي من كلامه له فقال الا اخبرك باعجب من
ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانبا ما قد سبق وفي رواية بما مضى
وما هو كاين فاتى الراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك فامر ان ينادي الصلاة جامعة ثم امر الراعي فاخبرهم
وفي رواية عند سعيد بن منصور في سننه ان الذيب جا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذياب جا يسالكم
ان تجعلوا له شيا من اموالكم قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من
القوم حجرا رماه به فادبر الذيب وله عوا فقال صلى الله عليه وسلم
الذيب وما الذيب وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ما
روي في حديث طويل لكن قال ابن الجوزي وكلمه ايضا الجمل كما جا
في عدة طرق بعضها سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها
ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه
امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحايط فمشى اليه فقالوا يا
رسول الله انه صار كالكلب اي عضوضا فقال ليس علي منه
باس فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ
بناصيته اذل ما كان حتى ادخله في العمل الحديث وفي رواية صحيحة
انه صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فراه جمل فحن اليه وذرفت عيناه
فمسح ذفريه راسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله في هذه
البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه
اي تتعبه وجا بسند ضعيف ان غنما سجدت له صلى الله عليه

وسلم **وسلوه** اي تنفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشاته فيهم
وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله **والحال انه حن جذع اليه** قدمر
كما جاء من طرق كثيرة صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر
المعنوي الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوي
يحمل قول التاج السبكي والصحيح عندي ان حنينه متواتر
وسبقه لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم
قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع
المسقوف عليه المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه
موضعه الان بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر
فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي رواية
انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية
اخرى خار حتى تصدع وانشق وفي اخرى فجعل يئن انين الصبي
وفي اخرى حن حنين الناقة التي انتزع ولدها فنزل اليه
صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية
فمسحه بيده ولعله فعل به الامرين وفي اخرى ان هذا بكى
لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم التزمه
لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بل اشار الشافعي رضي الله عنه الى انه ابدع من احياء عيسى
عليه السلام للموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم بخلاف
هذا وفي رواية الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده
الى مغرسه فيثمر كما كان وانه يغرسه في الجنة ياكل اولياء الله من ثمره
ثم اصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وامر به فدفن
ومر في شرح قوله والجماد ان افصحت الى اخره ما له تعلق بذلك

وقلوه

**وقلوه** اي ابغضوه **والحال انه قد وده** اي احبه وبين التسلو والحنو
والقلا والود الطباق كما هو بين الاحراج والابوا لا ايباب وكان
المراد في الاولين ان التسلو يدل على سبق المحبة والالفة والحنو يدل
على البغضا والايذا كما مر **الغربا** الذين هم ليسوا من عشيرته
ولا من قومه ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الا عظم كالانصار
الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم الذي
لقيهم فيه يعرض نفسه على قبايل العرب كما كان يصنع في كل
موسم فلقي بعض الخزرج عند العقبة فقال من انتم قالوا
من الخزرج فقال الا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام
وتلى عليهم القران وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان
يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الان نتبعه
ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم
ستة نفر فقال الم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا
ندعوا قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد اعز منك
وموعدك الموسم العام القابل علما وصلوا المدينة لم يبق دار
الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه في العام اثنا القابل
عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين من
الاوس وهذه هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه
عليهم ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام فيهم فكان سعد بن زرارة
يجمع بالمدينة من اسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القران
فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يديه جمع كثير منهم
سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم
باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد رجالهم ونساوهم

الاواحدا فنوم لحد ولم يكن فيهم اعني بني عبد الاشهل منافق
ولامنافقة ثم قدم في العام القابل في الموسم نحو سبعين رجلا
وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون
منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن
جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في
منازلهم في الموسم بمنى وغيرها يقول من ينصرني حتى ابلغ رسالة
ربي وله الجنة حتى بعثنا الله من يثرب وذكر الحديث وفيه على
ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون
منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضي
الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقي معه بالهجرة الى المدينة
فخرجوا ارسالا واقام ينتظر الاذن له في الهجرة فاستاذنه
ابو بكر فقال لا تفعل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر
في ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وامر
من معه ان يلحقوا بالمدينة وانه ظهر امره بها تشوروا بدار
الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم
ابليس في صورة رجل جميل واظهر لهم انه يريد نفعهم وامرهم
ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار انفعها لهم فقيل نحبسه فقال
قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال
ابو جهل ارى ان ناخذ من كل قبيلة غلاما ثم نعطوهم شفارا فيضربه
كل ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلم يقدر اهله على حرب قومهم
فياخذوا ديته فقال ابليس لله دره هذا هو الراي فاجمعوا
عليه فاتاه جبريل عليه السلام فقال لا تبت الليلة على فراشك

فاجمعوا

---

فاجمعوا في الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه وثبة واحدة
فامر صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه بان ينام مكانه
ثم خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره فلم يره
ونثر على راس كل واحد منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس
الى لا يبصرون وصح انه ما اصاب احدا منهم تراب الا قتل
كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل يده على راسه فوجد التراب
وفي هذا انزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ثم
اذن الله تعالى لنبيه في الهجرة كما قال اخرجوه بدل
من جعلوه منها اي كانوا السبب في خروجه من تلك الارض
التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن ابائه واحب ارض الله الى
الله والى رسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال
ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت ويقولي كانوا السبب
الى اخره اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا بالاذن فهو السبب فقط
ووجه اندفاعه ان تسببهم في خروجه بما لغتهم في ايذائه
وايذاء اصحابه لا سيما ضعفاؤهم هو الحامل على انتظاره الاذن
له في الخروج مدة حتى وجد فتسببهم للاستئذان ووقوع
الاذن فاسناد الاخراج اليهم لذلك اظهر منه للاذن تعويلا
على اسبق التسببين مع كون الاول سببا للثاني ايضا كما تقرر
وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة اشهر يوم الاثنين
او الخميس الذي يليه هلال شهر ربيع الاول ووصل المدينة
يوم الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة يوم
الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا ليودي ما عنده
من الودايع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال

انه قد اذن لي في الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال
فخذ احدى راحلتي قال بالثمن لتتمحض هجرته لله ولا يكون
لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال
واواه غار ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها
وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب اثره
قبل ثور هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق اثره
عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن يرده مائة ناقة
ولما دخل الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام غيلان
فحجبت عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين
فوقعتا على فم الغار كما قال وحمته منهم حمامة فيه جناس
سبق نظيره ورقاء وهي ما في لونها بياض يخالطه اي يخالطه
سواد قيل وحمام الحرم من نسلهما ومعنى حمايتها له ان فتيان
قريش من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار
فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه
فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه
ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية
ابن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد
محمد وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت
على وجه الغار ولذا قال الناظم وكفته بنسجها عنكبوت
يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى ما اي الاعدا الذين كفته
اياهم الحمامة الحصداء اخذ من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة
الورق فاستعاره للحمامة لكثرة ريشها ووصف الحمامة
بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف

منقادين

منقادين او متماثلين وروى ان الحمامتين باضتا في اسفل
النقب ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا لو دخلا لتكسر
البيض وتفسخ نسج العنكبوت قال الايمة وهذا ابلغ في
الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا
يضربون يمينا وشمالا حول الغار لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله
وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه احد لما جرت العادة انهما
متوحشان مهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله تعالى
يسخر ما شاء لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما اراده
يغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة وصح ان ابا بكر
قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرانا فقال
ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم واختفى
صلى الله عليه وسلم اي استتر ولا احس عطفه على واواه
حال منهم على انه مع قرب مراه اي محل رؤيته وفي ذكر الناظم
لهذا التعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة وحكمة استتاره العظيمة
منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه كما تقرر
ان من جملة شدة الظهور عليهم بالغلبة والمعونة الالهية
له الخفاء عنهم الذي حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم
وخيبة لهم واستعماله الظهور فيما ذكر مع انه مقابلته بالخفا
يوهم انه اراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام
وهو ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التواطئ
او الحقيقة او المجاز احدهما بعيد فيقصد ويورى عنه بالقريب
ليتوهمه السامع من اول وهلة وهو هنا ضد الخفا الموهم له

قوله واخفى قال الزمخشري لا ترى بابا ادق ولا الطف من التورية
ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في كلام الله
ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى اريد من الاستوا معناه
البعيد الذي هو دون الادون اي القريب الذي هو الاستقرار
في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه
تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شي من لوازم الموري به ولا الموري
عنه والحق انها ما ذكر فيه لازم لكل منهما لانهما تكافا فيا جنبيه
ومنه ما في البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفى
بالخفا اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفا
فاذ ذكر لازم احدهما سميت مرشحة نحو والسما بنيناها
بايد فانه يحتمل الجارحة وهو الموري به ورشح له بذكر البنا
ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم
في حد التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة
كما علم مما تقرر في اية الاستوا والبنا ولعله اراد في الجملة
لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي هو
ضد الخفا هنا ان من المعلوم ان نشدة فرنحبه منه لم يدركوه
ولا يمنع ان الاول عادي والثاني خارق للعادة وكالتورية
في كونه اشرف انواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم
عليها ولم نجد عبارتان اسهمهما ان يوتى بلفظ له
معنيان فاكثر يراد به احد معانيه ثم يوتى بضميره ويراد
به المعنى الاخر وروي ان ابا بكر نظر الى قدميه صلى الله
عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكي انه دخل
قبله ليقيه بنفسه وانه راي جحرا فيه فالقمه عقبه فجعلت

والحيات تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تتحدر وفي رواية
عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل راسه في حجره
ونام فلدغ ابو بكر في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه
على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك قال
لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وروي ان ابا بكر
لما راى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما رجل
واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال صلى الله عليه
وسلم له لا تحزن ان الله معنا اي بالمعونة والنصر فانزل
الله سكينته عليه اي ابي بكر لانه الذي انزعج وهي امنة تسكن
عندها القلوب وايده اي رسوله بجنود لم تروها اي ملايكة
يصرفون ابصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله معنا
وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معي ربي سيهدين ما بين
مقاميهما اذ كمال الامداد للاتباع ليس الا لنبينا فان ابا
بكر يشهد المعية ايضا وقصرها موسى على نفسه وايضا
فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور
انه صلى الله عليه وسلم مكث في الغار ثلاث ليال وكان
عبد الله بن ابي بكر مع صغر سنه ياتيهما ليلا بخبر قريش ثم
يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبايت بمكة وكان عامر
ابن فهيرة مولى ابي بكر ياتيهما كل ليلة بما يغنيهما من لبن
واستاجرا عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم
يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد
ثلاث ليال فاتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فاخذ بهما
طريق البحر وغدا اي قصد المصطفى على الخلق كلهم محمد صلى

هكذا في المواهب وزاد في شرحه على سيرة العراقي وقال صاحب النبراس انه اسلم وصحبته ثابتة

الله عليه وسلم المدينة المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها
ووقعت في طريق الهجرة غرايب منها انهم مروا بقديد على ام
معبد الخزاعية وكانت تسقي وتطعم من نزلها وكانت في سنة
جدبة فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر
الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسالها هل بها من لبن
فقالت هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها
قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت
وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة
اخرى عللا بعد نهل وتركوه وذهبوا فجا زوجها فتعجب
منها فذكرت له القصة واوصافه صلى الله عليه وسلم
فقال هذا والله صاحب قريش ولو رايته لاتبعته واخرج
ابن سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها
ليلا ونهارا الى زمن عمر رضي الله عنه ثم تعرض لهما سراقة
كما ياتي وروى البيهقي انهما اجتازا بعبد يرعى غنما فاستسقياه
لبنا فاتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم
بعد ان دعى وسقى ابا بكر ثم الراعي ثم شرب وهذا محمول
على علمه سيد العبد مع ظن رضاه والجواب بان هذا مال
حربي غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته
لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم
ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع المسلمون
بالمدينة صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب
الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودي
علا على موضع عال فراه فصاح هذا جدكم اي حظكم يا بني

قيلة

قيلة اي الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل
بقبا فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ان ابا بكر رسول الله لانه
اسرع اليه الشيب مع انه اصغر سنا منه صلى الله عليه
وسلم حتى اذا اصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان
ذلك يوم الاثنين قيل اول ربيع وقيل ثاني عشره وقيل
غير ذلك وادركه علي كرم الله وجهه بقبا ولم يقم بعده بمكة
الا ثلاثة ايام ثم امر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب
من حين الهجرة واقام بقبا اربع عشرة ليلة كما في مسلم
واسس مسجدها وهو اول مسجد بني في الاسلام وكذا
كان الاصح انه الذي اسس على التقوى من اول يوم ثم ركب
من قبا يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم
ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سالوه النزول عندهم
فيقول خلوا سبيلها اي ناقته فانها مامورة وارخى زمامها
فاستمرت الى ان بركت موضع باب المسجد ثم ثارت وهو
صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب ابي ايوب ربيبي بني
النجار اخوال عبد المطلب ثم ثارت منه وبركت في مبركها
الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال
هذا المنزل ان شاء الله تعالى واشتاق من الشوق وهو
تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسال القرية بل حقيقة اذ
لا بدع في ميل الجمادات لحقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا
حقيقيا ومنه وان من شيء الا يسبح بحمده لو انزلنا هذا القران
على جبل الاية وتسبيح الحصا وتامين اسكفة الباب وحنين

الجذع ونحو ذلك مما مراد الاصح في مثل ذلك مما لا يحيله العقل
ولا الشرع حمله على حقيقته كما في حديث ما بين منبري وقبري روضة
من رياض الجنة ومنبري على حوضي ولذا قال جماعة والقاره بعض المحققين
انه صلى الله عليه وسلم ارسل حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم
بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة **اليه**
**من مكة** التي هي مولده وام القرى وافضلهن عند اكثر العلماء
**الانحاء** اي الجهات والنواحي لانها كانت معمورة بانفاسه صلى
الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحى والانحاء جناس
الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى منحوة اي
مقصودة ورد العجز على الصدر بين نعتت والغنا وناداه ابو ابدا
الابيات **ونعتت بمدحه** اي اظهرت اوصافه الجميلة في صورة
الغنا الذي يتولع به النفس ولا يصبر فيها متسع لغيره
**الجن** المؤمنون وقرت قصته انما لهم وارساله صلى الله عليه
وسلم الى جميع الجن امر معلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره
كما اجمع عليه الامة **حتى اطرب الانس** المؤمنين بل وغيرهم
**منه** اي الجن **ذاك الغناء** الذي سمعوه والطرب خفة تعتري
الانسان عند شدة حزن او سرور ذكرا اهل السير ان اسما بنت
ابي بكر رضي الله تعالى عنهما انها قالت لما خفي علينا امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال
اين ابوك قلت والله لا ادري فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي
ولما لم يدر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من
الجن يسمعون صوته ولا يرونه وانشد هذه الابيات شعر
جزى الله رب الناس خير جزائه • رفيقين حلا خيمتي ام معبد •

مما

الثامن

بما نزلا بالبر ثم ترحلا • فافلح من امسى رفيق محمد • فيا لقصي ما
زوى الله عنكم • به من فعال لا تجازى وسودد • ليهن بني كعب مكان
فتاتهم • ومقعدها للمؤمنين بمرصد • سلوا اختكم عن شاتها وانائها
فانكم ان تسألوا الشاة تشهد • دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد • الضرة لحمة الضرع والصريح
بمهملتين اوله وآخره الخالص اي بلبن خالص مزبد نازل من ضرة
الشاة • فغادرها رهنا لديها لحالب • يرددها في مصدر ثم مورد
اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر قالت اسما فلما
سمعنا قول الجن علمنا اين توجه النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر هجرته الى قديد بمحل قريب رابغ **اقتفى** اي تبع اثره
**سراقة** بن مالك بن جعشم المدلجي قال جاءنا رسل كفار قريش
يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا ديتين فركبت مستخفيا فلما
دنوت منهما عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا
سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو
بكر ملتفت فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات **فاستهوته في الارض**
**صافن** اي طلبت ان يهوي به فيها هذا مقتضى الصيغة
وليس مرادا بل السين لمجرد التاكيد لان الذي في القصة انه
صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوائم
فرسه في الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها فنهضت
ولم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار
في السماء ساطع كالدخان والصافن من الخيل الذي يقوم على ثلاثة
قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر **جردا** اي رقيقة الشعرة

قوله لا تجازى في النور هو بالراء مقتل وفي نسخة من الاستيعاب صحيحة بخط ابن الاثير لا تجازى بالزاي بالقلم وكلاهما له معنى

قوله جعشم بضم الجيم وحكى الجوهري ايضا فتحها وفتح الشين ولفظ لفظ جعشم الرجل القصير الغليظ مع شدة

والقينة سراقة فاستهوته في الارض صافن جردا

ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد يجد الغريق النداء

فصيرتها وهي صفة مدح في الخيل واصله للشجرة التي قلم ورقها
فاستعير للفرس ثم ناداه اي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم
بعدما وصل اليه وقال الامان يا محمد بعدما مصدرية سيمت
الفرس الخسف بفتح اوله وضمه قال الشارح في موضع اي
اولته ذلا وقال في اخرا اي بعد اسامة الخسف للفرس اي بعد
حصول الذل للفرس المذكورة فكان الحامل له على هذا ان
ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما
علمت ان قوايمها غاصت في الارض فحصل لها الخسف الحقيقي
لكن لبعضها فعبر الناظم بسيمت الخسف بالنظر الى كلها اي سيمت
ان يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج الى ما قاله الشارح فتامله
ثم رايت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سمته خسفا
اوليته ذلا او كلفته مشقة ويحتمل ان يريد بعدما قاربت
ان يخسف بها ومن الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها
فهو تذييل انه قد يجد الغريق النداء اي الدعا لله بانكسار
وتذلل كما وقع ليونس صلى الله عليه وسلم قال تعالى وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق عليه بسبب
مغاضبته وفراقه لقومه لاباءهم عليه فنادى في الظلمات
الاية والندا رفع الصوت لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم
او لا يعبؤ به احد فاذا نادى وصاح تنبه اليا سر له وانقذوه
ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما علي فادعوا لي ولكما
ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقفا لي فركبت فرسي حتى
جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ان سيظهر امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس

وعرضت



فطوى الارض سائرا والسموات العلى فوقها له اسراء

وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني اي لم ياخذا مني
شيئا وقالا لا اخف عنا فسالته كتابا امن به فامر عامر بن
فهيرة فكتب لي في رق وقيل في عظم وقيل في خرقة والرق على
قول من قال المراد م اخرجها له يوم فتح حنين فنفذها وامنه
ومن يلوذ به تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض
ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقايع وقعت له
بمكة قبل الهجرة كالاسرا وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذه
كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب في الذكر الترتيب في الواقع
ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها لتتشوف النفس الى حكمة ذلك
وهي انه انقطع بها صلى الله عليه وسلم كل اذى كان يصل
اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استاصل
شأفتهم وقطع دابرهم فطوى الارض في حال كونه سائرا
عليها وهذا كالطويت له قبل ذلك السموات العلى لما كان فوقها
له اسرا ليلة الاسرا الى ان جاوزها جميعا في اسرع وقت
فقطع مسيرة نحو ثمانية الاف سنة في اسرع وقت اذ بين الارض
والسما خمسماية سنة وكذا سمك كل سما وما كل سماين هذا بين
بالنسبة الى السما السابعة وامام ما بينهما وبين ما وصل اليه
مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى
فيا لهما من مسير بل مسيرين مسير في الارض ومسير في السما اظهر
الله عليه فيهما عظيم قدره في سيره واسرائه وافضليته وتقدمه
على جميع خلقه في ارضه وسمائه قال بعض الايمة والمعاريج
ليلة الاسرا عشرة سبع في السموات والثامن الى سدرة المنتهى
والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف

الانوار اي الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع
الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد وقع له صلى الله
عليه وسلم في سني الهجرة العشر مما كان منها مناسبات لطيفة
لهذه المعاريج العشرة ولهذا اختص بوفاته التي فيها لقاء ربه
والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة وهي المنزلة التي لا ارفع
منها كما ختمت معاريج الاسرا باللقا والحضور بحضرة القدس
فصف ايها الناظر في شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته
وما اكرمه الله به تلك الليلة وهي ليلة الاثنين او الجمعة
او السبت من رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووي
في الروضة او الحجة او ثالث عشر ربيع الاخر وجرى عليه النووي
في فتاويه او من ربيع الاول وجرى عليه في شرح مسلم بخمس
سنين من بعد البعث ورجحه النووي او بعشر او باحدى
عشرة او ثنتي عشرة اقوال رجح كلا قوم التي وقع ذلك
الاسرا فيها من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السما ثم الى
حيث شا الله وما اري من ايات ربه الكبرى اي اذكر صفاتها
الجليلة بما يمكنك والاجمال ان تستوعبها او ان تاتي بتفصيل
ما يحيط بها كيف وقصة الاسرا والعراج من اشهر المعجزات
واظهر البراهين والبينات واقوى الحجج واصدق الانبا واعظم
الايات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من
ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي
فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان الاسرا بالجسم في اليقظة
من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وخالف في كونه بالجسم
وكونه في اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسرا التباين

الروايات

الروايات فيه تباينا منتشرا ولا يمكن الجمع بينها الا بدعوى التعدد
بالجسم تارة والروح اخرى مردودة والاصح انه اسرا واحد بالجسم
والروح في اليقظة وان ما خالف الجادة من الروايات ان امكن
تاويله تعين والا حكم عليه بانه وهم كرواية الاسرا كان قبل
البعثة فان الاجماع على انه بعدها على ان ها اولت وكان للمختار
صلى الله عليه وسلم فيها عجايب منها انه جاءه جبريل وفي رواية
وميكائيل وفي اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل نزل اولا ثم
ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب او بيته او بيت
ام هاني بعد ان انفرج سقفه روايات جمع بينها بانه بات
في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف اليه
لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع لاثر
نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق وهو مستمر
بيقظته وفي رواية بانه كان النايم واليقظان محمولة على ابتدا الامر
ورواية فلما استيقظت اي من شغل البال بمشاهدة الملكوت
وحكمة كونه لم يات من باب البيت انه انصب من السما
انصبابة واحدة مارا بمحله الذي هو فيه فلم يعرج على غيره
مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد
ولاظهار انه مراد ثم وقع في موسى بميعاد تنبيها على انه مريد
وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج سقف البيت والتيامه
عقبه تنبيه على شق صدره الشريف تلك الليلة وانه
لا باس عليه ثم مرت قصة شقه هنا عند ذكر الناظم لشقه عقب
رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه
على البراق فكان له عليه استواء اي استقرار وتمكن مع انه

لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الادميون وهو كما صح به
الخبر دابة اي بينهما او هو لبشر يذكر ولا انثى دون البغل وفوق
الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا
وسمي بذلك من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة
برقا اذا كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الى اخره
معناه انه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير
اي يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون
قطع من الارض الى السما في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض
يقع على السما فبلغ اعلا السموات في سبع خطوات انتهى وهذا
انما يأتي على رواية فحملت عليه اي البراق حتى انطلق جبريل
الى السما الدنيا فظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى السما
والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج
كما يأتي وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت
رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية شاذة له جناحان
واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم
كقوايم الابل واظلاف وذنب كذنب البقر وكان صدره ياقوتة
حمرا وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجما فاستصعب
عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم الله
منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسايي وابن مردويه
وكانت تسخر للانبيا قبله ان الانبيا كانوا يركبونها ولم يطلع
عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه
ليس لعدم الالفة بالركوب بل لبعد عهده او ليظهر جبريل له مرتبته
صلى الله عليه وسلم وانها علت على ساير المراتب وانما لم يكن البراق

على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم وامن لا حرب وخوف والى
ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل
وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا له ورواه احمد بلفظ على
ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس واول بعضهم
ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافي كونه في خدمته
وصح انهما مرا بيثرب فامره ان ينزل ويصلي ركعتين فامره
بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام فامره
بذلك واراه عجايب اخرى الى ان وصل الى بيت المقدس فنزلا
وربطه اي جبريل كما مر في رواية لكن في اخرى النبي صلى
الله عليه وسلم ويصح باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التي كانت
الانبيا تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبيا
فصلى بهم وفي رواية اتي بارواح الانبيا اي مع اجسادهم
لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ثم اذن
موذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا
فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي رواية
لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة
على رواية جماعة منهم فيوخذ بتلك الزيادة وفي حديث
ما يدل على انه صلى الصبح في بيت المقدس من بعد العروج
ايضا وتلك الصلاة قبل الصبح اي بنا على انه صلى فيه
بعد العروج وقيل العشا اي بنا على انه صلى فيه قبله
ولما فرغ مما ثم نصب له المعراج كما في رواية ابن هشام
والبيهقي وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة
من ذهب وعن يمينه ملايكة ويساره ملايكة ثم صعد

به هو وجبريل حتى اتيا به الى باب سما الدنيا فاستفتحاه ففتح
لهما وهكذا الى السما السابعة وراى في السما الاولى ادم وعن
يمينه ارواح المومنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره
ارواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى اى انه يكشف له
عنهم وهم في النار التي هي مستقر ارواحهم والنيل والفرات
اي انتهاؤهما وهما والاخرى من سدرة المنتهى وفي
الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي حديث
البيهقي وغيره فاذا انا برجل اي يوسف احسن ما خلق
الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير
الكواكب والمراد غير نبينا صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذي
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا
مشهورا اعتمده النووي في موضع واعتمده اخرون ايضا
ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين
المراد اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه
وسلم وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هارون وفي
السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم وهذه مقدمة
على رواية لم تضبط منازلهم وعلى رواية ادريس في الثانية
وهارون في الرابعة وابراهيم في السادسة وموسى
في السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم
كما صرح به الزهري فالاولى التي فيها انه ضبطها اولى على
انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك بانه راهم في الصعود
على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز موسى بكى فقيل

ما

ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة
اكثر مما يدخل من امتي وبكاؤه ليس بحسد حاشاه الله من ذلك
بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة اجوره بسبب قلة
اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية له او رحمة لامته لما وقع
منهم من تعنت مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر
منه سنا ولان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة
تخصيص هولاء باللقا الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من
الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكمعاداة
اليهود له اوايل الهجرة كما عادوا عيسى وارادوا قتله ويحيى وقتلوه
وكرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم هارون الى محبته وكمعالجته
لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة ومنعه
لها كما وقع لابراهيم ومن ثم راه مسندا ظهره الى البيت
المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق
الى الابد كل يوم سبعون الف ملك فلا يعودون اليه واخذ
منه ان الملايكة اكثر المخلوقات واختلفوا في روية هولاء الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع
بجسده وكذا ادريس على قول واختلف قايلوا هذا في الذين صلوا
معه في بيت المقدس فقيل الارواح ايضا وقيل الاجساد وقيل
خرق الله له الحجب حتى راى كلا في قبره من المحل الذي اخبر به وقيل
رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى
الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السما السابعة ورفعت له سدرة
المنتهى فراها وقد غشيها من امر الله ما غشي حتى تغيرت فما احد
من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وراى النيل والفرات

وترقى به الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء

وسيحان وجيحان يخرج من اصلها ورواية انها من الجنة لا تعارض
ذلك لان ذلك ينبع منه تلك الانهار فى الجنة فلا ينافى ما قيل
اصلها فى السما السادسة وعليه تحمل رواية انه راها فيها واعلاها
فى السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيهما وسميت بذلك لانه ينتهى
اليها علم الخلق ولم يجاوزها احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم
قاله النووى وينبغى حمله على انه لا يجاوزها من الملايكة
الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتى انه صلى
الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام اى
اقلام الملايكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به صلى
الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى حتى ظهر بمستوى اى محل عال
يسمع فيه صريف الاقلام الملايكة اى تصويتها بما يكتبونه من اقضية
الله تعالى وفى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب
ثم زج بى فى النور فخرق بى سبعين الف حجاب كل حجاب
مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف اخضر ثم احتملنى حتى
وصلت الى العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هى بالنسبة
للمخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شئ وصح عن انس عنه
صلى الله عليه وسلم قال عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار
اى بقربه المعنوى كما ارشد اليه قوله رب العزة جل جلاله فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى كما قال الناظم وترقى اى صعد البراق
به الى قاب قوسين وقاب القوس ما بين مقبضه والحرو سيره
ولكل قوس قابان ومن ثم قيل فى الاية قلب اى قابى قوس ويرده
بانه لا ينبغى بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى
من ربه بقرب قاب القوس اذا الصق بقاب قوس اخر ثم رايت

بعضهم

بعضهم قال قاب قوسين اى مقدار قوسين وقاب قوس اى قدر
طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهرى يقول بينهما
قاب قوس اى قدر قوس تنبيه ما افهمه كلام الناظم
ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت
عليه رواية البخارى ولفظها فحملت عليه فانطلق بى جبريل
حتى اتى السما الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بى حتى اتى
السما الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق
الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر
وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس
لا غير ولهذا التنافى ذهب بعضهم الى ان الاسرا على البراق
وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السما
لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافى وانما الذى
ذكر ذهابه عليه من مكة الى السما اختصر ذكر بيت المقدس
وفيه نظر لان رواية البخارى السابقة صريحة فى انه
لا معراج وانه استمر راكب البراق الى السما الدنيا ثم التى
بعدها وهكذا وجرى عليه الناظم كما علمت والجواب
الاولى جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج
معه زيادة علم تقدم وعليه فيكون لما وصل فى المعراج الى سما
الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها ولهذا اعنى
رواية البخارى الظاهرة فيما فى النظم والجمع بينهما
وبين الرواية الاخرى المشهورة التى عليها العمل يظهر
عذر الناظم فى ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن فى جزمه
به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله لسما الدنيا يحتمل انه

علي

اسشمر راكبا البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه حي له به ثانيا
على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شي تعظيما
للسموات ومن فيهن اذهن افضل من الارضين عند الاكثرين
وعلى مقابله المنصور لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من
الملايكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبيا والملايكة
لا يقال السما لم يعص الله فيها احد بخلاف الارض لانا
نقول هذه مزية وقد يكون في المفضول مزايا على ان ذلك
منتقض بما وقع لادم وحوى وابليس وادعا انهم لم يكونوا
في السما يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية تقع في محل
دون محل يقتضي افضلية الثاني لذاته غير مسلم فعلى مدعيه
اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الى اخره ولم نقل
بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات في هذا الامر الجزي لا يقتضيه
على ان ما وقع تلك الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكر في كل من
رواية الى السما ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد
الاسرا وعدم تعدده فتامل ذلك كله فانه مهم واعلم ان
هذا التدلي والدنو المذكور في حديث انس وغيره من احاديث
المعراج غير الدنو والتدلي في اول سورة النجم فان هذا
في حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم
يره في صورته التي خلق عليها الا في هذه المرة المذكورة في الاية
ومرة اخرى عند اوايل البعثة كما مر وتلك المرتبة التي وصل
اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي السيادة العظماء
اي الثابتة الدايمة التي لا يطرقها نقص تغير ولا زوال ولما وصل

صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذي لم يصل اليه مخلوق فرض
الله عليه وعلى امته في كل يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر
على موسى فسأله عما فرض عليه وعلى امته فاخبره فامره ان يرجع
الى ربه ويساله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسال
فحط عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا
وهكذا الى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بني اسرايل
فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربي
وفي رواية علمت انها عزمة من ربي فلا اراجعه فقال تعالى
هن خمس اي في الفريضة وهن خمسون اي في الثواب لا يبدل
القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة انه صلى الله عليه
وسلم لما شاهد تعبد الملايكة فيها وان منهم مديم القيام
ومديم الركوع ومديم السجود اعطاه الله ذلك كله في
ركعة يصليها الواحد بشروطها وادابها واختص موسى
صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات
هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم امتي فقال الله
تعالى تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني منهم وهو حديث مشهور
فكان اعتناوه بهم كما يعتني بالقوم من هو منهم ومن ثم قال
صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفي رواية
كان اشدهم علي حين مررت به وخيرهم لي حين رجعت فايدة
اختلف العلما قديما وحديثا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم
راى ربه في هذا المقام الذي وصل اليه دون غيره من الخلق
بعيني راسه او بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس
في رواية انه راه بعيني بصره وفي اخرى انه راه بقلبه ولا تخالف

عنه
لانه صح كما رواه الطبراني باسناد رجاله رجال الصحيح والاولى حملا
فوثقه ابن حبان انه راه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب
بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم
لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية وروايه ابن مردويه عنه
لم يره لم تصح وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفي وجا عن انس
باسناد قوي راى محمد ربه واطلاق الروية انما ينصرف لروية
العين وكان الحسن البصري يحلف انه راى ربه وبذلك قال عروة
وساير اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري
ومعمر واخرون وتوقف الاشعري وغالب اتباعه وانكرت
عايشة وابن مسعود الروية قال النووي لكن خالفهما غيرهما من
الصحابة والصحابي اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة
لها فيما صح عنها انه مسروقا قال لها لما انكرت الروية الم يقل الله
ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله
هل رايت ربك قال لا انما رايت جبريل وذلك لانها سالت عما في الاية
فاجابها بانه لم يره اي في قصة الاية وقد مر انها قصة المعراج
وان التدلي والدنو الذي في قصة المعراج غير ما في الاية ولا حجة
لها في لا تدركه الابصار لان المراد لا يحيط بحقيقة ذاته العلي
بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساويهما
بالنسبة للمري وسوال موسى اياها في الدنيا اظهر دليل على ذلك
اذ لا يجوز على نبي ان يسال محالا وانكار المعتزلة فيحرمهم الله لها حتى في الاخرة
من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها في الدنيا لم
تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح في مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى

لموتوا

تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقال نور اني اراه اي النور حال بينه وبين رويته
ببصره فكيف يراه مع ذلك النور فلا ينافي وقوع الاولى وسيل احمد
رضي الله عنه عن قول عايشة من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم
على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم
رايت ربي فقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر واذا تاملت ما وقع له
صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا من الكرامات التي تميز بها على ساير
الخلق علمت انها رتبة جليلة **تسقط الاماني** جمع امنية **حسرى**
جمع حسير اي معيي **دونها** ظرف لتسقط اي لجلالة هذه الرتب وعزتها على
الخلق سقطت امنيات نفوسهم وتخلفت طلباتهم وامالهم عن نيل هذه
الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن
التاهل لها ولم لا وهي **ما وراهن وراء** اي ما قدامهن قدام بمعنى
انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم
**ثم** لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر بعير
لقريش يحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سودا وبيضا فلما
حاذا العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم
عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد وراى بعيرا ضل وجمعه
واحد منهم ثم **وافا** مكة قبل الصبح فاصبح **يحدث الناس**
بما راى من تلك العجايب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما
بنعمة ربك فحدث **شكرا** اي من جهة الشكر لاجل قيامه بشكر ربه
او حال كونه شاكرا لانعم **اذ** اي لاجل او وقت **اتته من ربه النعما**
في تلك الليلة وحينيذ ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون
لابي بكر رضي الله عنه وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت

وقوم انه راه مرة ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه حصول ذلك

رتبة تسقط الاماني حسرى دونها ما وراهن وراء

وافا يحدث الناس شكرا اذ اتته من ربه النعماء

المقدس وجائني ليلة فقال صدق فانكروا عليه فقال اني لاصدقه
فيما هو ابعد من ذلك افلا اصدقه في خبر السما في غدوه وروحه
فلذلك سمي الصديق رضي الله عنه رواه الحاكم في مستدركه
وابن اسحاق وزاد ان ابا بكر جاه فقال يقولون انك الليلة
اتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لي فاني جئته فوصفه
له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظره ويصفه وابو بكر يصدقه
وقوله له صفه انما هو ليرد به على من تشكك في ذلك ورفعه
له حتى نظره رواه البخاري وكذا مسلم وزاد انهم سالوه
عن اشيا فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ورفعه
له اما بجملته او بمثاله ووضعه له قريبا منه وعليه تحمل رواية
البخاري فجي بالمسجد اي بمثاله واما بحمل المسجد بنفسه اليه وهذا
اظهر لما مر في واستنا قت اليه من مكة الانبيا ونظيره مجي
عرش بلقيس الى سليمان صلى الله عليه وسلم في طرفة عين
واما بازالة الحجب بينه وبينه ولهذا ظهرت الحكمة
في الاسرا الى بيت المقدس ثم العروج الى السما لما تقرر
ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع
علمهم بانه لم يذهب اليه قط اوضح اية على صدقه صلى
الله عليه وسلم في جميع ما اخبره من امر السما ومما اخبرهم
به انه قال لهم ان من اية ما اقول لكم اني مررت بعيركم
في مكان كذا وقد ضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم
ينزلون بمكان كذا وياتونكم يوم كذا يقدمهم جمل ادم عليه
مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس
ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير

كما وصف وفي رواية اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعا فلما كان
يومه كادت شمسه ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى
فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وافا **وتحدى** قوله م
صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع ليلة الاسرا لدم
وما تقدمه من المعجزات بانشقاق القمر اي طلب منهم ان
يعارضوا ما جا به شاهدا على نبوته بابداء نظيره والا كانوا بلغ مقابله
كاذبين مدحوضين **فارتاب** اي شك وخرس **كل مريب**
فانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من
اسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم عن معارضته
اتضاح امره صلى الله عليه وسلم وانه لم يبق فيه شك ولا ريب
ومن ثم قال منكرا على من بقي عنده من ذلك شك ايتضح
ذلك الامر **ويبقى** معه ريب لا بل اتضح وما بقي معه شك اصلا
وكيف يبقى **مع السيول** حال من قوله **الغثاء** وهو بضم المعجمة
وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات فكما ان هذا
الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في اسرع
وقت فكذلك ما جا به صلى الله عليه وسلم من الايات
البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لو لا الخذلان
الالهي شك بل يذهب ويضمحل في اسرع وقت فعلم
انه شبه الشك لما اتى به صلى الله عليه وسلم
من الايات البينات والبراهين الواضحات لان بها
الحياة الحسية وجعلنا من الما كل شي حي كما ان ما جا به الحياة
المعنوية والغثا لما يحملوه لانه امر حقير لا بقا له كما ان

وتحدى فارتاب كل مريب او يبقى مع السيول الغثاء

الغشا كذلك وفي ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفي الهم بالجملة
الاستفهامية التذييل نحو وهل يجازي الا الكفور تنبيه
ما قدرته بعد همزة الاستفهام هو راى الزمخشري ومن تبعه
وهو التحقيق وان كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور
فيقدر في نحو اولم يسيروا في الارض امكثوا ولم يسيروا وفي
افلا تعقلون اتجهلون فلا تعقلون وفي اثم اذا ما وقع
اتكفرون ثم اذا ما وقع امنتم به فالهمزة في الكل في محلها
الاصلي والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف
محافظة على اقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم
ولا تاخير ورده ابو حيان لذلك بانه تقدير ما لا دليل عليه
وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد وفيه نظر بل
اليه حاجة ومن ان المعنى معه اقوم واوضح مع رعاية قاعدة
الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اضطراده ممنوعة لان السياق
حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك المحذوف واعلم ان الهمزة
اصل ذوات الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا
ربي في المواضع الثلاثة اي هذا ربي وفي وتلك نعمة تمنها
علي اي اوتلك وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق اخرى
وهل تختص بالثاني والبقية بالاول وبانها تتقدم على
العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتاخر عنه وبانها
تدخل على الشروط نحو افان مات او قتل وعلى الاثبات
**وهو يدعو** حال من فاعل تعدى اي تحدى الناس والحال انه صلى
الله عليه وسلم مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما امر به من التبليغ
والدعا **الى الاله** اي المعبود بالحق الذي لا يعبد غيره وهو

وهو يدعو الى الاله وان شتو عليه كفربهم وازدرا

الله

٢٩

الله تعالى وفي الى والاله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون
الاله اسم جنس في الاصل لكل معبود لان الائمة اعرضوا
عن هذا الاصل واستعملوه في المعبود فقط فصار علما بالغلبة
ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعاوه الى الله تعالى **وان شتو عليه**
**كفريه** اي الاله او النبي **وازدراء** اي احتقار وانتقاص له
فهو مديم لذلك الدعا متحمل المشقة انكارهم وقبيح كفرهم
وازدرايهم والمجابه اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم
كان يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا ايها الناس
ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وابو لهب
عمه وراه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابايكم
ورماه الوليد بن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه
على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم
من كان يحثو التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطي عقبة
ابن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة
حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجبذوا راسه
ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه قايلا اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وصح ان عقبة بن ابي معيط لف بعنق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفنا الكعبة فخنقه خنقا شديدا
فقام ابو بكر ورفعه عنه وروى احمد في مسنده اول من اظهر
الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار
وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى اي عن القتل بعمه ابي طالب
واما ابو بكر فمنعه الله تعالى بقومه واما سايرهم فاخذهم

له صح

بحا
ودفعه

المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وآت
بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل فجعلوا يطوفون به
في شعاب مكة وهو يقول احد احد اي لم يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان
ومن اللعين سمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها ابو جهل
بحربة في فرجها فقتلها واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر
رضي الله تعالى عنه اعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم
الزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة فعميت
فقالوا ما اعماها الا اللات فقالت كلا والله ما هو كذلك
فرد الله عليها بصرها وهو مع ذلك ايضا بدا للورى
اي الخلق وكان الناظم اخذ هذا من الحديث الصحيح وارسلت
الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين
بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما الملائكة فعلى الاصح
عند جمع محققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا ليشملهم لان العالم ما سوى الله
واستعمال هذا للعقلاء انما هو لتغليبهم بعضهم كقول الرازي
اجمعنا على ان المراد الانس والجن مؤول بل مردود واما بعثه
للجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محققي المتاخرين ومعنى
ارساله الى الملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه
والايمان به واشادة ذكره وللجمادات انه ركب فيها
ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده
اي حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه على الله
اي على العلم بذاته واسمائه وصفاته وافعاله وبما يجب له
من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل وكلما المستحيل

الى

التاسع

اي على غايات الكمال وبما يجوز لهم من ايجاد الخلق واعدامهم وبما يمتنع
عليه من المحالات التي لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر في محله
وبالتوحيد اي بطلبه منهم توحيده تعالى بان يقروا بانه تعالى
واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه
وافعاله فلا معين ولا شريك له بوجه فظاهر المتن ان الباء
في بالتوحيد بالآلة نحو كتبت بالقلم ويوجه بان العلم بالتوحيد
كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى واسمائه
وصفاته وافعاله كما تقرر وهو اي العلم بكل ذلك والدلالة عليه
المحجة اي الطريقة الى رضى الله تعالى التي امر بها وحث عليها
البيضا اي النيرة المضيئة الواضحة لا يضل سالكها
ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس من قوله
صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضا ليلها كنهارها
ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه
وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما اشار الناظم
اليه بقوله وان شق عليه الحاجر اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من اكابر
اتباعه كما قال فبما الباء زائدة رحمة واصلة اليه من الله
اي وهي في الاصل ميل وعطف نفساني غايته التفضل والانعام
او ارادتهما والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل
على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القرآن او السنة لله
تعالى واستحال عليه معناها يراد بها غايتها اي فبسبب
رحمة من الله لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسوله وصبره عليهم
كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذي
اقتبس منه الناظم هذا ايقظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر

وعمي لحبيبتيه **لانت صخرة** هي الحجر العظيم **من** بيانية وجعل الشارح
ذلك صفة لصخرة مع كون من بيانية بعيد **اباؤهم** اي امتناعهم
**صماء** اي صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه
يظهر حسن التقابل بين لانت وصما وهو من الطباق ويسمى
المطابقة والتضاد ايضا وهو ان يجمع بين معنيين متقابلين
في الجملة بتضاد او نفي او اثبات او عدم وملكة او نحو
ذلك اي زال امتناعهم من طاعته فيما يامرهم به فاطاعوه
واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التي في غاية الصلابة لابائهم
عنه اولا اذ كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والايذاء
له صلى الله عليه وسلم ولينها لزوال صلابتها لاتباعهم له
صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه
اخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته
لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من
احببت ولكن الله يهدي من يشاء **و** بعد ان لانوا له صلى الله
عليه وسلم ببركة لينه لهم لم يزل يتزايد لينهم حتى **استجابت**
**له** اي اجابت دعوته وامتثلت اشارته **بنصر وفتح** اي مع
او بسبب ما اعطاه الله من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع
والقاء الرعب في القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم
واستئصال شافتهم **بعد ذاك** اي الضعف الذي كان به
صلى الله عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحزب قتال الاعداء
وتصميمهم على مناواته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم
وعددهم **الخضراء** اي السما سميت بذلك لانها ترى كذلك
فقد قال القاسم بن ابي بزة ليست السما مربعة لكنها

مقبوة



مقبوة يراها الناس خضرا وبين الثوري سبب ذلك فقال
بلغنا ان صخرة تحت الارض اي خضراء كما في حديث البزار وغيره
منها خضرة السما وليست في الحقيقة كذلك للحديث انهم
قالوا يا رسول الله ما هذه السما قال هذا موج مكفوف
عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضي الله عنهما السما من اي
شي فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول علي كرم الله وجهه
ورضي عنه في حلفه والذي خلق السما من ما ودخان وقال
كعب السما اشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن انس السما
الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد
والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة
ياقوتة حمرا وجاء عن سلمان الفارسي رحمه الله تعالى لكن بسند
واه السما الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة
والثالثة من ياقوتة حمرا والرابعة من درة بيضا والخامسة
من ذهبة حمرا والسادسة من ياقوتة خضرا والسابعة
من نور **والغبراء** اي الارض سميت بذلك لان جميع طباقها من طين
كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما اراد الله ان يخلق الاشيا
اذ كان عرشه على الما وان لا ارض ولا سما خلق الله الريح
فسلطها على الما حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج
من الما دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلا وسما فخلق
منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد
الجبال وبين الخضرا والغبرا ما مر في لانت وصما لكن هذا يسمى
التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السما والارض
له صلى الله عليه وسلم استجابت اهلهما ويحتمل انه استعار

السما للرفيع من الناس كالارض للوضيع اي لجابه الرفيع والوضيع
حتى لم يتخلف من اهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم
او مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابت اهل الارض
بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييد استجابت اهل
السماء بها فهو بمعنى انهم تنزل الملايكة لنصرته لا ابتدا وما
بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقارعه صلى الله عليه
وسلم في القلوب والاذن له في الجهاد والفتح عليه ومن جملة
استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه اطاعت لامره وهو
القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ولنهيه وحذفه
لفهمه بما ذكره العرب بضم فسكون او بفتحتين كما هنا
وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم العربا ويقال العاربة
وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة
وفي القاموس والعرب بالتحريك خلاف العجم اي بالضم والتحريك
ايضا كما ذكره في مادته وهم سكان الامصار او عام والاعراب
منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع اعاريب وعرب
عاربة وعرباء وعربة وعربات وعربا صرحا اي خلص ومستعربة
دخلا ثم قال ويعرب بن قحطان ابو اليمن وقيل اول من تكلم
بالعربية وفي النهاية الاعراب من العرب سكنوا البادية
الذين لا يقيمون في الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب
اسم لهذا الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن وفي الصحاح
ليس الاعراب جمع عرب اي لان الجمع لا يكون اخص من واحده
وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابي هو البدوي
والعربي هو المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمي

واطاعت لامره العرب العرباء والجاهلية الجهلاء

الذي

الذي لا يفصح وان كان بدويا والعجمي المنسوب للعجم انتهى وبين
المبرد في كتاب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما
وعدنان هو الجد الاعلى للنبي صلى الله عليه وسلم وساير
العرب العربا وبينه وبين اسماعيل ثمانية اباء وقحطان
قال الكلبي هو الهميسع ابن بنت اسمعيل عليه السلام والجاهلية
الجهلا هو كالعربا فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظي
كليل اليل وخص هذين لان تقدمهما على الكفر بلغ من القوة
والشدة ما لم يبلغه تقدم غيرهما وتوالت اي تتابعت للمصطفى
صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله الاية مفرد محلى بال فيكون في معنى
الايات وايضا فالتوالي انما يكون في متعدد اي العلامات الدالة
على نبوته والمدحضة لما تقولوه وافتروه وعليه علقه
الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان
التالي فيه افادة انما توالي له انما هو اياته الخاصة به لا اية
من تقدمه الكبرى عليهم كالقران وانشقاق القمر وتوالت
له عليهم ايضا الغارة على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم
وهي اسم مصدر لاغار الشعواء بالعين المهملة اي الفاشية
المتفرقة المحيطة بهم من ساير الجوانب التي لم تظفر لهم
بنفس او مال الا اهلكته وبعد ان استجاب له اهل السما والارض
ودخل الناس في دين الله افواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار
اذا ما زايدة تلى اي قرا كتابا انزل عليه من الله وهو القران
تلته اي تبعته لاجل القراة معه او استماع قراته الكتايب
مزدحمين عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما كتيبة بالفوقية
اي جيش خضراء اي يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه

وتوالت للمصطفى الاية الكبرى عليهم والغارة الشعواء

فاذا ما تلى كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

وكفاه المستهزئين وكم سا نبيا من قومه استهزاء

سواد العراق لانه لكثرة شجره وهو من بعيد يرى اسود وهي كتيبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل صلى الله عليه وسلم
مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير
ولما راها ابو سفيان راى ما لا قبل له به فقال للعباس
لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك
انه ليس بملك ولكنها نبوة وروى البخاري عن عبد الله بن مغفل
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على
ناقته وهو يقرا سورة الفتح ويرجع وقال لولا ان تجتمع
الناس حولي لرجعت كما رجع وبين تلا وتلته وكتاب وكتيبه
تجنيس الاشتقاق او شبهه وكفاه صلى الله عليه وسلم
ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقيا الذين زادوا في ايذائه
والعتو عليه المستهزئين به كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين
وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون في ايذائه
والسخرية به اي تولى اهلاكهم من كفيت فلانا المونة اذا توليتها
له فلم يحوجه اليها او مع توليه تعالى لهلاك المستهزئين به
سلاه فاعلمه ان هذا ليس خاصا به بل الانبيا قبله كانوا كذلك
بقوله عز قايلا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومن ثم
اقتبس المص من هذا بقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك
الاية وكم مرات كثيرة سا اي احزن نبيا بينهما الجناس
المصحف من قومه متعلق بقوله استهزاء اي سخرية وايذاء
ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة او شعر او مثل
سائر وذكرنا التلميح هنا مع كثرته في كلامه لانه هنا اظهر
باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتنا بها وفيه ايضا

التذييل

---

ورماهم بدعوة من فنا البيت فيها للظالمين فنا
خمسة كلهم اصيبوا بداء والردى من جنوده الادواء

التذييل والمثل السائر في الجملة الاسمية ورماهم اي اصابهم
بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم القاتل
الى من رمي به فيهلكه من اي بدعوة كاينة في فنا البيت
اي حوالي الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال امرت ان اكفيكهم
ثم اشار الى كل بما اصابه وذلك لا ينافي دعاه عليهم لان
دعاه كان سببا لاشارة جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك
ويجوز تعلق من برمي والها لابتدا الغاية وبعيد لكن فيه
دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة
الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن
قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله فيها اي تلك الدعوة
للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان
سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم
والظلم وضع الشي في غير محله فنا اي استيصال لهم حتى لم
يبق منهم احد وبين فنا وفناء جناس محرف لاختلاف حركة
الفا خمسة بدل من المستهزئين او الظالمين ويصح رفعه اي
هم وخمسهم مع ان من المستهزئين ابا لهب وزوجته وعقبة
ابن ابي معيط والحكم بن العاص لانهم اشدهم ولذا عجلت
عقوبتهم كلهم اصيبوا بداء عظيم والردى اي الهلاك
من جملة جنوده المعينة عليه الادواء جمع داء وهو المرض
وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل
له اي انما اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل اسباب
الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين دا
ودواء جناس ناقص كما مر ثم وصف ذلك الداء الذي

ودهى الاسود بن مطلب اي عمي ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كاس الردى استسقاء

اهلكهم الله به فقال **فدهي** من الداهية وهي الامر العظيم المهلك **الاسود بن مطلب** بن اسد بن عبد العزى فهو اسدي **اي عمي** اي عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته حتى لم يبق تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الا عمى البصيرة **ميت به** اي بسبب ذلك العمى **الاحياء** في حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين وانه قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لك وبما تقرر علم ان ميت مبتدا وما بعده سد مسد الخبر اي ان من شان هذا العمى انه لو وقع للاحيا صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة موكدة لما افاده تنوين عمى بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكانه يريد ان يجمع به بين راى البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرح به فيكون راياً ثالثاً لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا لقال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة في قولهم خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيل لا تلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحيا الطباق **ودهي** ايضا **الاسود بن عبد يغوث** بن وهب بن مناف بن زهرة فهو زهري ويغوث في الاصل اسم صنم **ان سقاه كاس الردى** اي الموت **استسقاء** حصل له في جوفه واستمر به حتى اهلكه وهو داء خبيث على انواع المراد منها هنا الزقي

وهو

وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العاص فلله النقعة الشوكاء

المكتبة ... قسم مخطوطات

وتوا منلا الامتعلا لما الفاسد المبطل المجاز العزيزي المفضي الى الهلاك عن قرب وبين سقا واستسقا جناس الاشتقاق وتشبيه الردى بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقي استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية **واصاب الوليد** بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومي **خدشة سهم** اي اثر جرحه باسفل رجله من شخص في يده نبل وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من ان ينحني لقلعها فضربها بالسوط فاصاب رجله فتاكلت وما ت منها قبل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه واشنع من سم الافاعي فلذلك **قصرت عنها** اي عن تلك الخدشة **الحية الرقطاء** اي التي يخالط سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات اذا وجه فقصورها عنها في الافضا الى القتل ان الحية قد ينفع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لانها اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رايت ان بعضهم قالوا انما كان ما اصاب الوليد اعظم لان الحية انما تهلك بواسطة السم وهذا بلا واسطة انتهى وما ذكرنا اوضح ولحسن كما لا يخفى **وقضت شوكة** دخلت في اخمص رجل العاص **على مهجة العاص** بن وايل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمي اي قتلته قتلا عجيبا او من ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال **فلله** هذه **النقعة** من قولهم الناس نقايع الموت اي انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة **الشوكاء** من قولهم بردة شوكاء اي خشنة الملمس اي ما اعجب هذه القتلة الشديدة التي حصلت له من تلك الشوكة القليلة التاثير عادة فلله درها من شوكة نحرته في اسرع وقت

وقفت على الحارث اي مولى الطلاطلة بالحوت القاطع الفتوح
جمع فتح وهي المدة البيضا التي لا نجا لطهادم والحال انه قد
سال لها راسه وساء اي قبح ذلك الراس الذي هو الوعاء
لتلك الفتوح القائلة لصاحبه وبين سال وسا الجناس الناقص
وفي الحكم يسا الوعا التذييل هولا الملاعين خمسة طهرت
بقطعهم ايها لا كهم الارض اي مكة ونواحيها ومطلقا لان
ضررهم يسري الى جميع البلاد فلف الاذى الذي كان يصل للناس
لا سيما للنبي صلى الله عليه وسلم منهم بهم اي بسبب فقدهم
او مع فقدهم شلاء اي فاقدة الحركة فعلم انه شبه الاذى
بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى
لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده باي وجه
كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التي يتناول
بها سائر المضار التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى
لفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تاثير ففيه استعارة مكنية
تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح
فديت بالبنا للمفعول يقال فداك بفتح اوله فيقتصر وبكسره
فيقصر ويمد وهو دعا مستعمل للتعظيم وهو من خبر الانشا
اي لو امكن ان يكون فدا احد من الموت لسالت ان يكون هولا
فداهم او المراد اللهم اجعلهم فداهم من المؤذيات وقوله
ان كان للكرام فداء الدال على انه لا فداء لهم يدل على المعنى
الاول خمسة الصحيفة الاتي بيانهم بالخمسة الملاعين
السابق ذكرهم اي جعلت هولا جميعهم فداء لكل واحد من اوليك
من كل مكروه فالمقابلة هنا من باب ركب القوم دوابهم ان

جزاؤها

جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله عليه كان للكرام فداء واوليك
الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين
يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدايد ان نفع الفدا لانهم
بذلوا نفوسهم في امر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان
قريشا لما رات عزة النبي صلى الله عليه وسلم بامره في سنة خمس
من النبوة بضعة عشر من اصحابه صلى الله عليه وسلم منهم
عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة
الى الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة
ايام وبفشو الاسلام في القبائل اجمعوا على ان يقتلوا النبي
صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فاتوا اليه بعمارة بن
الوليد اعتق فتى فيهم لياخذوه بدل ابن اخيه فابى وجمع
بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوه لذلك حتى كفارهم
حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا
ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان
لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا
منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بعضهم
فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تاكيدا لحفظها
وبقيا بها ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم
وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب
فكان مع قريش لعنه الله فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا
حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شي الا سرا حتى ان حكيم بن حزام

حمل غلامه حبا يريد عمته خديجة رضي الله تعالى عنها فلقيه
ابو جهل اللعين فتعلق به واراد ان يفضحه فانتصر له
ابو البختري بن هشام بن الحارث بن اسد وقال خل سبيله
فابى فاخذ له لحي جمل فضربه به فشجه ووطيه وطيا شديدا
فلما مضت تلك المدة قام اوليك الخمسة في نقض تلك الصحيفة
وكان راسهم هشام بن الحارث لعمرته بعمه الذي هو اخو عبد
المطلب ومن ثم كان واصلا لبني هاشم فكان ياتيهم ليلا بالبعير
وعليه الطعام الى فم الشعب فيخلع خطامه ويضربه حتى
يدخل ولعمرة هشام بعمه هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت
عبد المطلب فقال ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب
وتنكح النسا واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت
رجلا معي لنقضتها فقال انا معك فقال ابغنا ثالثا فقال
قد وجدت زهير بن ابي امية فذهب الى المطعم واستنخاه
حتى قال لو وجدت رجلا قال انا قال ابغنا ثالثا قال قد
قد وجدت زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب
الى ابي البختري واستنخاه ايضا فقال وهل من معين فذكر
له اوليك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة واستنخاه
فقال هل من احد فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا
على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا
غدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف سبعا ثم اقبل على
الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنوا
هاشم فيما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة
القاطعة فقال له ابو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق

فقال له زمعة

زمعة انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حيث كتبت وقال
ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقر به وقال
المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرا الى الله
منها ومما كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل تشاورون
فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة
ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض
ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب
يا عم ان ربي سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما
هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان
فقال اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك
وقال ان لو هافان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته
اليكم فنظروها فاذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا
شرا وذلك انه لا مانع انهم لما نظروا ذلك وازدادوا شرا
قام اوليك الخمسة في اذهابها من اصلها فسعوا في نقضها
وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان ابا طالب انما
اخبر بعد سعيهم في نقضها وتبعه انتهى ان الاخبار بذلك حينيذ
ليس له كبير جدوى فالاولى بل المتعين ما قدمته اذ لا تغرر
ذلك علم انهم **فتية** اي كرام جمع فتى وهو السخي الكريم
وفيه تصريح بما اومى اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق **بيتوا**
اي دبروا واشتوروا بالحجون ليلا **على فعل خير** وهو نقضها
والمخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش في ابقايها مع كثرتهم
وعتوهم **حمد الصبح** اي الفجر او الصباح وهو من الفجر
الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمسا الذي هو من الزوال

فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح امرهم والمسا

الى الغروب **امره** اى شانه وغايته **والمسا** واسناد الجهد لهذين الزمانين
مجازدال على شدة المبالغة فى وقوع الجهد وطلبه على فعل ذلك الجهد
لان الزمان اذا جهد على ذلك فسائر العقلا اولى واحق بذلك وبين
الصبح والمسا الطباق كشدة والرخا والنقض والابرام فيما
ياتي وجعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق
لا ينافي على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين
فى الجملة كامر مبسوطا **بالامر** بفتح اللام وهو نقضها وناداه
على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى
تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم
بالله وللدواهى اذا تعجبوا من كثرتها **اتاه بعد هشام** بن الحارث
ابن حبيب بن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لوى فهو عامري
وقدمه لما مرانه اول الخمسة والسبب فى اجتماعهم **زمعة** بن
الاسود بن المطلب بن اسد **انه** بالكسر استيناف فيه معنى
التعليل لكونه اول من كذب ابا جهل ورد عن هشام كما مر **الفتى** اى
الكريم فى قومه **الاتاء** صيغة مبالغة من ابى فعيله مع اتاه جناس
الاشتقاق كما فى قديت وفدا **وزهير** بن ابي امية بن المغيرة
وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
**والمطعم بن عدى وابو البخترى** واى هولا الخمسة النقض
لا عن اتفاق ومواطاة بل انما اتوه اتيانا كاينا **من حيث** ظرف
مكان حقيقة او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز
فتحه وجره وحاث وحوث واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة
لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم اضافتها الكلية
اندر فتعوض ما وتصرفها نادر بل انكره ابو حيان والغالب

كونها

كونها فى محل نصب على الظرفية او خفض بمن ولا تقع اسم ان
ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم الفارسى رحمه الله تعالى
انها فى الله اعلم حيث يجعل رسالاته مفعولا به اذ المعنى
انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه
لا شيا فى المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هولان
اعلم اى افعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان اول
بعالم **شاوا** اي من المكان الذى قصدوه لتدبير امرهم
ونشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه
ونتج الانتاج الذي دبروه **نقضوا** بدل من نقض او خبر من نقض
العهد اي ابطله **مبرم** اى محكم واصله كالبرم الحبل الذي
جمع من مفتولين ففتلا حبلا واحدا **الصحيفة** التى توافقت
قريش على ابقائها على الدوام الا ان يسلم بنو هاشم والمطلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم **اذ** اى وقت او لاجل ان **تسدت**
اى صممت **عليه** اي على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك
الصحيفة **من العدا** بيان لقوله **الاندا** جمع ناد وهو العشيرة
ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث
والتسمر سمي من فيه باسمه اى نقضوا هذا الامر المبرم وهو
الذي قواه عشايرهم وصمموا عليه **اذ كرتنا** بعد نسيانا
جملة استينافية لبيان ان اكل الارضة للصحيفة نظير اهو
اكلها العصاة سليمان عليه الصلاة والسلام **باكلها** 
لتلك الصحيفة والضمير مفعول اذكر الثاني **منساة** اي عصى **سليمان**
ابن داود عليه الصلاة والسلام لما مات وهو متكى عليها فصار
كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيداومون فيما سخرهم فيه

فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة لمنسأته
فخر ساقطا وعلموا حينئذ ان لهم سنة مسخرين في العمل وانهم
لكاذبون في ادعائهم علم الغيب ولذا قال تعالى عز قائلا فلما
قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته
فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين الارضة بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهي دويبة تاكل خشب
الخشب اكلا ذريعا الخرساء فيه تعجيب من شانها اذ ليس من شان
الاصم الاخرس التذكير واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد
النطق عما من شانه النطق وبها اي وبا كلها الصحيفة لخبر النبي
صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو لخبر قريشا كما مر مبسوطا
وكم اي مرات كثيرة لخرج صلى الله عليه وسلم اي اظهر له الغيوب
خباء اي ساترة وبين خبا وخباء الجناس المحرف وفي كم الى اخره التذييل
تنبيه ان احد مما يجب على كل احد ان يعتقد ان الله تعالى
هو المختص بعلم الغيب وانما حصل لرسله واوليائه منه فهو
اما بوحي من الله او الهام والاستثناء في قوله تعالى فلا يظهر على
غيبه احدا الا من ارتضى الى اخره متصل كما هو الاصل وذكر الرسول
لا للاختصاص به بل لان كرامة اوليا اتباعه من جملة كراماته
ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي تابيهما في بيان
ما اشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
وحاصل شيء من ذلك الا مما يدلك على كثرة ما اخبر به صلى الله عليه
وسلم من الغيوب ما في القران منها ما لا يحيط به حد وخبر
الطبراني ان الله رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو
كائن فيها الى يوم القيامة كما انظر الى كفي هذه وخبر ابي داود

قام

قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا
الى قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث الصحيح فعلمت
علم الاولين والاخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت
النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وابا
بكر وعمر وعثمان صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله وقال
اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهدا
وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام
فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا
لبست سواري كسرى فالبسهما عمر له لما زال ملك كسرى
في زمنه تحقيقا لذلك واخبر عمه العباس بما تركه
بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه احد غيرهما
واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت
وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب
لا يغزونه وباستشهاد امراء الجيش الذي ارسله لمؤتة
بلد بارض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة وجعفر بن
ابي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وبان بنته
فاطمة رضي الله تعالى عنها اول اهله لحوقا به فعاشت
بعده ثمانية اشهر او سنة وبان اشقى الاولين والاخرين
قاتل علي كرم الله وجهه يضربه في يافوخه فيبتل من دمها
لحيته الشقي بن ملجم كذلك ضربه فمات منها وبان معاوية
رضي الله تعالى عنه يلي امر امته وبانه لم يغلب رواهما
ابن عساكر ومن ثم قال علي كرم الله وجهه يوم صفين
لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان عثمان يقتل مظلوما

وروايةٍ تقتل وانت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على
فسيكفيكهم الله موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر
يزيد عامله الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس
اهلها وابضاعهم واموالهم وقتل سبعمائة يحفظون
القرآن منهم ثلاثمائة صحابي وافتض فيها الف عذرا
وبوقعة الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير لعلي رضي
الله تعالى عنهم ولذلك قال علي للزبير لما برز له يوميذ
انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال
بلى ولكن نسيت وقد يستشكل الوصف بالظلم مع ان
الزبير مجتهد فغايته انه مخطي وهو له اجر بنص الحديث
الصحيح ويجاب بان اصل الظلم وضع الشي في
غير محله وان لم يكن فيه اثم فالمراد وانت قد وضعت
الشي في غير محله خطا القتال منك لا تعمدا او وانت ظالم له
حقيقة لو نظرت في الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر ان
المجتهد المخطي له اجر وبقوله في الحسن كرم الله وجهه ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين من المسلمين
وكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة
اشهر ثم سلم لمعاوية باربعين الفا فلما تراى الجمعان
علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب احدهما حتى يقتل اكثر
الاخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك
ابتغا لوجه الله كما جا عنه كرم الله وجهه ثم ارسل لمعاوية
يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل اليه قرطاسا

ابيض

ابيض وقال اشترط ما شيت فاشترط ونزل له عن الملك فصار
معاوية من يوميذ خليفة حقيقة وبقتل الحسين كرم الله
وجهه بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وصح
خبر انه استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه
وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فامرها صلى الله عليه
وسلم ان تحفظ الباب فجا الحسين فاقتحم فقبله صلى الله
عليه وسلم فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك
ستقتله وان شيت اريتك المكان الذي يقتل فيه فاراه
فجا بسهلة بالكسر رمل خشن او تراب احمر فاخذته
ام سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلا
وفي رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل
واخبر ابن عمر بانه سيعمى لما راى جبريل معه في صورة رجل
واخبر ام عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بانها
ستلده وانه ابو الخلفا وبان منهم السفاح والمهدي
واخبر بان الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها
بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك الناس
ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم
المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك بن انس ومن
ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى
يقتتلون وممن روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان
والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث امام اهل
مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف ومحمد وذو النون
المصري والفضيل وابن المبارك وابن ادهم وبعالم قريش وانه

وابن

بملا اطباق الارض علما قال احمد وغيره تعالم سواه الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض لقرشي صحابي او غيره ما انتشر للشافعي اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما امسا بل قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم القتعاني ان الحديث موضوع لقصوره منه وانما فيه نوع ضعف ذكروا له شواهد بخبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذي خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجلا اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل حتى اراه الناس بالوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجية وبان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي على ما انا عليه هو واصحابه وهم الطايفة الذين اخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة اي قربه بقليل وبامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضي لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة المشرفة وتقدمها زلزلة عظيمة بعد عشا الاربعا ثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستماية ولم تزل تشتد وتعلى كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن اهل

سع فائدة

المدينة

العاشر

المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها في يوم واحد ثمانية عشر زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد ورويت من مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة الاسرا سابع عشري رجب وقد اوسع المورخون في اخبارها بما يطول استقصاوه واذا تاملت ما اطلعه الله عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان ذلك من تمام رعاية ربه به تعالى وانه لا يضيمه قط ومن ثم عقبت الناظم ذلك بقوله **لا تحل** بفتح الفوقية والمعجمة من خلت الشي خيلا ومخيلة ظننته **جانب** هو شق الانسان في الاصل وازيد هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية **النبي مضاما** اي ممتنعا **حين** وفي نسخة حيث والاول اظهر لانه ظرف لمضاما **مسته** صلى الله عليه وسلم **منهم** متعلق بقوله **الاسواء** اي الاذايات الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه واغرا سفهايهم به فرموه حتى سال الدم على قدميه وكسر وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب النصر والفتح الى ان بلغ غاية العز والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان قال تعالى اذا جا نصر الله الايات ليظهره على الدين كله والله يعصمك من الناس فجميع ما اصابه صلى الله عليه وسلم من اذاياتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله اذ اصابهم من اذايات اممهم مثل ذلك او اكثر منه لكن **كل امر** من الامور العظيمة

الناصر

ناب اي اصاب النبيين فالشدة فيه التي تحصل لهم منه محمودة لانها ترفع درجاتهم العلية والرخا اي السعة فيه محمودة ايضا لانه لتكثر اتباعهم وتفني اعداوهم ومما يبين لك ذلك ويوضحه ان من المقرر في المعقول انه لو يمس النضار اي الذهب هون بالضم اي هوان من ادخاله الى النار لاختبار خلوصه من الغش والنقص لما اختير للنضار الصلاء اي العرض على النار لعزته على النفوس وشحها به من ان في نقص بسببه فالانبيا كالذهب والشدايد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدايد لا تزيد الانبيا الا رفعة وفي لا تحل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تحل جانب النبي مضاما برهن عليه بقوله كم يد اي جارحة عن نبيه كفها الله اي منعها وخذلها فلم تصل اليه بسوء فقصدته صلى الله عليه وسلم به و الحال انه قد وجد في الخلق اي المخلوقات الذين هم اعداوه المريدون لاهلاكه كثرة واجتراء اي شجاعة وتهور واقدام على فعل ما خطر بالنفس من غير نظر في عاقبته اذ ظرف لكف اي وقت ان دعا طلب حال كونه وحده العباد كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهلات والاباطيل والضلالات وان امست اي حصلت اذا مستي تستعار كثيرا في ذلك منه في كل الازمنة في كل مقلة منهم وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد اقذاء جمع قذى وهو ما يسقط في العين مما يولمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله

عليه



عليه وسلم في ابتداء امره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادي عليهم في انديتهم بتسفيه احلامهم وسب الهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى اقرب اقاربه كعمه ابي لهب في اذايته والتجري عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلائه محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابرا عليه الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه واعوانه يكثرون ويتقوون على اعدائهم شيئا فشيئا الى ان مكنه الله من نواصي اعدائه فاذاق من بقي منهم على كفره الهوان واجل من خضع منهم لعزته مامن البقا والامان ومما ينبيك بعظيم اذايتهم له ونصره عليهم ما ذكره اهل السير ان عمرو بن العاص قال للزبير ما اكثر ما رايت قريشا اصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا في الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب الهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك ثم مر بهم فساوه ثم وقف فقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جيتكم بالذبح فاخذتهم كلمته وارتعدت منها فرايصهم فلانوا له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له في الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يونبونه بسب الهتهم فاخذ بعضهم بمجمع ردايه فقام اليه ابو بكر وحال بينهم وبينه كما مر تنبيه قرينة سياق

النظم مصرحة بان الغذي في العين مستعار لما حصل لهم في عيون
بصائرهم من اذلاله صلى الله عليه وسلم لهم بما مر انفا واما قول
بعضهم يحتمل ان يريد بالغذي ما على اعينهم من الغشاوة المانعة
من النظر في امره لحاجته لهم عن اتباعه او يريد ما على قلوبهم
من الران والصدا الحاجب عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين
البصيرة عما يعلوها من الران والصدا انتهى فهو غفلة عن
سياق المتن او عدم تامل لها بالكلية لانه انما حكم بانه صلى
الله عليه وسلم اسكن الغذي لكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح
تفسير الغذي بشي مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتامله
والدليل على تلك الحراسة الباهرة **هم قوم** يدخل فيهم النسا
تبعا **بقتله** بالسيف **فابى السيف** اي امتنع من الوصول اليه
والتاثير فيه **وفاء** اي لاجل وفائه بما اخذ عليه كبقية الخلق
من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه
وذلك الامتناع وقع غير ما مرة فقد جا انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة تظله فبينما
هو تحتها اذ جاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك
مني قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب
براسه الشجرة حتى سال دماغه كما روي وصح ان غورث ابن الحارث
اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نايم فاستيقظ فوجده في يده
صلتا فقال من يمنعك مني قال الله فسقط من يده فاخذه
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فعفى
عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وروي
انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك في غزوة مع منافق

بتبعه

تبعه لما خرج لقضا حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل سيد لقومه
شجاعة وغيرها اغروه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما
فانكروا عليه فقال نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعلمت انه ملك واسلمت
**وقات** اي رجعت على راسها وبينه وبين فا الجناس اللاحق **الصفوا**
اي رجعت الحجارة عن اصابته بل جمدت في يد رامنها الذي هم
بقتله ايضا **وهو ابو جهل** بن هشام بن المغيرة المخزومي
وكان من اشد الاعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم
وبالغ في انذارهم وتسفيه احلامهم وسب الهتهم فاظهروا
له شدة الابا والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم
ابو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا ابى الا ما ترون واني اعاهد
الله لاجلسن له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد في صلاته
رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع
بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشي ابدا فلما
اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته
وقريش ينظرون اذ حمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنى
منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه
على حجره حتى قذفه فقاموا اليه فقالوا ما لك يا ابا الحكم
قال قمت اليه لا فعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه
عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رايت مثل هامته ولا مثل
قصرته وانيابه قط فهم ان ياكلني وذكر انه صلى الله عليه وسلم
قال ذاك جبريل لو دنى مني لاخذه **اذ** ظرف لهم المقدر فبل ابو جهل

لانه معطوف على قوم يقتله بالحجاري وهم ايضا ابو جهل يقتله
بالحجر الذي حمله وقت ان **راى عنق** بسكون النون وضمها
**الفحل** وقد برز **اليه كانه العنقا** اي الداهية العظيمة او الطاير العظيم
المعروف وبين عنق وعنقا جناس الاشتقاق او شبهه وما
ذكره من ابو جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به
الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت روية الفحل
هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة
والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على القفوا
اي رجعت القفوا عن الرجوع اليه اي الوصول اليه صلى الله عليه
وسلم ورجع ابو جهل عن الرمي لما وقت روية الفحل فاذ
حينئذ ظرف لفات مع فاعلها وما عطف عليه **واقتضاه**
معطوف على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض اي اقتضى
منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلانا طلب اليه ان
يقضيه الدين فيضمنه انه متعد بنفسه اي طلب **النبي** صلى
الله عليه وسلم من ابي جهل ان يودى **دين** كهلة بن عصام بن
كهلة من اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث **الاراشي** بكسر
الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو
جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على نادٍ من قريش
فقال من رجل يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل
وقد غلبني على حقي فقالوا لا نخلصك منه الا ذلك الرجل اي محمد
صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى
الله عليه وسلم فقال له يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبني
على حقي وقد سالت اولئك القوم فاشاروا اليك فخلصني

منه

منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف **وقد سا بنيعه** ذكر
مع ان الكلام لبشر لا في الشرا لانه نظير له فهو من مراعاة النظير
**والشراء** اي وشراوه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه
امروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر ما ذا يصنع فضرب صلى
الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج الي
فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال
نعم لا تبرح حتى اخذه فدخل فاخرجه اليه فجا الى اولئك واخبرهم
بما وقع فجا ابو جهل فقالوا له ويلك والله ما راينا مثل هذا الذي
صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب علي بابي
فسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسي
لفحلا من الابل ما رايت مثل هامته ولا صورته ولا انيابه لفحل
قط والله لو ابيت لاكلني ومن ثم **راى** ابو جهل اللعين محمدا
**المصطفى** صلى الله عليه وسلم وقد **اتاه بما** اي بفحل بل **لم ينج**
بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز هنا لاجل
الوزن تشديدها من نجى ينجو او نجى ينجي فهو ناج ومنج **منه**
**دون الوفا** لذلك الدين الذي للاراشي **النجاء** بوزن الضراب
مبالغة في ناج فالوفا مقصور ويجوز تخفيف الجيم مصدرا
فالوفا ممدود وفي القاموس نجا ينجو نجوا ونجاء ونجاة ونجاية
خلص كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى كلامه فاعل
ينجو نظيره في المصدر قول الحاجري تملا الوجد فوادي
وبرح التبريح او وذلك الفحل لا ينجي ولا ينجو منه النجا بالمبالغة
اي من تكررت نجاته من الامور الصعبة الا ان وفي ذلك الدين
او لا ينجو منه النجا بالتخفيف اي النجاة الا بعد ذلك الوفاء

هو اي الفعل المرئي في هذه الواقعة ما اي الفعل الذي قد راه من قبل
اي في الواقعة السابقة في قوله وفات الصفو الخ لكن
لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين لما على مثله في العتو
والفجور الشائعين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو ابلغ
من عليه لانه اشار الحكم عليه ببينة على حد مثلات
لا يتخلل بعد الخطاء لان خطاه لا ينحصر فلا يعد
ومدا الخطا الغة شهره تنبيه قد يستشعر عن الحكمة
في كون ابي جهل منع في هاتين الواقعتين من ان ينال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسوء مطلقا اشد المنع ولم يمنع
من اللقي في سلا الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي قلت كان سر ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي امثاله ممن كانوا اشد الناس
عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم
ونصره عليهم للناس باهلاكهم بدعوته والقائهم في القليب
على اخس حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل
هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه
واهلاك نظرائه ومختصر تلك القضية انه صلى الله عليه
وسلم كما في البخاري كان يصلي عند الكعبة وجمع من
قريش في مجالسهم اذ قال قايل منهم الا تنظرون الى هذا
المرائي ايكم يقوم الى جزور فلان فيعمد الى دمها وفرثها
فيجيء بها ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه
فانبعث اشقاهم وهو عقبة بن ابي معيط فلما سجد وضعه
بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا اي لانه لم يعلم

بخصوص ما وضع له وانما لم يبطل انه اعاد لاحتمال انه كان
في نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس
ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما في سورة المزمل
وهو صلاة الليل فلما راوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم
على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة رضي الله تعالى عنها
وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه
وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم
فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم
عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام
وهو ابو جهل وقدمه لانه اشقاهم واشدهم اذية
له صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة ابن ابي معيط
وعمارة بن الوليد قال عبد الله بن مسعود فوالله لقد
رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب
بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب
لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك
عقب هذا الدعا فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام
نبوته ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند القائهم
في القليب وقول عبد الله بن مسعود رايتهم صرعى
بالقليب مراده اكثرهم فان عمارة انما مات بارض
الحبشة لكن على اشر فتنة فانه تعرض لزوجة النجاشي
فامر ساحرا فنفخ في احليله من سحره عقوبة له فتوحش
وصار مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر وايضا عقبة

ابن ابي معيط انما قتل صبرا بالصفرا بعد بدر وما القي ثم وامية
ابن خلف وان قتل ببدر لم يطرح في القليب واعرت عطف
عليهم اي هيتاف ام جميل بنت حرب بن امية حمالة الحطب
لقبت به لانها تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارضا لزوجها لعنهما الله الفهر
اي الحجر الذي يملا الكف لما انزل الله فيها وفي زوجها
تبت يدا ابي لهب السورة والحال انها قد جات اليه وهو
في المسجد وابو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وهي في غاية
السرعة والعجلة كانها الحمامة الورقا اي الشديدة
الاسراع اي حال كونها شبيهة لها في ذلك فهي حال
متداخلة يوم ظرف لجات في حال كونها غضبى من شدة
ما سمعت من ذمها في تلك السورة وفي نسخة غيظا هو تمييز
والغضب نار كامنة في طي الفواد يوججها طرو السبب
المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شي في المغضوب عليه
سمي غيظا هكذا قيل وفي القاموس الغيظ الغضب او
اشده او سورته او اوله وحال كونها تقول اني منادي
وانا بنت سيد بني مخزوم متعلق بيقال مراجل حال
من الهجاء يقال الهجا اي السب والذم ونسبة القول
اليه اما حقيقية وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها
غير الهتهم فمن ابتدائية نعم فيهم فرقة يعتقدون الاله
وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هولا فمن
تعليلية اي يقول الهه ذلك لاجله ونولت عطف
على اعدت والحال انها ما راته وكيف تراه وهو في ظهوره

للقلوب

---

للقلوب والعقول المستقيمة كالشمس وهو اعني تلك
المراة في غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن
ابن ترى الشمس مقلة اي عين عميا فلما راها ابو بكر
رضي الله عنه قال يا رسول الله انها امراة بذية فلو
قمت قال انها لن تراني فجات فلم تره فقالت يا ابا بكر ابن
صاحبك كيف يهجوني فوالله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه والله اني لشاعرة وذكرت هجوا فيهما فقلت
لا والله هو لا يقول الشعر فقالت انت عندي
تصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله لم ترك
فقال لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي رواية
قد اخذ الله ببصرها عني فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عني
من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى
الله عليه وسلم ثم انه قرا صلى الله عليه
وسلم سورة والنجم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى فخبثه القى الشيطان في امنيته
اي تلاوته تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن
لترتجى وفي رواية انه القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق
الى اخره فعند سجوده اخر السورة سجد المسلمون وسجد
المشركون معهم لتوهمهم انه مدح الهتهم وفي رواية ما ذكر
الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا ونزلت هذه الاية
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته الاية ففشى ذلك في الناس واظهره

الشيطان حتى بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا سراعا ثم لما تبين
للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه والغرانيق
جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الماء شبهت به الاصنام
لاعتقادهم انها تقربهم من الله تعالى كطيور الماء
لكونها تعلوا في السماء وترتفع تنبيه كثر كلام العلماء رحمهم
الله في هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه لا يجوز
لاحد القول بها كعياض والفخر الرازي وسبقهما لنحو ذلك
البيهقي وابدوا ان البخاري وغيره رووا انه صلى الله عليه
وسلم قرا سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس
والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من جوز على نبي تعظيم وثن
فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها
اصلا اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابي حاتم والطبري
وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحاق في السيرة وموسى
ابن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير
وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة
من وجه صحيح انتهى ورد عليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ
الاسلام ابن حجر بان طرقها كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها
رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها
تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور فزعم ان ابن العربي
وعياضا ان رواياتها كلها لا اصل لها ليس في محله اذ لا يمشي
على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل
ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها
على شرط الصحيح هي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل وكذا

من

من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ يتعين تاويل
ما وقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق الى اخره فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم
يستحيل عليه ان يزيد في القران عمدا او سهوا واختلفوا في
تاويله فاخرج الطبري عن قتادة انه اصابته سنة فجرى
على لسانه ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه اياته
واعترض بانه لا ولاية للشيطان عليه في النوم ويجاب
بان هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غاية الامر
ان الشيطان لما راه اصابته تلك السنة حاكى قراته بصوت
يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله صلى الله عليه
وسلم بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رايت
من اجاب بما يؤيد ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم
كان يرتل قراته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه
منهم فظنها من قوله فاشاعها واستحسن هذا الجواب
غير واحد من المحققين كعياض وابن العربي وايدوه بما جاء عن
ابن عباس في تفسير تمنى تلى فمعنى في امنيته اي في تلاوته
وفي ذلك اخبار منه تعالى بان رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان
فيه من قبل نفسه محاكيا له ثم بين الله تعالى بطلانه فعلم
ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله عليه
وسلم ما قاله لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام
المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة
ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب بان الشيطان

الجاه الى المتلفظ بذلك من غير اختياره ثم رُدُود بان الشيطان
لو قدر على ذلك لم يمكن احدا من طاعة او بانه علق بحفظه
ما كان يسمعه منهم من مدح الهتهم فجرى على لسانه سهوًا
فهو افسد مما قبله او بانه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد
وان ارتضاه عياض كالباقلاني فقال هذا جائز مع
قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام في الصلاة اذ ذاك كان
جائزا او بانه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان ياتي
بذم الهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى
الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه فعبه
نوع بُعدٍ او بان المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم
من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى فنسق ذكر
الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما
سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا فنسخ
الله تلك الكلمة واحكم اياته فهو ابعد مما قبله ثم
بعدما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات
وقع له كرامة اخرى في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة
وهي انه سمت له زينب بنت الحرث امرأة سلام
ابن مشكم اليهودية الشاة اى جعلت فيها سمًا قاتلًا
لوقته لانها شاورت يهودا في سموم فاجتمعوا لها على
هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت
منه في الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم
يحب الذراع وكم مراة كثيرة سام من السوم الذي هو

مقدمة

مقدمة الشر او الذي هو الرعي وبين سام وسمت شبه الاشتقاق
الشقوة اي تابر عليهما وتحلى بها الاشقياء الذين صاروا
كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم تلك المرأة وبينهما
تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا
تساهل وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها
سما قال اجمعوا الي من هنا من اليهود فجمعوا له فسالهم عن
اشيا منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا
صدقت وبررت ثم سالهم من اهل النار قالوا نكون
فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال اخسئوا فيها والله
لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل جعلتم في هذه الشاة سما
قالوا نعم قال ما حملكم عليه قالوا ان كنت كذابا استرحنا
او نبيا لم يضرك وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية
ثم اهدتها اليه صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل رهط
من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم
فارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت
من اخبرك قال اخبرتني هذه الذراع ومن ثم قال
فاذاع اى اظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع ما فيه من
سر اي سم بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح
بذلك اعني انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم
اخبرتني هذه الذراع اخفاوه عن الحاضرين ابداء له
صلى الله عليه وسلم اي هو ان خفي عليهم ظهر له صلى
الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال لها ذلك صدقته
ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا

اشترحا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي
اصحابه صلى الله عليه وسلم الذين اكلوا من الشاة واحتجم
صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل منها وفي رواية
عن ابي داود انها جعلت تسال اي الشاة احب اليه فقيل
لها الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت
الى سم لا يطني اي يقتل لوقته فسمتها به واكثرت منه في الذراع
والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه
وفيهم بشر بن البرا فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش
منها وتناول بشر عظما فانتهشها واكل القوم فقال صلى الله
عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها
مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها
الى اوليائه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطي وروايته انه
قتلها يعارضها رواية البيهقي عن ابي هريرة وجابر رضي
الله عنهما انه لم يعاقبها ومن ثم قال وتحلوم النبي
كريم بل لا اكرم منه قال تعالى له وانك لعلى خلق عظيم اي
بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص
بجرحها العجما بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح
الحديد الظاهر العجما اي المراة ويقال للبهيمة ايضا وقال
الزهري اسلمت فتركها وفي مغازي سليمان التيمي نحوه وانها
قالت استبان لي الان انك صادق واني اشهدك ومن
حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وجمع البيهقي بانه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها
به وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم

لنفسه

[illegible]

[illegible]

لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما
مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله
انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر احدا من الصحابة روى
عنه انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل
لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء
في رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو
فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص
لان المماثلة فيه معتبرة فقياسها ان يقتلها بمسموم
كما ان اليهودي رض راس الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم
فرض راسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من
مشروعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفاء
القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا راى
ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب
في قتل القصاص كما يصرح به كلام ايمتنا لما تقرر ان
المدار فيه على المماثلة ما لا يمكن فلا يجوز للامام الزيادة
عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من ايمتنا ولا من
غيرهم جوز الصلب في غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه
البيان بغير محل النزاع الذي نحن فيه فان قلت
هو يرد على هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريق وصلبت
قلت الذمي اذا نقض العهد ملحق بقاطع الطريق
في احكام لا يبعد ان هذا منها على ان ذاك صار كالحربي واحكام
الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت
قولكم لان المماثلة الخ انما تتاتى على القول بتعينها في القود

اما المخير بينهما دبين السيف فيما ليس بمحرم او المخير بينهما وبين
السيف في القتل بمسموم فلا يتاتى عليه ذلك البحث قلت
بل يتاتى على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين
القود لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدعى انما
هو قتلها بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتاخير أنّ صح
قتلها الى موت بشر لا يدل القود ايضا لاحتمال انه لتحقق
عظم جنايتها ولهذا كله يعلم انما في هذه القصة من
قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول ائمتنا من اضاف انسانا
فقدم له طعاما مسموما فاكل منه فمات لا قود عليه
لانه تناوله باختياره والمضيف لم يلجيه الى اكله وذلك لم يثبت لأنه صح
انه صلى الله عليه وسلم قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذي قررته
يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات
المخالفة في ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل
لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصل عدمه قلت
هذا يحصل منه مدعانا ايضا لان ثبوته اذا لم يصح من اصله
او بذلك القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه وتخلق من النبي كرم مجر
متن فهو معطوف بحذف حرف العطف على لم تقاصص خلافا
لما يوهمه كلام الشارح انه استيناف اى انعم نعمة عظيمة فضلا
مفعول مطلق كفرحت جذلا او مفعول لاجله وهو الاولى
لان المراد بالمن ما ذكره الله تعالى بقوله عز قايلا فاما هنا صح
منا بعد واما فداء لمن بتخلية سبيلهم بعد ان ملكهم
المسلمون اى رفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه العام
عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا تمنع هذه العلة والعلة

[illegible]





التي تليها المستفادة من ذا منه معلل بشيئين عموم احسانه
عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه لحرف
العطف مقدر الثبوت ويصح ان تكون الثانية علة
للاولى وايهامه فقصر فضلا عليهم غير موثر لانه لم يرد
مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سوا اعلق على هوازن
بمن او بفضلا اكتفا بقرينة السياق على هوازن قبيلة
حليمة السعدية رضي الله تعالى عنها وهم اهل حنين المذكور
في القران وهو واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من
اسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادي وبين
مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب
فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه
صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان في
اثنا عشر الفا عشرة حابهم والفان من طلقا مكة فلما هزمهم
صلى الله عليه وسلم قصد الطايف وامر ان يجعل سبي
هوازن وغنايمهم بالجعرانة حتى ياتي اليهم وكان السبي
وهو النسا والذرارى ستة الاف راس والابل اربعة
وعشرين الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة الاف
اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم انتظر هوازن من الطايف صح
بضع عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ في قسمة
الغنايم فجاوا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة
وقد اصابنا من البلا ما لم يخف عليك فامنن علينا من
الله عليك وقام رجل من فخذ حليمة فقال يا رسول الله
انما في الحظاير عماتك وخالاتك اى من الرضاع لانهن قرابتك

حليمة او حاضناتك اللاتي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحارث
ابن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذي نزلت
فيه رجونا عطفه وانت خير المكفولين فقال لهم صلى الله
عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابناؤكم ونساؤكم
احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناؤنا ونساؤنا فقال
اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر
بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك واسأل
لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني
عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك
وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بني
سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم ان لم يردوا سبي بعينه
بما طابت به نفوسهم فردوا ما في ايديهم ومن صلى الله
عليه وسلم عليهم بذلك **اذ** اي لاجل انه صلى الله عليه وسلم
**كان له قبل ذلك** اي وهو طفل **فيهم ربّاء** بفتح الراء
والمد اي تربية من ربوت في بني فلان وربيت فيهم اذا نشأت
بينهم او طول باعتبار ما وصل اليه من لبن حليمة وتربيتها
تنبيه جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه
الجمهور قالوا ولا دليل في ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الاية
لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول فهي حينئذ حرف
بمنزلة لام العلة او ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من

قوة





قوة الكلام لا من اللفظ فولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى
الثاني في الاية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما
للزمن الماضي وهو الغالب ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفا
او مضافا اليها الظرف نحو يومئذ تحدث اخبارها وقال
الاقلون تكون مفعولا به نحو واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا
المذكورة في اوائل القصص كلها بتقدير اذكر او بدلا منه بدل
اشتمال او كل من كل ورده الجمهور بان المفعول او المضاف اليه
محذوف وزعم الزمخشري انها تكون في محل المبتدا مما
تفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف
يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم لاستقبال يعلمون لفظا
او معنى واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب
الوقوع منزلة الواقع **ذا** ذلك **السبي** واصله الاسر
والمراد به هنا السبي اي الماسورون الى الجعرانة بامره
صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيهما على المسلمين وكان
ذلك السبي **فيه اخت** النبي صلى الله عليه وسلم من **رضاع**
واسمها الشيما كما مر ولما شقوا عليهما عند سبيها قالت والله
اني لاخت صاحبكم فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله اني اختك قال وما علامة ذلك قالت
عضة منك في ظهري فعرفها لكن **وضع** اي خفض **الكفر** القائم
بها **قدرها** وكذلك وضع قدرها **السباء** اي الاسر
القائم بها فاضمحل في جنب ذلك هذين ما فيها من اخوته صلى
الله عليه وسلم كما اضمحل في جنب الكفر ما في نحو ابي طالب
من العمومة والتربية ومنع الاعدا بكل طريق امكنه ثم من

فكثرتهم

ايضا

حَبَاهَا بَرًّا تَوَهَّمَتِ النَّاسُ أَنَّمَا السَّبَايَا اللَّوَاتِي مَعَهَا هُدَاءُ

الله عليها بالاسلام وبعد فته صلى الله عليه وسلم لها حَبَاهَا
اى اعطاها مالم يكن في حسابها وجاد على قومها لاجلها بَرًّا
اي لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون
هو المفعول الثاني ويؤيده انه ابدل قوله بسط الى اخره كما
يأتي انه بسط لها رداءه واجلسها عليه ثم خيرها وقال ان احببت
فعندي محببة مكرمة وان احببت ان امتعك وترجعي الى قومك
فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد في الاحسان اليها كما هو
شانه وردها الى قومها واعطاها غلاما له يقال له مكحول
وجارية فزوجته لها فلم يزل فيهم من نسلها بقية تَوَهَّمَت
النَّاسُ الذين راوا ذلك البر اي وقع في وهمهم اي ذهنهم
واسناد ذلك اليه باعتبار ما من شانه بِهِ اي بسبب ذلك البر
الذي وصل اليها منه أَنَّمَا بفتح الهمزة اداة حصر كمكسورتها
السَّبَايَا اى المسبيات اي النسا لانهن يسبين سبيا ففي القاموس
والسبي ما يسبى جمعه سبيا والنسا لانهن يسبين القلوب
او يسبين فيملكن وحينئذ نصح قراة النظم بسبين ثم ياء
وبنون ثم سين والمعنى صحيح على كل منهما كما يعلم من تقرير
الاتي فتامله اللواتي معها هُدَاء بالكسر مصدر هديت
المراة الى زوجها اى مهديات كرجل عدل والجملة في محل
مفعول توهمت الناس اي توهموا ان النسوة اللواتي معها
في السبي لم يسبين لعظم ما قابلهن به من الاكرام وانما جئن
لاهدا عروس وجلايها عليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن
مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله لنسا يهدين
عروسا لا لنساء مسبيات تنبيه استعمال الناظم

لانما

٦١

لانما هذه في الحصر تبع فيه الزمخشري والبيضاوي وغيرهما
وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد فقالا لان انما لقصر الحكم على شي او لقصر الشي على
حكم نحو انما زيد قايم وانما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة
انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان
الوحي اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله
تعالى بالوحدانية وقول ابي حيان يلزم الزمخشري
انحصار الوحي في الوحدانية مردود بانه حصر مجازي
باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر بَسَطَ فهو بدل من
بر الكامن ويصح كونه بدلا من حبا الْمُصْطَفَى صلى الله
عليه وسلم لَهَا مِنْ الظاهر انها زايدة على مذهب الاخفش
وجماعة رِدَاء كان عليه اي نشره وجعله لها فراشا لتجلس
عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم
بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل
فهنيئا لها ذلك الاكرام كيف وهو رداء أَيْ فَضْلٍ اي شرف
عظيم لا غاية له حَوَاهُ اي جمعه ذَاكَ الرِّدَاءُ بمماسته
لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه هذا التقرير
من ان اي فضل الى اخره جملة نعت لرداء ومن زايدة
او تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اي مفعول
بسط وان فضل بمعنى فضله فمن وتجوز تبعيضية وانه
على حاله فمن تعليلية داخلة على مضاف اي نشر لها من اجل
فرشه رداءه لها فضلا عظيما حواه ذلك الرداء اي مميزا
ظاهرا على بقية نساء هوازن وفي الرداء رد العجز على الصدر

بَسَطَ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَاءٍ أَيَّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّدَاءُ

فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه اماء
فتنزه في ذاته ومعانيه استماعا ان عز منها اجتلاء

فغدت اى صارت مندرجة فيه اى فى ذلك الفضل والحال
انها هى سيدة اوليك النسوة اللوالى معها من نسبى هوازن
لما حصل لها من التمييز البا هر عليهن وان اولئك النسوة
هن السيدات قبل اسرهن فيه اى فى ذلك الفضل اماء اى صارت
كانها سيدة لهن وكانهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين
السيدات والاماء طباق وهذه موكدة للجملة الاولى التى
هى حال من فاعل غدت كما علم مما قررته ولما ذكر ما اختص
به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقى الى ما لم يصل
اليه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات تنقطع اعناق
الاطماع عن ان تمتد اليها وخصال لم تعول امال الكمل
الا عليها طلب من كل سامع فاته مشاهدة رويته صلى
الله عليه وسلم فقال فتنزه قال الشارح هو من قولهم
خرجنا نتنزه فى الرياض نتمى وكانه جرى فى ذلك على العرف
اذ التنزه كما فى القاموس التباعد ثم قال وارض نزهة
بعيدة عن الريف اى الخصب والزرع وعمق المياه وذباب
القرى وومد البحار وفساد الهوى ثم قال اى صاحب
القاموس واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر
والرياض غلط قبيح فى اوصاف ذاته من الكلام عليها فى كل
ذات العلوم ومعانيه اى صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته
صلى الله عليه وسلم استماعا من جهة اصغايك الى استماع
اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية فى هذا النظم الجامع
البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع
والاجتلا الاتى ان عز اى فقد منها متعلق بقوله اجتلا

ان تنزه سمعك باستماع الاوصاف والصفات ذاته ومعانيه

ع خ
وعفن

من

٦٢

واملا السمع من محاسن يمليها عليك الانشاد والانشاء

من جلوت العروس جلا وجلوه واجتليتها اذا نظرت اليها
اليها مجلية اى مكشوفة مزينة اى ان فاتك رويته ذاته
الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك فتمتع سمعك
لكل ما يتلى عليك من اوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم
وعلى صفاته وبه يظهر ان من زايدة فى الايجاب وهو ما
اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبا
المرسلين يحلون فيها من اساور من ذهب من جبال فيها من برد
يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زايدة
فتامله ولا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل املا السمع
بان تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض انما تسمعه شى محسوس
وان سمعك انا واسع لملات ذلك من المسموع من محاسن
اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق احد اثارها ولا
يشق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده
حسن لا محسن الا تقديرا يمليها من امليته الكتاب
ويجوز امللته عليك من هذه القضية وغيرها الانشاد
لها من شجى الصوت قايم الاعراب فقد قالوا من اقوى
الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم
سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات
النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث
للسامع سكرا وراحة وطربا وذلك يحدث عنه بسببين
احدهما انها فى نفسها توجب لذة يتغير فيها العقل
الثانى انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فتحصل بتلك
الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقرب

ع خ
تفريج

صورته من القلب واستيلاوها على الفكر وفي هذا من اللذة
ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل
للروح ما هو اعجب من سكر الشراب واقوى في اللذة من
عناق الشواب وقد ذكر الامام احمد ان الله تعالى يقول
لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني
به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته بالموت فيقول
انا اردده عليك فيقوم عند ساق العرش فيمجد فاذا
سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم
من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لا سيما
ان انضم الى ذلك روية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغني
عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة
والانشا من ناظمها وانشاد الاملا اليهما مجاز ومما يحملك
على استفراغ وسعك في ذلك التنزه واملا السمع من
تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته
وكمال صفاته لا يمكنك كيف وكل وصف له من صفاته
الذاتية والمعنوية ابتدات انت وانا به في الذكر وابتدات
بذكره لتحيط بغايته استوعب اخبار الفضل مفعول
مقدم اي جميع اخبار الفضايل والكمال منه متعلق بقوله
ابتداء اي كلما ابتديت بوصف له صلى الله عليه وسلم
وتاملت ما استمل عليه صريحا او ايما وجدت ذلك الوصف
المبتدا به جمع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد
ذلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم
اخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف



من صفات الانسان كالحلم مثلا لا ان كمل في بقية اوصافه
كالعلم والحلم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ
فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على ما وضع له
مطابقة وعلى ما عداه منها ايما وشكرا واستلزاما
كما لا يخفى على من سبر ذلك وتامله وبهذا التحقيق
الذي تنبه له الناظم يعلم انه رضي الله عنه ثاقب
النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف
وليس ذلك بكثير على من حل عليه نظر القطب الكبير
والعلم الشهير سيدي ابو العباس المرسي وارث ابي الحسن
الشاذلي قدس الله سرهما ونور ضريحهما ومما قررته
في شرح هذا البيت تعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة
وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد
ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان
بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله
ولا بعده في ادمي مثله صلى الله عليه وسلم وستر ذلك ان محاسن
الذوات دليل على ما بطن فيهما من بدايع الاخلاق وجلايل
الصفات ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم
يصل اليهما غيره في كل من ذلك ومن ثم قال الناظم في بردة
المديح فهو الذي تم معناه وصورته البيتين فتبين ان حقيقة
الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه
الذي تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن
قول بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما
اطاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتدات وابتداء جناس الاشتقاق

تنبيه شرح الناظم ببيان تمام معناه بما مر وياتى ولم يشرح
تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله برؤية وجهه
الى اخره ضحكه التبسم الى اخره او بتقبيل راحة الى اخره فتعين
علينا ان نشير الى شيء من ذلك فنقول اما وجهه الشريف
فصح عن البراء انه صلى الله عليه وسلم كان احسن الناس وجها
واحسنهم خلقا وعن ابى هريرة رضى الله عنه ما رايت
شيا احسن منه صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه
صلى الله عليه وسلم وعن البراء انه قيل له اكان وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اى لم يكن كالسيف
فى الطول ولا فى اللمعان بل كالقمر فى التدوير وفوق لمعان
السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس
والقمر وكان مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق
والملاحة والاستدارة وجا عن على رضى الله تعالى عنه لم يكن
بالمكلثم اى شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل
وهو احلى عند العرب وهو معنى قول ابى هريرة كان اسيل
الخدين اى فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة ومر
وتشبيه غير واحد بشقة القمر اى عند التفاته وقيل
احترازا عما فى القمر من السواد ويرده تشبيه ابى بكر رضى الله
تعالى عنه وغيره له بدارة القمر وفى النهاية انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا سر صار وجهه كالمراة فيرى حال
الجدر فيه وفى رواية يتلالا وجهه تلالا البدر وانما كان الاكثر
تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من يشاهده ينظره كمال
النظر ويانس به ولا يتاذى منه بخلاف الشمس فى الكل

ولذا



ولذا كان من اسمائه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال الخارجون
لملاقاته حين مرجعه من تبوك طلع البدر علينا من ثنيات
الوداع • وجب الشكر علينا • ما دعى لله داع • ثم هذه
التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا محدث
يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية كالخلقية
واما بصره صلى الله عليه وسلم فيكفيك فيه ما زاغ البصر
وما طغى وصح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان
صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار
فى الضوء وصح كان يرى فى الصلاة من خلفه كما يرى امامه
اى رؤية ادراك حقيقى بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة
الكرامة لا تتوقف عليه ولا على مقابلة شعاع ولا على مقابلة
عند اهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه
كسم الخياط يرى بهما ولا تحجبهما الثياب لم يثبت ما دل عليه
والاصل عدمه كزعم صورهم كانت تنطبع فى قلبه او انها
رؤية قلب او ان المراد بها العلم بوحى او الهام وحديث
انى لا اعلم ما وراء جدارى لم يعرف له سند وانما ذكره ابن
الجوزى فى بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده فهذا غير
ما نحن فيه لان المنفى علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم
به بوحى او الهام ومن ثم قال لما ضلت ناقته وقال
بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله انى لا اعلم الا ما
علمنى ربى وقد دلنى ربى عليها وهى فى موضع كذا احتبستها
شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم
وبفرض التعارض فما مر فى حالة الصلاة وهذا خارجها

وجا انه كان اذا التفت التفت جميعًا اي لا يسارق النظر ولا
يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كالطايش الخفيف وان جل نظره
النظر بالملاحظة وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وانه
صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب
العين بحمرة وروى مسلم اشكل العينين والشكلة الحمرة في بياض
العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية
ادعج العينين اي شديد سوادهما اهدب الاشفار
اي طويلها واما سمعه فحسبك فيه خبر الترمذي اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان
تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجد لله تعالى وفي رواية لابي نعيم او قايم واما شعره
فصح انه كان بين شعرين لا رجل اي يتعقد فتكسر ولا هو ما
يتكسر قليلا فلا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه
وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف
لان فيه رجولة قليلة فالاولى لنفي كثيرها وانه الى شحمة
اذنيه وانه الى اسفلها وانه الى الكتفين ولا تخالف ايضا
لانه ربما ترك تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر
وكان اذا تفرق الفرق بنفسه والا تركه معقوصًا ولعل
هذا كان اولا والا فالذي صح انه كان صلى الله عليه وسلم
يسدله اي يرسله ثم فرق ثم رايت ان العلما قالوا ان
الفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم
وكان في عنفقته وصدغيه شعرات بيض دون العشرين
وانما لم يكثر فيه مع انه نور لرواية ما شانه الله بالشيب

الصدغ ما بين العين والاذن ويسمى ايضا الشعر المتدلي عليها صدغا انتهى جوهري

اي



اى لان النسا يكرهنه غالبًا ومن كره منه صلى الله عليه
وسلم شيا كفر واختلفت الروايات في تغييره صلى الله
عليه وسلم لشيبه بنحو الحنا ولا تخالف لانه صلى الله عليه
وسلم فعله كثيرا وتركه اكثر ومن ثم كان سنة عندنا
وصح انه كان كثير شعر اللحية وجا انه كان يكثر دهن
راسه ويسرح لحيته وكان اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر ولم يرد انه حلق شعره في غير حج او عمرة
ورواية انه كان ياخذ من عرض لحيته وطولها غريبة
تخالف روايتي اعفوا اللحا فمن ثم لم ياخذ بها ايمتنا
رضي الله تعالى عنهم وورد انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر
في المراة اذا استرح لحيته وانه كانت له مكحلة يكتحل منها
بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم واما جبينه وحاجباه
وانفه وراسه فقد جا انه واضح الجبين مقرون الحاجبين
اي شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجحه ابن الاثير
وقد يجمع بانهما كانا كثيري الشعر كما في رواية سابقين
كما في اخرى فيتفقان كما في اخرى منهما مع كثرة شعرهما
فيهما سبوغ الى اخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة شعرهما
يريان من بعيد كانهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك
وصح انه ضخم الكراديس اي روس العظام وجا انه صلى الله عليه
وسلم اقنى الانف اى طويله مع دقة ارنبته وحدب في وسطه
وعبر بعضهم بانه سايل مرتفع وسطه وانه صلى الله عليه وسلم
دقيق العرنين اي اعلى الانف وان من لم يتامله يحسبه انه
اشم اي طويل قصبة الانف واما فمه صلى الله عليه وسلم

فيه

راسه

الراس عظم

فقد صح انه واسعه بفتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه
والعرب تمدحه وتذم صغره وانه صلى الله عليه وسلم اشنب اى لاسنانه
غاية البرق واللمعان وانه اذا تكلم روى كالنور يخرج من ثناياه
وانه مفلج الاسنان اى متفرقها وفى رواية مفلج الثنيتين
اى اكثر من البقية واما ريقه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه
يوم خيبر تفل فى عينى على كرم الله وجهه وكان به رمد فبرئ
من لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه صلى
الله عليه وسلم مج فى بئر ففاح منها رائحة المسك وانه بزق فى
اخرى فلم يكن بالمدينة اطيب ماء منها وانه صلى الله عليه وسلم
كان فى يوم عاشورا يبصق فى فم رضعائه ورضعاء فاطمة
وينهى عن رضاعهم فيجزيهم ريقه الى الليل وانه صلى الله عليه
وسلم مضغ قطعة لحم واعطاها لخمس نسوة فمضغنها كل
منهن ولم يوجد لافواههن خلوف ريح واما فصاحة لسانه
صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فامر اظهر
من ان يذكر واشهر من ان ينشر كيف وقد ارتقى فى كل ذلك الغاية
التى لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلماء كلامه معجز كالقران
واما صوته فروى ابن عساكر خبر ما بعث نبيا قط الا بعثه حسن
الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم
حتى اسمع العواتق فى خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه
وسلم قال للناس يوم الجمعة اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة
وهو فى بنى غنم فجلس مكانه وابن سعد انه صلى الله عليه
وسلم خطب بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم
واما ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه سيد للعالمين الاولين

سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفا

والاجرين



والاجرين كما مر مبسوطا اول الكتاب ضحكه اى الذى يظهر به
سروره التبسم كما رواه البخارى عن عائشة ما رايته
مستجمعا قط ضاحكا اى مقبلا على الضحك بكليته انما كان
يتبسم ولاينافيه خبر البخارى ايضا فى المواقع اهله فى رمضان
فضحك حتى بدت نواجذه وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس
ولا تكاد تظهر الا عند المبالغة فى الضحك لان عائشة رضى
الله تعالى عنها انما نفت رويتها ولاينافى ذلك وقوع غير
التبسم منه نعم الذى دل عليه مجموع الاحاديث ان اكثر
احواله هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار والافراط
من الضحك سواكان معه قهقهة ام لا ومن ثم روى البخارى
فى ادبه وابن ماجة النهى عن كثرته وانه يميت القلب والفرق ان التبسم
مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى
تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه صوت
يسمع من بعيد فهو القهقهة واما بكاؤه فكان من جنس ضحكه
لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملان
ويسمع لصدره ازيز اى غليان يبكى رحمة للميت وخوفا على
امته وشفقة من خشية الله تعالى وعند سماع القران
واحيانا فى صلاة الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاوب
وان الانبياء كلهم كذلك واما يده صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد
كانى عمرو فى بانه شثن الكفين اى غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراع
رحب الكفين ووصف ايضا بان يده الين من الحرير والديباج وابرد
من الثلج واطيب ريحا من المسك ولاينافى هذا اللين ما مر انفا
لانه جمع مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعى

الششن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه انه قيل
له ورد في صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين فاقسم ان
لا يفسر شيئا في الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم لان ربما
حصلت له خشونة في كفيه من جهاد او عمل في مهنة اهله
وتفسير ابي عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما
جا انه كان سابل الاطراف فالتحقيق ان الششن الغلظ
من غير خشونة ولا قصر روى الحاكم وغيره انه صلى الله
عليه وسلم مسح بيده الدم عن وجه وصدر من جرح في وجهه
فكانا ثريد الشريفة غرة سايلة كغرة الفرس وصح انه
مسح راس ولحية ابي زيد الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ
بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولا في وجهه انقباض وروى
احمد وغيره انه مسح راس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان
يمسك بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب واما اباطه
صلى الله عليه وسلم فكانا ابيضين كما جا عن عدة من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين لكن تعارضه الرواية الصحيحة
كنت انظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع
وقد يجمع بحمل البياض في الاول على البياض غير الناصع
وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت بوجه
وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهي
خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بل في رواية له شعرات
من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على
بطنه غيره واما بطنه وظهره فجا انه صلى الله عليه وسلم
كالقراطيس المثنى بعضها على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين



اي عريض القدم واما قلبه فهو اول قلب اودع الاسرار الالهية
والمعارف الربانية لانه اول الخلق كما مر وصورته اخر صور
الانبيا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ومما يتميز به ان
قلبه اودع ما لم يودع غيره تكرر شقه وملؤه ايمانا
وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في
مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التي هي
اعلام على الاخلاق الباطنة فكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق
فكذلك هذه واما جماعه فقد صح عن انس كنا نتحدث
انه اعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع وروى الاسماعيلي
انه اعطي قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال
اهل الجنة والرجل في الجنة يعطي قوة مائة كما صححه الترمذي
وقال غريب واربعون في مائة باربعة الاف ومع ذلك
كان صلى الله عليه وسلم على جانب من التقليل لغذا ليخرق
الله له العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبياء
لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عايشة رضي الله تعالى عنها
يصبح جنبا من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه
فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية وقاع فهذا هو الذي
من الشيطان بخلاف مجرد نزول المني في النوم واما قدمه صلى
الله عليه وسلم فجا عن غير واحد انه شثن القدمين اي غليظ
اصابعهما وكانت سبابة قدميه اطول من بقية اصابعهما ومن
روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما
متظاهرة وكانا لا اخمص لهما اي ليس في باطنهما كثير انخفاض
بحيث يطا به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح

غاية

لأن هو

القدمين اذ فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق واما
طوله فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث
الكثيرة وفي حديث ما يفيد انه اذا مشى وحده او مع قصير
صار طويلا والاطالة على من ماشاه وهو ينسب الى الطول
بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة
واما مشيه فقد صح عن علي كرم الله وجهه انه كان اذا مشى
تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى
تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب اراد انه كان يستعمل
التثبت ولا يبين في هذه الحالة استعجال ومبادرة للمشي منه صح
وهذا هو مراد الناظم بقوله والمشي الكاين منه الهوينا
تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم ✽ نحو وكل اناس
سوف تدخل بينهم ✽ دويهية تصفر منها الانامل ✽
وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قايلا وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رايت اسرع من مشية
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث لا يجهدهم عن خوفه للشر لانه كان
يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لانه
كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله كان الارض
تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية ذريع
المشي اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى
تقلع التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في
الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة وهي اعدل المشيات

بلغ مقابلة بحسب الطاقة

واروجها

الثامن عشر

٦٨

واروجها للاعضا فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة
محمولة فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه
تدل على قلة عقل صاحبها لا سيما ان اكثر فيها الالتفات وكان
صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع اصحابه قدمهم امامه وقال
خلوا ظهري للملايكة وكان اذا مشى في قمر او شمس لا يظهر له
نور وستره قوله صلى الله عليه وسلم في دعايه واجعلني نورا واما
لونه فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق
متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك
يسمى ابيض نعم قد ينافيه ابيض شديد البياض الا ان
يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد البياض
كما تدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وعلى الوجه
تحمل رواية امهق اي احمر لليسر بابيض وقول عياض انها وهم
غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا بالادم اي وقول
عياض ان هذه ليست بصواب مردود بان المراد ليس شديد
البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب
تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد في رواية ولونها ففيها
رواية ابيض بياضه الى السمرة ورواية احمر الى البياض
او المراد انه كان تحصل له السمرة اذا اسافر لتاثره من الشمس
وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا وقد انقضى وقته كما مر صح
وذهب بعض المالكية الى ان من زعم انه كان اسود يكفر
وفي رواية يقتل اي لان السواد يشعر بالنقص واما
طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان في ذلك الغاية العليا
وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى والطبراني

ان رجلا استعان به في تجهيز ابنته فاستدعى بقارورة وسلت فيها
من عرقه وقال مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم
اهل المدينة ذلك الطيب فسموا ابيت المطيبين ومن انه كان
اذا مر بطريق فمر الناس منه وجدوا رايحته وعرفوا بذلك
انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه او من عرق جبريل
او من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب انه كان يخرج
منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وايد الحافظ عبد الغني
بان احدا من الصحابة لم يذكر انه راه بخلاف البول فانهم كانوا
يستشفون به كدمه ومن ثم اختار جماعة من ايمتنا طهارة
جميع فضلاته واما نومه فهو الاغفا اي اخف النوم بحيث
لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته
المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كساير الانبيا
عليهم الصلاة والسلام كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح
عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم
وسر ذلك كمال حياة قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ويقظته
ودوام شهوده لربه عز وجل ومن ثم كان صلى الله عليه
وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه
نومه صلى الله عليه وسلم بالوادي عن صلاة الصبح حتى
حميت الشمس لان رويتها من وظيفة العين والقلب
انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهي
نايمة والقلب يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت
الطويل فانه صلى الله عليه وسلم نام قبل الفجر الى ان حميت
الشمس لانه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا في شهود

اجم

ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع
بتلك الاحكام الكثيرة جدا التي استفيدت من تلك الواقعة
كسهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه
قلبه ايضا وهو الذي كان حينئذ وردوه بانه لم يثبت فهو
مردود على قايله كتاويل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم
من صو
لا ينام قلبي بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام
على شي من محاسن ذاته صلى الله عليه وسلم التي لم يخلق الله
تعالى ذاتا اشرف منها فلنذكر شيا مما يتعلق بمحاسن
اخلاقه وصفاته التي لم يخلق الله تعالى اشرف منها ايضا
فنقول ماسوى اي ليس غير خلقه النسيم اي الريح التي في
غاية اللطافة واللين والطيب يعني لا يشبهها خلق احد
الا خلقه الكريم العظيم وهذا مقتبس من قول ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجود الناس بالخير ثم قال ايضا فرسول الله صلى الله عليه
وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح
هذا ان خلقه افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف
هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه صلى الله عليه وسلم
قلت هذا الايراد انما هو باعتبار الغالب والا فقد
يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في صليت على ابراهيم
هنا سم
الى اخره فكذا هنا شبهه بها البليغ انما هو باعتبار ما
فيهما مما يحيي الروح ويحيي القلب ويجلي صدى النفس وغير
يعني
ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت لا يشبهها
الى اخره لابين ان هذا المراد من العبارة لا انه يختص به وذلك

ما سوى خلقه النسيم ولا غير محياه الروضة الغنا

لان نفي مشابهة غير خلقه صلى الله عليه وسلم لها لا يفيد انه
لا يشبهها الا خلقه صلى الله عليه وسلم لان هذا الحصر لا دليل
عليه في الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفي بغير
وعبارته غير تقال على اوجه الاول ان تكون للنفي المجرد
من غير اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال وهو
في الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسياتي في شرح
قوله وما سواه هو العاصي ماله مما هنا تعلق فاستحضره
والخلق بضم فضم او سكون قال الراغب وهو والمفتوح في الاصل
بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة
والمضموم بالسجايا والقوى والمدركة بالبصيرة ثم قيل
المضموم غريزة لخبر البخاري ان الله قسم بينكم اخلاقكم
كما قسم ارزاقكم والحق ان اصله غريزي وتمامه مكتسب لما
صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين
يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان في
او حديثا قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله
فترديد السؤال وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك
يدل على ان بعضه غريزي وبعضه مكتسب ويدل له ايضا
الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وما صح انه
كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق
فانه لا يهدي لاحسنها الا انت فهو جبلة في نوع الانسان
وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه او كماله امر بالمجاهدة
والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن

بانه ملكة يسهل على ربها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما
اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال
والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد اثنى الله تعالى عليه في
كتابه الكريم فقال عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم فوصفه
بالعظم وزاد في المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى
الله عليه وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى عليها
فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكرم
الغالب في وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة
وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان
عنده غاية الرحمة للمومنين كان عنده غاية الغلظة والشدة
على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم يكن
له همه سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه
ومن ثم ورد بسند فيه ضعيف ان الله بعثني بتمام مكارم
الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفي رواية الموطا بلاغا
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت
خلقه ومن ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه
القران قال السهروردي رحمه الله تعالى ونفع به في عوارفه
في قولها ذلك رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية
فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق
الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحياء
من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور
عقلها وكمال ادبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه
صلى الله عليه وسلم اعظم خلق بعثه الله الى جميع العالمين

معه والديانة قال الجوهري والديانة سهولة الخلق

وعلم من كلام عايشة رضي الله تعالى عنها ان كمالات خلقه صلى
الله عليه وسلم لا تتناهى كما ان معاني القران لا تتناهى
وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى
عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب
ورياضة وانما كان في اصل خلقته بالجود الالهي والامداد
الرحماني الذي لم يزل يشرق انواره في قلبه الى ان وصل لاعظم
غاية واتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشا عن كمال العقل
لانه الذي به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل والعقل
لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان
ولكن جوهره البصر وفي القاموس بعد الاشارة الى الخلاف
في تعريفه والحق انه روحاني به تدرك النفوس العلوم
الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان الولد
ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل البلوغ انتهى والحديث المشهور
اول ما خلق الله العقل قال له اقبل الى اخره موضوع
وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال الى غاية
لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى ابو نعيم وابن عساكر
عن وهب انه وجد في احدى وسبعين كتابا ان الله لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب
عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله
عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره
على طباعهم المتنافرة والمتباعدة حتى قاتلوا دونها اهاليهم
وهجروا في رضاه اوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير

الماضين



الماضين ولا تعلم من العقلا المحدثين وفي هذا ما في الذي قبله
منها انفا **ولا عين محياه** اي وجهه صلى الله عليه وسلم **الروضة
الغنا** اي الكثيرة النبات والازهار والثمار اي ليست
الروضة الغنا الا وجهه صلى الله عليه وسلم لانه احسن
الخلق وجها كما مر مبسوطا هو **رحمة** وهي عطف وميل
نفساني غايتها التفضل والانعام اي عينها مبالغة او ذوها
وهو خبر مقدم واخبر بقوله ومما بعدها بلفظ المصدر اشارة
الى انها قد امتزجت بذاته صلى الله عليه وسلم واستحال
انفصالها عنه حتى كانها هو وكانه هي اي ركب منها وطبع عليها
وخلق منها **كله** كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ويجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم في علا او مفعول
لاجله وعلى حذف مضاف اي ذا رحمة والعالمين هنا قبيل
الجن والانس وعليه الجمهور وقيل الملائكة وعليه غير واحد
من المحققين ويدل له ايضا ليكون للعالمين نذيرا ونقل
الرازي وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملائكة مردود
بل اخذ بعض متاخري ايمتنا بظاهر خبر مسلم وارسلت
الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية
والامان من القتل وللكافر بتاخير العذاب ولساير
الحيوانات لان بوجهه يستسقى الغمام وبدعايه ينزل
قطر السما فينبت النبات فيكون لهم سقيا ورعيا وللمنافق
وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب
اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت
او الى يوم القيامة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة

فعلم ان ذاته الشريفة رحمة للمومن والكافر كما قال تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وروى الدارمي والبيهقي حديثا
انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة
فكان وجوده وجميع شمايله رحمة على الخلق وقال اخر الانبيا
خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كلهم صح
كيف هو عين الرحمة وقد جا بالسيف واستباحة الاموال
لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ
ولا ارشاد ومن اوصافه تعالى الرحمن والرحيم والجبار والمنتقم
وفي الشفا حكي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك
من هذه الرحمة شي فقال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم
احد قالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن له صح
بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
اي اغفر لهم هذا الشي المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا
كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بان الله
يملا بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعا
لله لا لحظ نفسه صلى الله عليه وسلم وحزم كله اي كل جميع
احواله التي تصدر منه انما تصدر على غاية من الضبط و
القوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشا ذلك العقل
الكامل وقد مر انه لا اكمل من عقله بل لا مساوي له من نبي
ولا ملك وعزم اي كله من عزم على الشي قطع به اي جميع
ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعله مع امضايه والقطع
به من غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصايصه صلى الله عليه

وسلم

٧٦

وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه اداامه كما وقع له ان ناسا شغلوه
عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها حينيذ
واستمر يصلي ركعتين بعد العصر الى وفاته ووقار كله
لان الله تعالى القى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم
قال خارجة بن زيد كما رواه ابو داود وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه وعن ابي سعيد الخدري
خ المسجد
كان اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا
لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
مجلسه مجلس علم وحيا وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم اطرق
جلساوه كانما على روسهم الطير وجا اليه رجل فقام بين يديه
فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك
فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس اني اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى
لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله
اخوانا ورات قيلة بنت مخرمة في المسجد قاعدا القرفصا
فارتعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن
عمرو بن العاص رضي الله عنه قال صحبت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فما ملات عيني منه قط حيا منه وتعظيما
له ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هو من اجلا
الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك فما بالك بغيره فعلم

والقرفصا ضرب من القعود [illegible] يحتبي بيديه [illegible] يضعهما على ساقيه [illegible]

انه صلى الله عليه وسلم لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك
لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويوانسهم لما قدر احد منهم
ان يجالسه ولا يحادثه لما القى الله عليه من المهابة والجلالة
وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاشار جبريل بستشيره فاشار اليه ان تواضع فاختار
العبودية وعصمة كله اي حفظ يستحيل عليه شرعا وقوع خلافه
من ساير الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها
قبل النبوة وبعدها في ساير حركاته وسكناته في باطنه
وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه ورضاه وغضبه
والخلاف في بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد اجمع الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم
والتاسي به في كل ما يفعله من قليل وكثير وصغير وكبير لم يكن
عندهم في ذلك توقف حتى اعماله في السر والعلانية والخلوة
يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن
تامل احوالهم معه استحيا من الله كما قاله الامام المجتهد
التقي السبكي ان يخطر له تشكك في انه معصوم في كل ما ذكرناه
وكذلك الانبيا كلهم معصومون كما ذكر وحكي في عصمتهم
قبل النبوة خلاف ومحله في غير الجهل بالله وصفاته اما هو
فهم معصومون منه اجماعا بل لم ينشوا الا على اكمل الاحوال
من الايمان بالله ومعرفته كما ينبغي وحكي في عصمتهم بعد النبوة
من الصغاير خلاف ايضا وهو في غاية الضعف بل الزم قايله
بخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم ومحله في غير صغاير
الخسة كسرقة لقمة وفي غيرها ما يتعلق بطرق التبليغ اما

هذا ان



هذا ان فهم معصومون منهما اجماعا واما قوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى فللمفسرين فيها اقوال كثيرة احسنها ما جا
عن ترجمان القران ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولخرين
من صحابة وتابعين ان معناه وجدك ضالا عما اتاك
من معالم النبوة فهداك اليها وتوتيه قوله تعالى ما كنت
تدري اي قبل الوحي ما الكتاب اي القران ولا الايمان اي
الدعا اليه او به ولا الفرايض والاحكام اذ الايمان يطلق
عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جا مرفوعا
اي وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك
فردك اليه او هو من ضل الما في اللبن اذا انغمر فيه اي وجدك
مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم واما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه
على اقوال كثيرة لها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق
انفا ومن احسنها ان المعنى خففنا عنك اعبا النبوة التي
اثقلت حقوقها والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد ان تكون
له نقيض اي صوت او المراد عصمناك من الوزر الذي لو
تحملته صوت ظهرك من ثقله فسمى العصمة وضعا مجازا او
رفعنا عنك اوزار امتك التي اثقل ظهرك خوف غايلتها
حتى امنك الله ذلك في العاجل بقوله عز قايلا وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم واعطاك الشفاعة فيهم في الاجل واما
قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فاختلفوا
فيه كذلك واحسن ما فيه ايضا قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان او المراد بالذنب
ذنوب امته على وزان ما مر او ترك الاولى والاخرى كما قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم اى محى عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى
ووقع لبعض مشاهير المفسرين في بعض هذه الايات
ما لا ينبغي من التساهل وسوء الادب فاحذره وحفظ
ايضا صلى الله عليه وسلم من اعدائه الحريصين على قتله
فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من
الناس فخرج صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال
يا ايها الناس انصرفوا عني فقد عصمني ربي وتواعد جماعة
على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا ما هو لا فغشي عليهم
ثم تواعد وامرة اخرى فلما راوه جاءت الصفا والمروة
فحالتا بينه وبينهم وواعد ابو سفيان قريشا اذ راه
ليطان على عنقه فاعلموه به فذهب اليه فولى هاربا
فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوءا نارا
فكدت ان اهوى فيها وابصرت هولا عظيما وخفق
اجنحة قال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنى
لاختطفته عضوا عضوا ووفد عليه عامر بن الطفيل
واربد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فاراد اربد قتله
فلم ير الا عامرا وحيا كله كما يصرح به خبر البخاري عن
ابي سعيد رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها اى البكر وقيد
ذكره من باب التتميم لان العذرا في خدرها يشتد

[illegible] ابو جهل

حياؤها



حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل
بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها
في خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحيا بالمد لغة
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به
وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من
التقصير في حقوق ذى الحق من الحياة وكذا الحيا بالقصر وهو المطر
وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام
ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه صلى
الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنه
المقام ان يقول لهم انصرفوا ومن تحركه لا يواجه احدا
بما يكره بل اذا بلغه عن احد شيء قال ما بال اقوام ولم يقل
ما بال فلان قالت عائشة ما رايت منه ولا راى مني
ومنها حيا المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة
محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج
بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته
لمعبوده فيستحي منه لا محالة ومنها حيا المرء من نفسه
ان رضيت بالنقص او قنعت بالدون حتى كان له نفسين
يستحي باحدهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحيا
وهو حيا النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال
فيه صلى الله عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير والحيا
من الايمان رواهما البخاري وجعل من الايمان مع
انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى
قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذي جعله

جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي وهو صلى
الله عليه وسلم جمع له النوعين فكان في الغريزي اشد حياء
من العذراء في خدرها ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم
اوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه الكريمة
اتساعا لا يحد ثم من ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو
مع القدرة وصبره على ما يكره لا سيما في الشدائد حتى انه
لا تغير الباساء اي الشدة وان افرطت لا سيما في الحروب
وقد استغرقت نيرانها واصطلمت عقول شجعانها منه
متعلق بما بعده من المضاف او المضاف اليه او بتحل عرى
الصبر وهو حبس النفس على ما تكره اي اسبابه من الحلم والعفو
والصفح والشجاعة المستمهنة في اشتمالها على من قامت به حتى
منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران الغضب بحبال الربط
على شيء واحكمت في عرى فاستحكمت واستمسكت عليه ولم يكن
حلمنا ولا نقضها فذكر العرى استعارة تخييلية وتشبيه الصبر
بالثوب السابغ ذي الازرار والعرى المحكمة استعارة بالكناية
وذكر لا تحل ترشيح وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه
يوم احد في اشد ما نالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال
الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول الله
لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي او اهد قومي فانهم لا يعلمون
اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب
عليهم في ذلك من انواع العذاب واصناف العقاب وروي
عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال بابي وامي يا رسول الله لقد
دعا نوح على قومه فقال يا رب لا تذر الاية ولو دعوت

علينا



علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه
وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر املا
قلوبهم نارا كان لحق الله وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب
لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقول
الله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة
لاسباب مختلفة لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه بل
لربه وقد صح عن زيد بن سعنة بسين وعين ونون مفتوحات
وهو من اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات
النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم
حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه
جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف
له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى اجل
فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة
اتيته فاخذت بمجامع ردائه وقميصه ونظرت اليه بوجه
غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد
المطلب لمطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت
بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر
رضي الله تعالى عنه في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج
الى غير هذا منك يا عمر تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن التقاضا

اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته
ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكر له ما مر وقد عرفتهما
فاشهدك اني قد اسلمت وروى ابو داود ان اعرابيا جاء اليه
فجذبه بردائه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال
احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال
ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا
حتى تقيدني من جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول
له لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا
وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البردة
في صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد
مر لي من مال الله الذي عندك فضحك ثم امر له بعطا وروى
الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يكن النبي صلى
الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح اي لم يكن له الفحش لا خلقا ولا تكسبا وروى
البخاري ان رجلا استاذن عليه فلما راه قال بئس اخو
العشيرة فلما جلس البه الان له القول وانبسط اليه فلما
انطلق سالته عائشة رضي الله تعالى عنها عما قال وعما
فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى عهدتني فحاشا والعشيرة
القبيلة وانبساطه اليه تالف له لانه رئيس قومه وتعليم
للامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا
لصلاح الدين او الدنيا او هما بخلاف المداهنة فانها
بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل



له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله
معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن
حصن الفزاري وقد كانت منه امور في حياة النبي صلى الله عليه
وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق
وحارب ثم اسلم في زمن عمر رضي الله عنه فما قاله صلى الله عليه وسلم
فيه من علامات النبوة ولا ينافي ما مر انه لم ينتقم لنفسه امره بقتل
عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه
صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى
وايس من ايمانهم ومن ثم لما طمع في ايمان المنافقين امهلهم مع
شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من اعلم بعدم
ايمانه للمصلحة العامة كما اشار لذلك صلى الله عليه وسلم
بقوله لمن قال له اقتلهم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وصح عن انس رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم احسن
الناس واجود الناس واشجع الناس وان اهل المدينة فزعوا
ليلة فخرجوا فراوه راجعا من جهة الصوت متقلدا بسيفه على فرس
لابي طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لن تراعوا ما رايناه من
باس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطالا معروفين بانهم لم يصرعوا فصرعهم
صلى الله عليه وسلم وفي البخاري انه قيل له افررتم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال نعم ولكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يفر وكانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا
فاكببنا على المغانم فاستقبلونا بالسهام ولقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وان ابا سفيان بن الحارث
آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب انا ابن

عبد المطلب • ونباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه
عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف صلى الله عليه وسلم
مع ذلك يركضها الى جومهم وينوه باسمه ليعرفه من جمله
من ثمر قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم كنا اذا احمر الباس
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه بيننا
وبين العدو وجعلنا خلفه محتمين به ولما قال اللعين ابي بن
خلف يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم
الحربة من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه بعد اذ ارادوا
التعرض له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها
انقلاب نفسه الخبيثة اللعينة **ولا تستخفه** اي لا تخرجه عن
ثباته وتواضعه ووقاره **السرا** اي الرخا والسعة في الجيوش
والفتوح التي منها في اواخر حياته صلى الله عليه وسلم بل هو
معها كما قبلها لم تزده الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن
ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش
الهائلة التي لما راها ابو سفيان قال للعباس لقد اصبح ملك
ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها
نبوة قال نعم وهو صلى الله عليه وسلم على ناقته القصوى في
كتيبته الخضرا بين ابي بكر واسيد بن حضير وجالته وضع راسه
تواضعا لله تعالى لما راى ما اكرمه الله تعالى به من الفتح حتى
ان راسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته ان احل له
بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم
بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه صلى الله عليه وسلم
**كرمت نفسه** لان الله تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة

المحمدية

٧٧

المحمدية من انواره الصمدية في حضرة الاحدية ثم سلخ منها
العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق في ارادته
وعلمه ثم اعلمه الله بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته
وبانه نبي الانبيا وواسطة جميع الاصفياء وابوه ادم بين الروح
والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح
فظهر بمداه الها في عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان هو
الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس
فهو صلى الله عليه وسلم وان تاخر وجود جسمه متميز عن العوالم
كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني ومحتد نور الامداد
الرحماني **ف**بسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها عن
كل رذيلة ونقيصة **ما يخطر السو على قلبه ولا الفحشاء**
كيف وقلبه قد طهره الله تعالى بشق الملائكة المرات المتعددة عند
تنقله في الاطوار المختلفة كما مر بيانه واخراج ما فيه مما جبل
عليه النوع الانساني مما يقتضي ذلك ثم طهره وغسله وحشيه
من الحكم والعلوم مما لا يحيط به الا المالك به عليه صلى الله
عليه وسلم وذكر الفحشا مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء
السو لانها السو الذي جاوز حده لان المقام مقام الاطناب
واذا تاملت ما اتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مما مر
من تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد **عظمت نعمة
الاله عليه** عظمة قطعت سائر الخلق عن ان يصل احد منهم الى
مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها **ف**بسبب هذه العظمة المذكورة
**استقلت لذكره** اي عند او وقت ذكر ما انعم الله عليه ونظيره اقم
الصلاة لذكري **العظماء** اي جميع ما انعم الله به عليهم لانه صلى

عظمت نعمة الاله عليه فاستقلت لذكره العظماء

الله عليه وسلم اوتي غايات الكمالات الباهرة التي لا يدرك شاوها
مخلوق ولو عرض معمها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم
والفضايل التي اوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها
دون كمالاته وقطعوا بان ما عنده اعظم واجل وافخم واعدت
ضمير ذكره وحملت العظما على ما ذكرته لان المتن صريح في ذلك باعتبا
انه قرع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا من ان لو لم افعل
ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار
للعظما الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملايكة المقربين
لاسيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل
دنياك ولا نظر مع ذلك الى قبول ذلك الايهام للمنع بان يقال
استقلال الشي عدم قبله لاحتى في العرف ولا شك ان ما عداه
صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه كنسبة القليل الى الكثير
فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار
متبادر حتى على ما ذكرته لان اضافة استقلال الى النعم توهم
احتقارها وهو محذور ايضا قلت ممنوع لان النعم
الواصلة للعظم وغيره توصف بالقلة تارة والكثرة اخرى
فلم يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا اصلا بخلاف الذوات
فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها اذ لا يستعمل
الاستقلال فيها الا بهذا المعنى غالبا نعم قرينة المقام لاسيما
مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام كما هو جلي
وبين عظمت والعظما تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه
وسلم على جانب من الحلم على من اذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه
وفرط الحلم عليهم والاغضا عنهم بالغاية التي لا يصل اليها غيره

ومن

ومن ثم قال حملت قومه اي قريش وغيرهم عليه اي اذوه اذى لا
يطاق فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه
ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فسال منهما الدم على نعليه
وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون
وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم وبني المطلب
في شعبهم سنتين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر جميع
ذلك في رواية البخاري ومسلم من حديث عايشة رضي الله
تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك
يوم اشد من يوم احد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت
من قومي وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من
ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهاءهم وسبيانهم وضربوه
ورجموه فاغضى عنهم حلما وتكرما لاسيما وقد جاءه لما اشتد
ايذاؤهم له ملك الجبال كما رواه البخاري ومسلم من حديث
عايشة السابق انفا فانه قال بعد ان ذكر ما اذاه
لما خرج اليهم بعد موت ابي طالب يدعوهم الى الله تعالى ويستنصر
بهم على قريش فانطلقت وانا مغموم مهموم على وجهي فلم
استفق الا وانا بقرن الثعالب اي ميقات اهل الحجاز
فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها
جبريل فناداني فقال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا
عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني
ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا
ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان

يخرج من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا فكان الامر
كما رجا صلى الله عليه وسلم واخو الحلم اي التأني في الامور وعدم
الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اى الذى طبع عليه حتى صار
غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دابه اى شانه وعادته المستمر
هو عليها الاغضا اى التغافل عن اذى يلتفت الى انه اوذى فضلا
عن ان ينتقم ممن اذاه وفي كلامه المقابلة لما قررته ان المراد
بالجهل لازمه من ابدابه بما لا يليق ومن ثم لما اذوه يوم احد
بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال صلى
الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اى علما
ينتفعون به اما لجهلهم اي اعتقادهم الشي على خلاف ما هو
عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقدون رجا ايذايه صلى
الله عليه وسلم ومقاتلته غفلة عما لو التفت قلوبهم اليه ادنى
التفاتة من معجزاته صلى الله عليه وسلم لعلموا الحق واتبعوه من
فورهم واما لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فنزل علمهم منزلة
الجهل بل هو اضر منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان في تعبير الناظم
بالجهل تضمينا لجملة قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه
من عدم الانتقام وفيه المقابلة ايضا بين الاعطا والامساك
والتحقق والظن الاتيان وفيه ايضا جناس الاشتقاق بين
اغضى والاغضا والتذييل بالمثل السائر واصل الاغضا
اطباق العين عن رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض
عن المكروه فيهما واذا كان اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا
صلى الله عليه وسلم وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها

مخلوق



مخلوق لان الله تعالى هو الذى تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من
حقايق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين ساله
فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وكل من اثر له حلم واحتمال عرفت له زلة او هفوة
تنافي الحلم الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى
الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت
عايشة رضي الله تعالى عنها ما رايته منتصرا من مظلمة ظلمها
قط الا ان تكون حرمة من محارم الله تعالى اى المتعلقة به
تعالى كما مر ذلك مبسوطا في شرح قوله لا تخل لباسا منه عرى
القصير ومنه قصة الاعرابي الذى جذبه بردايه حتى اثر
في عنقه الشريف وقال له اعطني من مال الله لا من مالك ولا من
مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وانا عبده
ثم طلب منه القود فقال كلا لانك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك وامر له بحمل بعيريه ومر في قصة اليهودي الذى اسلم
ان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ان حلمه يسبق غضبه وانه
لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل في غزوة فتح مكة
على قريش وقد جلسوا في المسجد الحرام واصحابه ينتظرون امره
فيهم من قتل او غيره قال ما تظنون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقا وسع بالكسر العالمين
جمع عالم وللمحققين فيه في الاية كلام منتشر لا باس بتلخيصه
وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به

كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم
به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض
فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على
وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه
ان المفرد وهو العالم ادل على الشمول والاستغراق اذ الجمع
قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا
مختلفة كالجن والانس والملايكة والدواب والجماد وغير ذلك
واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم
الاستغراق بعض افراد تلك الاجناس فقط ولاصحاب
حواشي الكشاف هنا كلام متباين هذا احسنه وغلب في جمعه
بالواو او اليا والنون العقلا لشرفهم وجمع قلة مع ان الظاهر
متنوع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان
كثرت في جنب عظمة الله تعالى وكبريايه وقيل العالم اسم
وضع لذوي العلم وهم الانس والملايكة والجن وتناوله لغيرهم
على سبيل الاتباع فهو مشتق من العلم وقيل عني به الناس فان
كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظاير ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين
النظر فيهما فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقد بين حجة
الاسلام في كتابه الانتصار لما في الاحيا من الاسرار وجه
اشتمال الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول فراجعه
فانه بديع ومنه ان العالم ينقسم الى عوالم عالم الملك وهو الظاهر
للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت
وهو المتوسط الذي اخذ بطرف كل عالم منهما والانسان

بلغ مقابلة بحسب الطاقة

كذلك



كذلك فالمشابه للاول اجزا بدنه وللثاني نحو روحه وعقله وارادته
وللثالث الادراكات الموجودة في الحواس والقوى الموجودة
باجزا البدن **علما** تمييز اي وسع علمه صلى الله عليه وسلم
علوم العالمين الانس والملايكة والجن لان الله تعالى اطلعه
على العالم فعلم علم الاولين والاخرين ما كان وما يكون كما مر
وحسبك في ذلك القران الذي اوتيه صلى الله عليه وسلم
ومثله معه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى
ما فرطنا في الكتاب من شي ويلزم من احاطته صلى الله عليه
وسلم بالعلوم القرانية ومثلها الذي اوتيه ايضا انه
صلى الله عليه وسلم احاط بعلوم الاولين والاخرين وان
علومهم مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم
**وحلما** تمييز اي وسع حلمه حلم العالمين باسرهم كما عرف مما
سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة او هفوة تحرك
في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة
الايذا له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلمه وما
قبله الجناس المضارع **فهو** بسبب جمعه لتلك المعالي التي
لم تجتمع لغيره **بحر** اي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق
نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ او استعارة
على قول مردود اي كالبحر الذي هو خلاف البر والنهر سمي بحرا
لاتساعه وعمقه **لم تعيه** من اعيى فلان في مشيه اي تعب
او وقف **الاعبا** جمع عبا بكسر اوله وبالموحدة والمد وهو الجهل
والثقل من اي شي كان اي لم يكد يتحرك علمه شك ولا شبهة ويتحرك
حلمه ايذا ولا جهالة فاستعار الاعيا للكدورة والاعبا

علوم الاولين

للشبه والجهالات واذا تاملت ما تقدم من اوصافه وكمالاته الباهرة وعصمته
ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي اندرجت البحار كلها في يمه
والحليم والكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه
وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن التلفت لما سوى
الله تعالى مستقل اي محتقر دنياك اي الاموال التي هي
من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السما والارض ان ينسب
الامساك منها اليه ولو ان ينسب اليه ايضا الاعطاء
منها لانها لفنايها وكثرة الاشتغال بها عن المعالي حقيقة بمزيد
الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو
لمستحقها احتقارا لشانها وتعليما للامة عدم الاعتداد
بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها اشد الاعراض
خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي
بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما
فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك
وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والا فهو عالم
بالاشيا جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى
الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل
والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق
ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة
من السما افزعته فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل امر الله
القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل ان ينزل اليك
حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال يا محمد ان الله سمع
ما ذكرت فبعثني بمفاتيح خزاين الارض وامرني ان اعرض عليك

ان

ان اردت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا
وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا
فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر
الى همته العلية كيف عرضت عليه خزاين الارض فاعرض
عنها واباها مع انه لو اخذها لم ينفقها الا في طاعة الله تعالى
لكن اختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة
ما اسناها ونفس زكية كريمة ما ابهاها وقد اشار الناظم
الى ما هنا بقوله في بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب
الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث وكيف تدعو الضرورة
سيد المرسلين والمعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي
وما فيها انما خلقت لاجله كما صح به الخبر السابق تنبيه
قوله هنا مستقل الى اخره احسن من قوله ثم واكدت زهده فيها
ضرورته لان بعض العلما انكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد
ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال
وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا انكر وصفه بالزهد
فالضرورة من باب اولى وفي السيف المسلول للتقي السبكي
عن الشفا واقره ان فقها الاندلس افتوا باراقة دم من
وصفه صلى الله عليه وسلم بالفقر في اثنا مناظرته باليتيم
ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها
وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقها المتاخرين انه كان
يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال ولا حاله حال
فقير بل كان اغنى الناس بالله تعالى قد كفي امر دنياه في نفسه
وعياله وكان يقول في قوله اللهم احيني مسكينا ان المراد به

استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته
وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى ولو قال
لا المسكنة المرادفة للفقر لها او المقابلة له لكان انسب بغرضه
واما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه
وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى فايدة
اكثر القران يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم
الى الاخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع كيف
وهي عدوة لله تعالى وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم
بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه
لانها استدرجتهم بمكرها وافتتنتهم بشبكتها حتى وثقتهم
فوثقوا بها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة
ثعلبة بن ابي حاطب الذي انزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله
لئن اتانا من فضله لنصدقن الايات انه سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله تعالى يرزقه مالا فقال
صلى الله عليه وسلم قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد
السؤال فقال صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة اما ترضى ان
تكون مثل نبي الله والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال
ذهبا وفضة لسارت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه
وسلم راى شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على
الله عز وجل من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل
عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما وفي الخبر
الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم
او متعلم وصح ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه دعي بشراب فاتي

تما وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم مسح عينيه فسالوه فقال كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيا
ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك
فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت
فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة
الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم انما اخشى عليكم
ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها
كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم تنبيه ان اولى ما المراد
بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس
حب الشهوات من النسا والبنين الاية ويجمع ذلك كل ما للانسان فيه
عاجل حظ او شهوة من غير ان يعين على عمل اخروي ولا يقصد
به ذلك فان قلت قد تعارضت الاحاديث في ذم المال ومدحه لانه تعالى
مع ما سبق في ذم الدنيا سمى المال خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح
للمرء الصالح وكل ما جا في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان
والزكاة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه
وفي حديث البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على
المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم
بطلانه غلط صريح اللهم من امن بي وصدقني وعلم ان ما جيت به
هو الحق من عندك فاقلل ماله وولده واطل عمره وطرقه كثيرة
مختلفة متنا ومنها صحيحة على شرط الشيخين ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اني احبكم اهل البيت فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم الله قال الله قال فاعد للفقر تجفافا فان الفقر
اسرع الى من يحبنا من السيل من اعلى الاكمة الى اسفلها مع دعائه

صلى الله عليه وسلم لخادمه انس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان
ووجه الجمع ان المدعو به في الاول من قلة المال والولد المراد
منه قلة فتنتهما لان الغالب فيهما الفتنة كما هو واضح من
الايات والاحاديث وفي الثاني من كثرتهما المراد به كثرة فوائدهما
وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه وانما هو
كالسيف في يد القاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا اخرى او كحية
في يد انسان فيها سم وترياق ولكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفوس
واذهب واذا تاملت ايضا ما تقرر من كمالاته العلية علمت
انه صلى الله عليه وسلم شمس سما العلوم والكمالات باسرها وكل
فضل تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة استمداد من فضله
واذا كان الامر كذلك تحقق اي من حق بمعنى ثبت الظن يعني
الاعتقاد الجازم المطابق للواقع فيه اي في ذاته وصفاته انه
بالنسبة الى بقية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم الشمس المشرقة
على هذا العالم البائنة عنه رفعة فلا يصل اليها احد وانه الضيا منهم
المفيض عليهم اضوا الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس
والضيا تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه البالغ والاستعارة
الاصلية المطلقة على القول الذي مر رده في مراوائل الكتاب
ما للبلغا في التشبيه بالشمس فراجعه ليس كون المشبه به اعلى
من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما في صلاة التشهد
كما صليت على ابراهيم على احد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما نبه
الناظم رحمه الله لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم اعلى شانا
في الضيا من الشمس فقال عاطفا بها السببية اشعارا بالنكتة
التي ذكرنا انه تنبه لها فـ بسبب ان المشبه قد يكون اعلى من المشبه

كيف صح

لكن م





به كان شانه صلى الله عليه وسلم انه اذا ما لم يتكلم الجمال بن هشام
على هذه في المغني مع انها في القران في غير موضع وتكلم على اذ ما
مع كونها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكي في عروس الافراح
في ادوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما تحولها الى الحرفية
اولا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجري فيها قولا اذ ما فقول
سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها باقية على الظرفية لانها
ابعد على التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر
لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها
على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجري
فيها احكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل
متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة
كاذا السما انشقت وتحتاج لجواب وتقع في الابتدا عكس
اذا الفجائية وجوابها اما فعل كما هنا او جملة اسمية
مقرونة بالفاء او باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون
او فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق
او المقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على
انه ما في جوابها من فعل او شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور
وزعم الاخفش في حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جني
في اذا وقعت الواقعة بنا على نصب خافضة رافعة ان اذا
الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان حالان وكذا البيت
ومعمولا لفعل قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال
نحو والليل اذا يغشى وللماضي نحو واذا راوا تجارة الاية فانها
نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن الشرطية نحو واذا ما غضبوا

لتها

ويحتمل التجزم ببقائها على الظرفية صح

بهم يغفرون فهي ظرف لهم المبتدأ وزعم ان جوابها بتقدير فهم غفلة
عن ان حذف الفاء ضرورة وان هم تأكيد لواو يغفرون الذي هو
جوابها تعسف وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل
لاستمرار الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر
فيه بان الاستمرار هنا وفي نظائره التي استدلوا بها انما اخذ
من قرينة السياق دون موضوع اذا او تفارق ان اذا في احكام
كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا
ما وان للمشكوك او النادر ولا يرد ولئن متم لان الموت لكثرة
الغفلة عنه وللجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا
مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بانه لابد ان يمسهم
شيء من العذاب **ضحى** اي متى عقب طلوع الشمس وهذا ليس
لتقييد الجزاء اذ محو نوره الظل يكون في هذا الوقت وغيره لكنه
في هذا الوقت اظهر لقوة ضيا الشمس وضعف نورها حينئذ
**محى نوره** وبين ضحى ومحى التجنيس اللاحق وهذا والضحى تجنيس
الاشتقاق **الظل** مفعول اي ظل ذاته الكريمة او مطلق الظل
مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم اصل كل نور
وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظلم والمراد بالظل كل ضلالة
ونقص وبنوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والاداب
لكن المراد بضحى على هذا مطلق ظهوره في هذا الكون باوصافه
الكاملة **و** الحال انه **قد اثبت الظلال** جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس
او بينهما هو واخص منه الفيء لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو
ما نسخ الشمس وقيل كلما نسخته فهو فيء وظل وكلما لم تنسخه فهو
ظل لا فيء **الضحا** اي ارتفاع الشمس ومد لضرورة النظم فنبينا

صلى



صلى الله عليه وسلم اكمل من الشمس رفعة وضوءا لان نورها يثبت الظل
ونور نبينا صلى الله عليه وسلم يمحوه ويدل على المعنى الاول
ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا مشى في الشمس لا يظهر
له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص ولان الله تعالى استجاب
له دعاءه المشهور ان يجعله كله نورا فكان بدنه في غاية الاضاءة
التي لا يحجب ما يقابلها قيل مد الضحى لضرورة النظم انتهى وفيه
نظر بل الذي في القاموس ان الممدود مع فتح اوله ما قرب
من انتصاف النهار كما مر ثم ذكر ان الشمس المقصور وحينئذ
ان اريد بالضحى الشمس كان مده ضرورة او قرب انتصاف
النهار كان مده صحيحا لا ضرورة فيه لكن لا يصح ارادة هذا
هنا كما هو ظاهر من جعل الناظم جملة وقد الى اخره حالا من
فاعل محى **تنبيه** لك ان تستشكل تركيب قوله شمس
فضل الى اخره بان حكمه عليه بانه شمس الفضل يغني عن قوله
تحقق الظن الى اخره لانه اذا ثبت اولا انه شمس الفضل الذي
هو شمس المعقول اسم يصح لكل كمال علم انه الشمس في الرفعة وانه
الضياء فقوله تحقق الى اخره لا حاجة اليه وجوابه ان تحققه اشرت
اليه في محله من ان جملة تحقق الظن فيه الى اخره حال موكدة
لما قبلها وصاحب الحال الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم
اذ مستقل وشمس فضل معطوفان على بحر بحذف حرف العاطف
او مقدر لكل مبتدأ استيفاء لتعداد شمايله صلى الله عليه
وسلم اشارة الى ان كل مستقل كامل في ذاته لتضمنه للبقية
كما مر في شرح قوله كل وصف له ابتدأت به الخ ولما ورد على
ظاهر ما قرره نظر الاحتمال الثاني من ان نوره صلى الله

عليه وسلم بمحو الظل لما سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت
تظله بان يقال كيف يمحو نور الظل والغمامة اظلته فلم
يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه مع الضيا الاعظم
من ضيا الشمس فلا يوثر فيه اشار الى جواب لذلك لكن
لما تقصر عنه عبارته ببادي الراي فقال في بسبب محو نوره
الظل الحسي علما مرضيا رضى الله عليه وسلم هو المعوي الاعظم (الظل صح)
على جميع اتباعه حتى كان الغمامة لما اظلته قبل النبوة ارهاصا
وتاسيسا لما ستصير اليه امره اعلمته بانها استودعته
الامة باسرها لكن اصحابه بلا واسطة وهم الرفقا ومن
بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله صلى الله عليه وسلم
وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فيالذين بواسطتهم من
اي الذين اظلت هم من بعض ظله الاعظم الرفقا جمع
داف كعلما جمع عالم وهم جيوشه سمي الجيوش بذلك لانهم
يدفون نحو العدو اي يسيرون اليه لدفعه واستيصاله
وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذي كان قبل النبوة كان
لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيهما اعلامه
صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه امره من ان الله سيجعل
له امة اكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن
مستمد من القرن الذي قبله وان الكل مستمدون وممدون
من ظله صلى الله عليه وسلم فسائر القرون مستمدون وممدون (وممدون)
من اصحابه واصحابه مستمدون وممدون من ظله وحينئذ (من ظله صح)
فلا تنافي بين محو نوره الظل وبقا الظل مع نوره عند تظليل
الغمامة له صلى الله عليه وسلم لان المحو هو الاصل المستمر والبقا

كان الغمامة لما اظلته استودعته من ظله الرفقا

انما

انما كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص
والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوي على الامة من اولهم
الى اخرهم فتامل ذلك فانه مهم بل انغلق معنى هذا البيت
على الشارح فقال انه وجد هذا البيت في نسخة وانه غير
مفهوم المعنى بسبب انغلاقه عليه جعل الضمير المفعول
في استودعته للظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح
به المعنى لكن ان جعلنا الدفقا الطيور يكون في البيت حينئذ
التلميح الى قصة هي ان الطيور كانت تظل الانبيا قبله كداود
وسليمان بل بني اسرايل كما قال سبحانه وظللنا عليهم
الغمام وحينئذ فكانه يقول الغمامة لما اظلته استودعت
الظل للانبياء الذين اظلتهم الطيور من ظله لانا نقول
هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف
فورن دفقا فعلا وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف
ذكر عاقل بشروط اخر كشجاع وشجعا وصالح وصلحا وشاعر
وشعرا وجاهل وجهلا فعلم انه لا يصح حمله على الطيور اصلا
لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر او سجية حمد او ذم بشرطها
على ان الذي سمع في الطيور دفوف في العقاب وفعلا لا يجمع عليه
اصلا ودافق فيما يطير بجناحه ولا يوصف وهو وصف لغير عاقل
ودفيف وهو ليس وصفا للطاير بل لحركته وبتسليم انه وصف
له هو غير عاقل فان قلت المعنى الصحيح ان الغمامة
لما اظلته استودعت الظل الطيور التي اظلت الانبيا عليهم
الصلاة والسلام من ظله صلى الله عليه وسلم فهو لا يجل النظم
عليه قلت يعارضه ما تقرر في قاعدة جمع فعلا وبتسليمه

مقرر ٣

تجوز في الجمع فالنظم يبني عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح

فان قلت ظاهر كلام الناظم في البردة انه لا يحتاج لتظليل الغمامة لبقية حر الشمس فينا في ما مر ان تظليلها للحكمتين السابقتين قلت ما فهمه كلامه لم يعارضه اذ تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة ايضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامله وايضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة الى ان السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمي اشارة الى انه لا يسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال اصلا ومرت فيه تظليل الغمام ورواياتها في شرح قوله واتاها ان الغمامة والصرح اظلته منهما افياء واذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله صلى الله عليه وسلم وان نوره يجلو الظلم على ما سبق في معناه علم انه قد **خفيت عنده** اي في جنب ما اوتيه **الفضائل** التي اوتيها غيره من الانس والملائكة والجن **وانه قد انجلت** اي انكشفت **به** اي بسبب ما بثه فينا من علومه وادابه واخلاقه **عن عقولنا** معشر امة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات وفيه خلاف طويل اشار اليه في القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشيا من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او مطلق الامور

خفيت عنده الفضائل وانجلت به عن عقولنا الاهواء

او

او لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تستتب بها الاغراض والمصالح او لهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلامه والحق انه نور روحاني به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى **الاهواء** اي الضلالات والنقايص فلم تقع في ورطة شي منها كما وقع فيها من اعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفا وكشف الهوى بما افاده الاستفهام الانكاري فقال على طريق اللف والنشر المرتب ا يوجد **مع الصبح للنجوم تجل** او يوجد **مع الشمس للظلام بقاء** اي انما خفيت الفضايل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكملة كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهوا لانه الشمس كما مر والاهوية والنقايص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حايل بينهما وبين ما اشرق عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفي البيت الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله شمس فضل بما بعده الى هنا لنه مناسب له عطف بحذف حرف العطف او استانف نظير ما مر فقال **معجز القول** لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التي اوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلما ان كلامه معجز كالقران وكان الناظم رحمه الله اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان

امع الصبح للنجوم تجل ام مع الشمس للظلام بقاء

انتهت

[illegible]

معجز القول والفعال كريم الخلق والخلق مقسط معطاء

احتمل ان يريد ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه صلى الله
عليه وسلم غير معجز و معجز الفعال فلا يفعل مخلوق اذ يوجد
فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك
الوقت الذي اوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه
وسلم وهذه هي مرتبة وارث الحضرة الالهية التي لا يدخل
احد اليها الا باذنه كريم الخلق كما يعلم مما قدمته مبسوطا
في شرح قوله فتره في ذاته الخ وكريم الخلق بضم اوله
كما مر مبسوطا في شرح قوله ما سوى خلقه النسيم وبين
الخلق والخلق والقول والفعل تجنيس التقابل مع تجنيس
التحريف في الثاني مقسط اي عادل في احكامه واقواله
وافعاله صلى الله عليه وسلم فلا يصدر منه شي قط الا على غاية
العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من راه وعلم احواله
حتى اعداه ومناويه الا ترى ان قريشا لما بنوا الكعبة
والنبي صلى الله عليه وسلم معهم قبل النبوة فوصلوا
الى موضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه في محله ثم اجمعوا
على انهم يحكمون اول داخل المسجد فكان النبي صلى الله عليه
وسلم اول داخل فقالوا هذا الامين تحكموه فامر صلى الله
عليه وسلم بوضعه بثوب وامر كل رييس قبيلة ان يمسك
بطرف الثوب ثم رفعوه ففعلوا الى ان بلغوا به محله فاخذه
صلى الله عليه وسلم ووضعه في محله وصح ان رجلا قال
وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم
ويلك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
وكان صلى الله عليه وسلم يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع

ابلاغ

ابلاغ حاجته فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله
يوم الفزع الاكبر وكان صلى الله عليه وسلم لا يواخذ احدا بقول
احد ولا يصدق احدا في احد معطاء اي كثير العطا الذي يعجز
عن ادناه الملوك فقد صح عن انس كان صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واشجع الناس واجود الناس واقتصاره على هذه
الثلاثة من جوامع الكلم التي منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها
من امهات الاخلاق اذ في كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها
الشجاعة والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب
الفضايل واجتناب الرذايل وصح عنه ايضا ما سيل صلى
الله عليه وسلم شيا الا اعطاه فجاه رجل فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطا
من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم حنين حين اسلم
مايه من الغنم ثم مايه ثم مايه وصح عن جابر ما سيل صلى الله
عليه وسلم عن شي قط فقال لا اي لا ينطق بالرد بل ان كان
عنده المسئول وساغ الاعطا اعطاه ان لم يرصد ما عنده لما هو اهم اعطاه
والا سكت كما في حديث مرسل تختبئه لانها في الحديث الاية
قلت لا اجد ما احملكم عليه لو صلى الله عليه وسلم لا يقولها
منعا للعطا بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السايل
وفي حديث الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم فقام اليها
فما رد سايلا حتى فرغ منها وقال لسايل ما عندي شي ولكن ابتع
علي فاذا جانا شي قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله
ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال انصاري انفق يا رسول الله ولا
تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم وعرف البشر في وجهه

صلى الله عليه وسلم وقال لهذا اعرف وقوم ما اعطاه يوم حنين
فكان خمسمائة الف الف قيل هذا نهاية الجود الذي ما سمع لاحد
مثله وصح انه صلى الله عليه وسلم اتي بمال من البحرين فامر صلى
الله عليه وسلم بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله
عليه وسلم وفي رواية مرسلة كان مائة الف فخرج الى الصلاة
فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه صلى الله عليه وسلم
ومع هذا الجود الواسع الذايع كان صلى الله عليه وسلم يعيش
عيش الفقرا ويأتي عليه الشهر لا يوقد في بيته نار وربما ربط
الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبي فسالته فاطمة
رضي الله عنها في خادم يكفيهما مونة بيتهما فامرها صلى الله عليه
وسلم ان تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد وقال صلى الله عليه وسلم
لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واذا علمت
اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد
مثلها ولا ما يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل
من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته لا تقس من قست
الشي بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه بالنبي الموصوف بما ذكر
وهو نبينا صلى الله عليه وسلم في الفضل الجامع لتلك الصفات
بل ولا في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من اوصافه صلى
الله عليه وسلم وصل فيه الى غاية منه لم يلحقه مخلوق فيها خلقا
نبيا او ملكا او غيرهما اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه
في وصف من اوصاف كماله صلى الله عليه وسلم لما مر اول الكتاب
في شرح قوله لم يساووك في علاك الى اخره فهو لا غيره البحر الجامع
لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ النهاية فيه والانام كما هو كا

لا تقس بالنبي في الفضل خلقا فهو البحر والانام اضاء

في القاموس كسحاب والانام بالمد والابيم كامير الخلق او الجن والانس
او جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله
الاتي في العالمين اضاء بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهي الغدير
ويجمع ايضا على اضا كقنى وشتان ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة
النظير وكيف لا وكل فضل وجد في العالمين الانس والملائكة
والجن فهو كاين من فضل ذلك النبي الاكرم على ربه من سائر
الانبيا والملايكة المقربين وبين فضل والفضلا تجنيس الاشتقاق
استعاره حال من ضمير الظرف المستقر الفضلا لانه الممد لهم
اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره
فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل منها شي الا وهو
من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة
من نوره صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كالشمس
وهم عليهم الصلاة والسلام كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها
وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت اظهرت انوارها
فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله
وانوارهم مستمدة من نوره الفايض ومدده الواسع الا ترى
ان ظهور خلافة ادم واحاطته بالاسما كلها انما هو مستمد من
جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت
الخلايق الى زمن بروز جسمه الشريف فلما برز كان كالشمس اندرج
في نوره كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة
الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها كما سبره الايمة وصححوه
ومنه ان ادم لما اعطي خلق الله بيده اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم

ط كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء

قوله الغدير قال الجوهري الغدير القطعة من الماء يغادرها السيل

انه شق صدره وملاه ذلك الخلق النبوي فتولى من ادم الخلق الجسمي
ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي ولذا كان هو المقصود
من خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود الملايكة الا لنور محمد صلى الله
عليه وسلم الذي في جبهة ادم كما قاله الفخر الرازي وادريس لما
اعطي المكان العلي اعطي نبينا المعراج الافخم الاعظم ونوح لما
انجاه ومن امنه اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله لم
يهلك امته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي انه صلى الله
عليه وسلم اعطي مكان السفينة انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا
وهو على شط ما فانقلع وسبح الى ان جا اليه وشهد له بالرسالة
وابراهيم عليه الصلاة والسلام لما نجي من النار نبينا صلى الله نجي صح
عليه وسلم من نار الحرب قال تعالى كلما او قدوا نارا للحرب اطفاها
الله وروي النسايي انه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله
عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطي ابراهيم مقام الخلة اعطي نبينا
صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن
ثم يقول ابراهيم في الموقف لما يسال في الشفاعة العظمى انما كنت
خليلا من وراء وراء ولما اعطي بناء الكعبة اعطي نبينا صلى الله عليه صح
وسلم وضع الحجر الذي هو روحها في محله لما تشاجرت قريش ولما
اعطي موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصى حية اعطي نبينا
صلى الله عليه وسلم حنين الجذع هو ابهر واغرب وذكر الرازي الذي صح
وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه بحجر فراى على كتفه ثعبانين
فانصرف مرعوبا واليد البيضا التي بياضها يغشي البصر اعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان عنده عباد بن بشر واسيد
ابن حضير ليلا فخرجا وبيد كل عصا فاضا لهما عصى احدهما

لنشيا

لنشيا في ضوئها فلما افترقا اضات عصا الاخر صححه الحاكم واخرج
البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلما فاضات
اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير
وانفلاق البحر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الذي
هو ابهر لانه تصرف في العالم العلوي على انه نقل ان بين السما والارض
بحرا يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط
فعليه يكون انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وتفجير
الما من الحجر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم تفجيره من بين اصابعه
وهو ابلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الما والكلام اعطي صح
نبينا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو والروية
بعين البصر وشتان ما بين جبل الطور الذي نوجي به موسى عليه
وما فوق العرش الذي نوجي نبينا صلى الله عليه وسلم عليه وهارون عليه صح
الفصاحة اعطي نبينا ابلغ منه واشهر على انها في العبرانية والعربية
افصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا صلى
الله عليه وسلم فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة
لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحد بها الا نبينا بني صح
صلى الله عليه وسلم ولقد قال له بعض اصحابه ما راينا الذي هو
افصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما يمنعني وانما نزل القران
بلساني لسان عربي مبين ويوسف شطر الحسن وبالروبا اعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما في الحديث وعبر عن المراي
فوقعت كما عبر مما لا يدخله الحصر وتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام
انما كان في ثلاث مراي كما في سورته وداود تليين الحديد اعطي

نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة
ام معبد دَرّت ببركة يده ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير الرابعة
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه الحجر وسبح الحصى في كفه
وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبي وشكى اليه البعير والريح
التي غدوها شهر ورواحها شهر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم
البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش
فوق هو
في لحظة واحدة واقل مسافة في ذلك سبعة الاف سنة وما فوق
العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وايضا الريح الذي
سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام لتحمله الى نواحي الارض
ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت له حتى راى
مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له
الارض وتسخير الجن اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله مكنه من
شيطان تفلت عليه في صلاته واراد ان يربطه بسارية في المسجد
وسخر له الجن حتى اسلموا ولم يسخروا لسليمان الا في العمل وعدد
الطير من جملة جنوده تقاوم حمامة الغار وعنكبوته بل هذا اعجب
لان فيه المحاماة من العدد الكثير بالشيء القليل وعيسى عليه الصلاة
ابراء
والسلام ابرا الاكمه والابرص واحيى الموتى اعطي نبينا صلى الله
احسن
عليه وسلم رد العين الى محلها بعدما سقطت فعادت احسن ما كانت
وذكر الرازي انه صلى الله عليه وسلم مسح مريضا فشفيت واليتيمة
ان رجلا قال لا او من بك حتى تحيي لي ابنتي فاتى قبرها فخاطبها
فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع ابلغ من تكلم الموتى
لان هذا من جنس ما لا يتكلم وبالجملة فقد اوتي صلى الله عليه وسلم
مثلهم وزاد بخصايص لا تحصى اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم
لمع

الرابع عشر

شق عن صدره وشق له البدر ومن شرطكم لحاجة

٩٠

وفيه تغليب ... الاستنشاق ...

المهد لمعجزة دايما وعدل عما استعاروه لبعضهم بالفضل اي مع كونهم
فضلا كاملين على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى الله
عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال به بل على وجه الاستعارة
المستحقة للرد اذا اراده المعير ولم يكونوا الا كذلك وقد شق عن
صدره الكريم وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه صلى
الله عليه وسلم شق عن صدره او الاخير قلبه المرة بعد المرة الى ان
تكرر ذلك الشق اربع مرات او خمسا مبالغة في التطهير والتخليص
من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه
وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في مبحث رضاعه صلى الله عليه
وسلم فراجعه فانه نفيس وشق له اي لاجله صلى الله عليه وسلم
البدر اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار
مكة وبالغوا في عناده فطلبوا منه ان يريهم اية تدل على
صدقه صلى الله عليه وسلم وهي ان يشق لهم القمر نصفين فسال
ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القران وتواترت به
الاحاديث كما حققه التاج السبكي وغيره واجمع عليه المفسرون
واهل السنة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية
لله تعالى وانما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه
لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها
شيء من ايات الانبيا عليهم الصلاة والسلام لظهوره في ملكوت السموات
خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فلم يطمع
احد في الوصول اليه بحيلة وفي روايات ما يوهم تعدد الانشقاق
مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا
من ائمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين اراد فرقتين

كما في رواية او فلقتين كما في اخرى وفي روايات اذ فرقة كانت فوق
جبل حرى واخرى كانت اسفله وفي رواية انه كان بمكة المراد منها
ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله
عليه وسلم كان بمكة ليلتئذ وفي رواية لاحمد فصار فرقتين
فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفي رواية انه صلى
الله عليه وسلم قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا
على ان يسئلوا السفار تجاوا من كل جانب واخبروا به فقال
بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور
الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة لذلك مبني على انكارهم
خرق الاجرام العلوية والتئامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم
بمقتضى عقولهم معاندين للشرايع فيما وردت به واما قول
الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض
كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لتوفرت الدواعي
على نقل العجايب فهو من تهورانه لانه ما قاله انما يتوجه لو
كان نهارا او اول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع
لحظة والناس الغد قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السماء
لم يلزم ما ذكره بوجه على ان الاجماع الموافق للقران والسنة
لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة وكان هذا الملحد لم
يسمع بما هو الواقع البديهي ان الكسوف اهل قطر ~~دون~~ قطر اخر
وما قيل ان القمر قد دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من
كمه فباطل لا اصل له تنبيه البدر القمر ليلة اربعة
عشر ولم ار له في ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر
سمي بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب

وقبل



وقبل اتمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم
بعدما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وسلم وراسه في حجر علي
بالصهبا قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال
انه يوحى اليه فلما استيقظ ساله صلى الله عليه وسلم اصلى
العصر قال لا فدعا الله ان يردها عليه لانه كان في طاعة
الله ورسوله فردت ليؤدي العصر ادا اكرامة له صلى الله
عليه وسلم وهذا الحديث اختلف في صحته جماعة بل جزم بعضهم
بوضعه وصححه اخرون وهو المعول وقول اسما في الرواية
الصحيحة فرايت الشمس بعدما غربت حتى وقعت على الجبال
وعلى الارض وقام علي فتوضا وصلى العصر ثم غابت يدل زعم
انها وقعت ولم ترد لكن زعم ان حركتها انما ابطات فقط وفي
رواية سندها حسن امر صلى الله عليه وسلم الشمس فتاخرت
ساعة ومر انها ردت عليه بعد الاشراك احرمهم بغيرهم ولا
يعارض ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا
ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس
خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له
قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم
وذلك لان المراد على احد غيري بل على ان كثيرين اوالاكثرين
من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وروي حبسها
يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر وذكر البغوي في تفسيره
ردوها علي انها حبست لسليمان صلى الله عليه وسلم ورد بان
المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شو وشو
الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة

ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة واعترض بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه
لاختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة والاخر مجازا بل حقيقتين
وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق
الساعة على القيامة مجاز وعلى الاخر حقيقة وذلك يخرج الكلام
عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا
انتهى فان قلت هذا يأتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى
واحد وبتسليم الاختلاف فهو في احدهما حقيقة والاخر مجازا
قلت يمكن ان يقال انه فيهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام
الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية من حيث الصورة والالة وايضا
فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة غشاوة لا غير وكفى بهذا
اختلافا فالمتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى وقيل ليس في القران
من الجناس التام غير هذه الاية واستدرك عليه شيخ الاسلام
ابن حجر بانه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار
ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فانه استعمل الابصار اولا بمعنى
العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد ينظر فيه بان استعمال حقيقة
عرفية الابصار في البصائر مجازي وقد يقرر انه لا يكفي وقد يجاب
بادعا انه حقيقة عرفية وعلى كل فاقول في القران اية اخرى اظهر
من تلك وهي يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما
هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور في فويل للذين        قوله صح
يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التوراة والانجيل والثالث
الجنس الشامل لكتب الله كلها اي ما هو شيء من كتب الله فان قلت
هذا اعم من الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى مغايرا





مسفر يلتقي الكتيبة بساما
اذا اسهم الوجوه اللقا

الله برحمته فوفقه للتنصل من وصمته وحباه بجعله من احبته
ببركة حلول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم
وزوال الشقا عن كل من راه اتبعه بذكر صفات وخصوصيات
له صلى الله عليه وسلم ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغا
فقال مسفر ذلك الوجه حسنا فهو صفة ثانية لوجه او مشرق
نوره التي يكاد ان يخطف الابصار يلتقي ذلك الوجه ايضا
الكتيبة اي الجيش بالمثلثة او المثناة من تكتبت بنو فلان
اذا اجتمعوا حال كونه بساما اي متبسما يفتر عن مثل سنا
البرق او عن مثل حب الغمام اذا اسهم اي غير من سهم بفتح
عينه او ضمها اصفر وجهه اذا اصفر وتغير الوجوه اللقا
للعدو فهو صلى الله عليه وسلم في الحالات التي فيها يتزعزع غيره
ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمانينة والثبات والتبسم
لعظيم ما اتاه الله سبحانه وتعالى من الشجاعة التي لم يعط
غيره الى ادناها وقد صح كما مر عن انس رضي الله تعالى عنه
انه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس وانه سمع صياحا
بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ابعد فلم ير شيئا
فلما رجع راى الناس خارجين فقال صلى الله عليه وسلم لن
تراعوا اي روعا عن حقيقته ما راينا من شيء وصح انه صلى الله عليه
وسلم صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه
ان شانك لعجيب وصرع اخر بلغ من شدته انه كان يقف على
جلد البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة لينتزعوه من تحت قدمه
فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه صلى الله عليه وسلم
في غزوة حنين لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة

عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح لكر ولا لفر وهو صلى
الله عليه وسلم يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه
من لا يعرفه قايلا انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثمّ قال الصحابة رضي الله عنهم
كنا اذا حمي الوطيس اي البأس اتقينا برسول الله صلى الله
عليه وسلم اي جعلناه امامنا واستقبلنا العدو به صلى
الله عليه وسلم وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية الى ان
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان
تاب والا قتل لانه تنقصه اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة
نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه بعض
المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب
ولم تقبل له توبة انتهى وقياس مذهبنا خلافا لمن اخطا فيه
انه ان نوى بذلك تنقيصه صلى الله عليه وسلم كفر والا فلا واذا
قلنا بكفره فذهب بعض ايمتنا الى انه لا تقبل توبته وحكى
فيه الاجماع والمعتمد قبولها منه جعلت مسجدا له اي لذلك
الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له الارض كلها كما اخبر بذلك
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حيث قال
اعطيت لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته
الصلاة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا موضع سجوده
اي ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان
يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه
لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد

جعلت مسجداً الارض فاهتز ... [illegible]

جعلت



92

جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا لا طهورا لان عيسى
صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها ويصلي حيث ادركته
الصلاة وقيل ان المراد ان الصلاة لم تبح الا في محل يتيقنون
طهارته بخلاف هذه الامة ابيح لها في كل ارض الا ما يتيقنون
نجاسته والاصح الاول وهو العالم تبح لمن قبلنا الا في اماكن
مخصوصة كالبيع والكنايس والصوامع للخبر المصرح بذلك
وكان من قبلي انما يصلون في كنايسهم وبيوتهم فقد روايته ولم يكن
احد من الانبيا يصلي حتى يبلغ محرابه وهذا يرد الاجماع
بقضية عيسى المذكورة بمنع ما ذكرهما بدلالة هذا على خلافه
وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة لنبينا صلى
الله عليه وسلم وامته بخلاف عيسى صلى الله عليه وسلم فبسبب
هذا الجعل اهتز اي تحرك طربا وفرحا به صلى الله عليه وسلم
للصلاة اي لاجلها فيها اي الارض حراء بالكسر والمد ويجوز
قصره وصرفه وعدمه باعتبار المكان والبقعة كسائر اسما
الامكنة وهو الجبل الذي كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل
النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان على
حراء هو وابو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة
فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبي وصديق
او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجها
مسلم واخرجها الترمذي وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة
وقال صلى الله عليه وسلم اثبت حراء وفي رواية اهدا حراء ورواه
البخاري في احد بلفظ انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فتحرك
حتى تساقطت حجارته فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم

برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه
النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل مقابل لحرا انه صلى الله
عليه وسلم كان عليه ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى
تساقطت حجارته بالحضيض اي التي في قراره واسفله فركضه
صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان وما اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك التحرك
انما هو للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخاري ابن
التين في احد فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد صلى
الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة
الجبل بقوم موسى عليه الصلاة والسلام لما حرفوا الكلم وان
تلك الرجفة رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص
صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي
توجب سرور ما اتصلت به لا رجفته فاقر الجبل بذلك فاستقر
انتهى واستشكل ما ذكر بان المنظر بانوع العلم ثم فوقه وقوله
اثبت الى اخره يقتضي ان التحرك لغير السرور ويجاب بانه علم
من الاحاديث الصحيحة التي منها احد يحبنا ونحبه ان احدا
اودع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة له وميلا اليه فاذا
اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان ركضه صلى
الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية
والشهادة كل منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل
ذلك سكن وخضع فكان ما منه اولا هزة الطرب واخرا
سكون الحيا والامتثال والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة
لجلاله صلى الله عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك

وذكره



وذكره بان ما عليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضي هزة
الجلال واللقا المنبئ عن غاية الفرح والسرور قال الطبري وغيره
واختلاف الروايات يحتمل على انها قصص تكررت وهذا واضح
لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وابدى شيخ الاسلام
الحافظ العسقلاني تعددها توقف فيه بان الذي معه بحرا زيد
ممن معه باحد فان **قلت** ما وجه التعليل في قول الناظم
للصلاة فيها **قلت** كانه يشير الى ان الله تعالى لما اقطع
نبيه صلى الله عليه وسلم الارض وجعلها كلها مسجدا له صلى
الله عليه وسلم وشرفها بصلاته فيها دخل في ذلك جبالها
فاذا صعد بعضها تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة
الذين حصلا بما لا يحصل كبقية الارض غاية الشرف فحينئذ تحرك
اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رايت
بعضهم جعل ضمير فيها للجبل وجعل المراد بالصلاة صلاته
صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلي فيه قبل البعثة وهذا
كلام ساقط ولانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة
ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا
كانوا معه **مظهر** ذلك الوجه الكريم **شجة الجبين** اي جرح
جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به مسامحة
ويجوز لما ياتي ان الذي شج جبهته وفي رواية وجنته صلى الله
عليه وسلم والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة **على
البرء** اي فيه او معه من برى من المرض بالكسر برا بالضم وبرا
برا بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد اخرج ابن هشام
عن ابي سعيد الخدري ان عتبة ابن ابي وقاص اخا سعد بن ابي

وقاص اول من رمى بسهم في سبيل الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم
يناوله السهام يوم احد ويقول له ارم فداك ابي وامي قالت
فلم يجمع ابويه لغيري وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالي
اي لانه زهري فليرني امرئ خاله فشتان ما بين هذين الاخرين
رامي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد كسر رباعيته
اليمنى والسفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن هشام
الزهري شجه في جبهته وان ابن ابي قمئة جرح وجنته فدخلت
حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة وفي
رواية وهشموا البيضة على راسه صلى الله عليه وسلم ورموه بالحجارة
حتى رموه صلى الله عليه وسلم لشقه في حفرة الحديث وروى الطبراني
وغيره ان عبد الله بن ابي قمئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن
قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه
اقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه
قطعة قطعة وروى احمد والترمذي والنسائي عن انس كسرت
رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم
يسيل على وجهه وجعل يمسح ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر
شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفي خبر مرسل قوي
ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين
مرة وقاه الله شرها كلها كما اظهر الهلال البراء بفتح الموحدة
وهو اول ليلة من الشهر اي ان وجهه الكريم اظهر اثار تلك الشجة
مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه ادنى شين بل فيه غاية الجمال

كظهور

كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراوون ما وقع له
صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به في ذلك
وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا
على جماله صلى الله عليه وسلم لانها صارت بعد البرء كالهلال
في وجهه الاحسن من الهلال كما قال ستر ذلك الحسن حسنه
الاصلي منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال له الجمال العارض من الشجة وفي هذا كالذي قبله الجناس
التام المماثل بناء على ما مر مع الكلام عليه في شرح شق عن
قلبه وشق له البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف
موضوعه باعتبار الاصلي والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع
فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق
الوضع واختلاف المراد لعدوا منه الذين قال لهم الناس ان
الناس ان النفس بالنفس ونحو يمكن ان يقال قد تقاس اختلاف
المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة تميزه كما هنا بخلاف ما في
الايات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر
الشارح بيحتمل او نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح في رده
وفي البرء والبراء الجناس المطرف وقاه وسبب ذلك ان الله
اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التي لم يعطها
لمخلوق كما مر بدليله في باطنه وظاهره ويكفيك شاهدا على ذلك
ما مر ان الله تعالى جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده
ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انواره الباطنة
ما صيرها كالهلال في وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا
بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما

وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه
بتشابيه توضح ذلك وتكشفه فهو اي ماظهر بالشجة من باطن
بدنه صلى الله عليه وسلم كالزهر اي نوع النبات اذا لاح اي ظهر
من سجف بفتح اوله وكسره اي ستر الاكمام والاكمام هو كالاكمة
جمع كمة بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد وهو
ايضا مثل العود الذي يتطيب به اذا شق عنه اللحاء
وهو قشر الشجر من لحونه لعوه فتشرته فظاهر الجلد كاللحاء
وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه
ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال كاد ماظهر بالشجة ان وبي
وما بعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها يغشي بالغين المعجمة
اظهر من المهملة العيون اي يغطي عليها سنا بالقصر اي ضوء
عظيم خارج منه لبشر عظيم وفي نسخ يسر فيه اي في ذلك الباطن
الذي ظهر بمصيره كلها ضيا اعظم من ضيا الشمس ومن ثم كان
اصل في ذلك الستر لاجاله حكمته اي شابهته ذكاء بضم المعجمة وعدم
المد والمنع دخول ال عليها اي الشمس وذكرها بعد سنا
من مراعاة النظير ومما تقرر علم ان من اسباب عدم شبهه
بتلك الشجة ما اوتيه صلى الله عليه وسلم من الحسن الذي
لم يوته غيره ومن ثم صانه ذلك الحسن لو انفرد فكيف
وقد انضم اليه السكينة اي وقار الظاهر مع طمانينة القلب
وعدم تحركه مما يمتحن به من الموذيات التي لا يسكن عندها
غيره اذ تظهر فيه اثارها هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة
وهو الباساء اي الشدايد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة
الاغاية الطمانينة ونهاية الجمال كما مر فعلم انه صلى الله عليه وسلم

لما اودعه الله فيه من كمال الجمال وتمام البهاء في حالة السراء كهو في
حالة الباساء فلا تظهر فيه الباساء البتة وتخال اي تظن انت
الوجوه ان قابلته اي عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة
ما قبله عليه خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما
يشاهد ممن قوي خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون
البستها الوانها هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الحرباء
المشهور ومن شانها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف
دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة ذ بسبب هذا الجمال
الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان اذا شمت
بالمعجمة من شمت البرق ونظرت الى سحابه بشره اي طلاقة وجهه
صلى الله عليه وسلم ونداه اي وجوده اي اذا تطلعت الى محاسنه
ببصرك منتظرا اليه اذهلتك اي انستك ما انت بصدده
الانوار الباهرة التي تحصل لك من بشره عند رؤيته صلى الله
عليه وسلم والانواء جمع نوء وهي ما تنسب العرب الامطار اليه
من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهو هنا كناية عن
الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وامله
ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للنداء
وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه
الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداه في المعنى
نحو لا تدركه الابصار الاية فاللطيف يناسب لا تدركه
الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما تمنى
رؤية الوجه المكرم واستتبعه باوصافه العلية اخذ في تمني
تقبيل راحته الكريمة ووصفها باوصافها فقال او لبثه

حصيف بتقبيل راحة اي بلثمي في اليقظة النوم نظيرها من لكفه
التي كان لله اي لاجل ابتغا لوجهه تعالى دون غرض اخر وبالله
اي بسبب شهود اعانته وجده اخذها والعطا اسم مصدر بمعناه
اي واعطاوها البرالها من كل غرض بيا في الكمال الاعظم فلم يقع
تصرف منها في شي منذ افاض الله عليها خوارق جوده الا مع
شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم
في نصرها كانت تتقي بفتح التاين اي تخاف وتحذر باسها
اي شدتها في الحرب الملوك ككسرى وقيصر والمقوقس الى ان اظفره
الله بجميعهم وكانت تحظى اي تفوز بالغنى الحسي والمعنوي من
بعض نوالها اي اعطايها الفقراء لانه صلى الله عليه وسلم كان
اجود الناس فيعطي عطا تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش
الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده لله تعالى وفي
ابتغا مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه
في سبيل الله وتارة يتالف به من يقوى اسلامه او من يسلم باسلامه
نظراوه وبين الاخذ والعطا والملوك والفقرا وتتقي وتحظى تجنيس
التقابل لا تسل اصله بالهمز فهم خفف بحذفه كما قرى في سال
سائل سيل وهو الما الكثير الجاري وبينهما تجنيس التحريف
والتصحيف جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير اي لا تسال
عن هذا الامر المكني به عن سعة عطايه وجوده فان هذا شي
لا يقدر احد من البشر قدره بل انما الذي ينبغي لك ان تسال
ما يكفيك وهو ان يصل اليك من وكف اي قطر سحبها
جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو البلل على ان تبلل هذا القطر
فيه الغنى الكلي فمن وصلت اليه بلة من قطرة منها كانت

سببا



سببا لغناه في الدنيا والاخرة ومن اوصاف تلك الراحة العلية
ايضا انها درت الشاة اي ارسلت لبنها الغزير حين مرت
عليها ف بسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية
اذ لم يكن طرقها فحل قط ثروة اي كثرة اللبن لها اي بسبب تلك
الراحة الكريمة ونما اي زيادة في تلك الكثرة وهذه القصة
وقعت له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى
المدينة ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم
الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريب رابغ على ام معبد
عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تسقي وتطعم وكانوا
في غاية القحط والجهد فطلبوا منها لحما ولبنا يشترونه
فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في
كسر الخيمة تخلفت عن الغنم عن الغنم لشدة الجوع فسالها
هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك والله ما ضربها فحل
قط فقال صلى الله عليه وسلم اتاذنين ان احلبها قالت نعم ان
رايت بها حلبا فدعا بالشاة فعقلها ومسح ضرعها بيده
وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة
فملاه من حلبها وسقى القوم حتى رووا عن اخرهم ثم حلب بيده
مرة اخرى علا ابعد لها ثم تركه عندها وذهبوا ذكر ذلك
اصحاب السير وغيرهم ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة ايضا
انه نبع الما بها اي بسببها وعدل اليها عن مينها فقال القرطبي
قصة نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت
منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت
من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر

المعنوي ولم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث
نبع الما من بين عظم ولحم وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب
الشافعي رضي الله تعالى عنهما انه هذا ابلغ من نبع الما من الحجر بضرب
موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى ساير الانبيا والمرسلين
لان الحجر يؤلف منه خروج الما ولا كذلك البدن فمن جملة تلك
المواطن ما في الصحيحين عن انس رضي الله تعالى عنه ان الناس
احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا الما فاتي صلى الله عليه وسلم
بوضو فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة في ذلك الانا
فنبع الما من بين اصابعه حتى توضوا كلهم زاد البخاري
كانوا ثمانين وان الما ينبع من بين اصابعه ومن اطراف اصابعه
صلى الله عليه وسلم وفي رواية لابن شاهين انه وقع نظير
ذلك في غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ما فاتي بها
فصبها صلى الله عليه وسلم في صحفة ثم وضع صلى الله عليه
وسلم راحته فيها فتخللت عيون من بين اصابعه فرووا هم
وابلهم وتزودوا منه وفيها عن جابر انه صلى الله عليه وسلم
كان يتوضا من ركوة فجاوه يشتكون العطش فوضع يده صلى
الله عليه وسلم في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه كامثال
العيون فتوضاوا كلهم وكانوا الفا وخمسمائة بل قال جابر
لو كنا مائة الف لكفانا وفي رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني
ببصري لقد رايت عيون الما تخرج من بين اصابعه كامثال
العيون فتوضانا واكلهم وكانوا الفا وخمسماية فظاهر الروايات
ان الما نبع من نفس اللحم الكاين في الاصابع وهو ما صححه
النووي وجزم به غيره وانما استدعى قليلا من الما تادبا مع ربه

فانه

فانه المنفرد بايجاد المعدوم من غير اصل فعم في رواية عند
ابن جماعة انه فعل ذلك من غيرهما لكن استدعى بشن يابسة
ووضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فيها فنبعت عيون الما
واما الثاني ففي مسلم انكم ستاتون غدا عين الله تعالى عين
تبوك وانكم لن تاتوها حين يضحى النهار فمن جاها فلا يمس
من مايها شيا حتى اتي فسبق رجلان ومسّاه قبل ان ياتي
صلى الله عليه وسلم فسبهما ثم اغترفوا له قليلا منها فغسل
به وجهه ويديه ثم صبت الغسالة في العين فجرت العين
ماها كثير فقال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى
ما هاهنا قد ملا بساتين وعمران وفي رواية الموطا وغيره فانخرق
من الما ما له حس كحس الصواعق وصح عن مقاتل في بعض
رواية ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتى كادت
رقابهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
ويجعل الباقي على كبده فساله ابو بكر رضي الله تعالى عنه ان
يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم اتحبون ذلك قال
نعم فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعهما حتى سالت
السما فانسكبت فملاوا ما معهم من انية ثم ذهبوا ينظرون
فلم ينظروها جاوزت العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية
نحو ذلك من نبع مرة امرهم بوضع سهم من كنانته في محل الما ففاض
ومرة بوضع يده الشريفة في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم ومن اوصافها ايضا انه اثمر النخل في عام
اي سنة غرسه بها اي بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك
النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه التي ذكرها

اصحاب السير كابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه
صلى الله عليه وسلم اذ يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية
وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبره صلى الله
عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان يعينوه بالودي فاعانوه به
ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها واحدة
حتى اثمرت كلها في عامها وفي رواية فوقفت منها واحدة فقلعها
صلى الله عليه وسلم وادعاها فنبتت البقية فاداها وبقي
عليه الذهب فجا للنبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاج
من ذهب من بعض المعادن فاعطاها صلى الله عليه وسلم
وابن تقع هذه مما علي فقال صلى الله عليه وسلم خذها
فان الله سيودي بها عنك فوزن منها اربعين اوقية
ومن اوجها فيها ايضا انه سبحت لها اي في راحته صلى الله
عليه وسلم الحصبا اي الحصى كما رواه البزار والطبراني في الاوسط
وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان
رضوا الله تعالى عنهم فقبض صلى الله عليه وسلم حصيات فسبحن
في كفه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل فنا ولهن ابا بكر فسبحن
في كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون
فلم تسبح مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام العسقلاني
ليس لحديث تسبيح الحصى الا طريق واحد مع ضعفها
لكنها مشهورة عند الناس انتهى نعم اخرج البخاري من
حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن
الشفا انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه

اعواز

رمان وعنب فاكل منه فسبح تنبيه تسبيح الجماد كالطعام
والحصا معناه ان الله خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة
خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ
انما يضاف حقيقة لمن قام به ومن اوصافها العلية ايضا
انه اجيبت المرملين الذين نفد زادهم من القحط حتى اشرفوا
على الموت فتسميتهم موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد
الاحيا الى الراحة مجاز ايضا فهو استعارة تبعية من موت
جهد اي قحط شديد والاضافة فيه بيانية مبالغة بادعا
ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت اطلق عليه اسمه اعوز
القوم عدل اليه عن اعوازهم الذي هو القياس لازالة ابهام
لفظ المرملين انه خاص بذكورهم واذ كان التغليب في مثله
شايعا ذايعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو
بطريق التبع فساوى المرملين قلت الفرق بينهما
واضح لان شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا بالتبعية ومن ثم
لم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده المرملين
فيه اي ذلك الجهد زاد وتما من اعوزه الشي اذا احتاج اليه
وعبر بزاد مع انه انما يقال في طعام المسافر اشعارا بانهم لما
حصلت لهم تلك الشدة التي ادت بهم الى الاشراف على
الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت
والاحيا والزاد والما الطباق كالري والشبع المفهومين بهما
بالي فتسبب اجابته لهم كثر الله كرامة ومعجزة له صلى الله
عليه وسلم الطعام والما القليل جدا حتى تغدى بالدال المهملة اي
اكل وقت الغدا وهو ما قبل الزوال بالصاع الواحد وهو

قد كان بالكيل المصري تقريبا الف جياع وتروى بالصاع الف
ظماء جمع ظامي اى عاطش اما تروى الالف الظما بالما القليل
النابع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم تارة وببركة دعايه
تارة اخرى فقد مر الكلام عليه مستوفا والتعبير بالصاع
فيه المراد به الما القليل كما يعلم مما مر وانما ذكره على جهة
مجاز المشاكلة لما قبله وجزا سيية سيية مثلها ومكروا
ومكر الله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم فى نفسك وبالالف المراد به
العدد الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا الفا واربعماية
اوخمسماية وفى بعض المواضع كانوا ثلاثماية وفى بعضها
كانوا اقل وفى غزوة تبوك كانوا الوفا مولفة واما تغذى
الالف الجياع بالصاع وهو ما فى الصحيحين عن جابر رضى
الله تعالى انه راى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق
جوعا شديدا فذهب لامراته واخبرها فاخرجت صاعا من
شعير وشاة واجفا اى سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما
فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب للنبى صلى الله عليه وسلم
واخبره وطلب ان ياتى بنفر معه فصاح النبى صلى الله
عليه وسلم باهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم
ثم امره ان لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجى فجا صلى
الله عليه وسلم فبصق فى العجين وبارك ثم فى البرمة وبارك
ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها
وان لا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم
كما هما وفيها ايضا الا بعض زيادات ففى مسلم عن انس رضى
الله تعالى عنه فى غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه ابا

طلحة

طلحة عن جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر
ذلك لام سليم زوجته فاخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار
واعطتها لانس ولفت طرف الخمار على راسه مرتين كالعمامة
وارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد
اى الموضع الذى اعده لمحاصرة الاحزاب ومعه الناس فقال
له ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال فبطعام قلت نعم قال
لمن معه قوموا فتقدمهم انس فاخبرهم فقال يا ام سليم
قد جا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس
عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فتلقى
ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم هلمى يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم به ففت وعصرت عكة
فادمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شا الله تعالى
ان يقول ثم قال ايذن لعشرة فاكلوا حتى شبعوا فخرجوا
ثم قال ايذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم ثمانون
ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقيته وفى
طرق هذه القصة ما يقتضى تعددها وادخلهم عشرة
عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول انس نعم انما
لا ستحيا به من كثرة الناس فقال ذلك ليتبعه النبى صلى الله
عليه وسلم وحده واما لان من ارسله ذكر له انه اذا راى كثرة
الناس دعاه وحده وفى رواية ان ابا طلحة قال انما
ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من
راى فقال ادخل فان الله تعالى سيبارك فيما عندك

وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع
في الجفنة وفي اخرى اذ ابا طلحة راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرئ اصحاب الصفة سورة النسا وقد ربط على
بطنه حجرا وروى مسلم انهم في غزوة تبوك جاعوا فسال
عمر رضي الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يدعو بفضل ازوادهم ثم يدعو الله تعالى لهم عليها بالبركة
ففعل فاجتمع شي يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة
ثم قال خذوا في اوعيتكم فما تركوا في العسكر وعا الا وملاوه
فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم
اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الحديث وفيها عن
انس ايضا ان امه ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحيسة من تور وفي عرقة من زبيب فامره ان يدعو من لقي
فدعا من لقي فكانوا زهاء ثلاثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم
يده على تلك الحيسة وتكلم بما شا الله تعالى ثم دعا عشرة
عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما ادري حين وضعت كان اكثر ام
حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا القصعة
من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قيل له فما كانت
تمد قال ما كانت تمد الا من هاهنا واشار الى السما ومنها
انه وفي قدر بيضة اي بيضة دجاج من نضار اي ذهب دين
سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه الذي كان من جملة ما كاتب
عليه سيده وهو اربعون اوقية من الذهب كما مر انفا مع
صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركة مسه
صلى الله عليه وسلم البيضة براحته الكريمة حين حان

اي

اي قرب الوفاء اي حلول الاجل دينه وفا والوفا الجناس الناقص
ورد العجز على الصدر وحين ودين وحان الجناس اللاحق وسبب
هذا الدين على سلمان انه كان يدعى فتنا اي ارق بالباطل ومخلص
قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد في المجوسية
حتى صار رئيسا فمر بكنيسة النصارى فاعجبوه فذكر ذلك لابيه
فقيده وقال له دينك ودين ابائك خير من دينهم فارسل يسال
من النصارى عن علما دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جاكم
احد من الشام فاخبروني ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها وسال
عن اعلمهم فدل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم من اقيم
مقامه فلما احتضر قال له بمن توصيني قال بفلان بنصيبين
فجاه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان
بعمورية من ارض الروم فلما احتضر قال له ذلك قال يا بني
اعلم احدا على ما كنا عليه امرك ان تاتيه وانه اظل زمان نبي
هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من ارض العرب يهاجر الى ارض
بين حرتين به علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة
بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل
ثم مات فمر بي نفر من بني كلب فقلت لهم احملوني الى ارض
واعطيكم ما عندي فحملوني فلما بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه
من يهودي فباعه من ابن عم له من بني قريظة بالمدينة فحملني
اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له
ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما انا اجني لسيدي تمرا اذ جا ابن عمه
فقال له قاتل الله بني قيلة وهم الاوس والخزرج انهم الان
لمجتمعون بقبا على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي

فاخذتني رعدة شديدة حتى ظننت اني ساقط فنزلت فقلت لسيدي
ماذا قال لك هذا فغضب ولطمني لطمة شديدة وقال مالك
ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ شيئا جمعه وذهب به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فقال له هذا صدقة فامر
اصحابه باكله ولم ياكل منه فجمع شيئا اخر واتى به الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه
ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره صلى الله
عليه وسلم انه يتامله لشي وصف له فالقى رداه عن ظهره فراى
خاتم النبوة فنفر عليه حدبته واسلم فامره صلى الله عليه وسلم
ان يكاتب فكاتب نظرا الى الحالة الراهنة والا فهو من جملة الاحرار
الذين هم اتباع حواري عيسى عليه الصلاة والسلام على غرس
ثلاثمائة نخلة ونعهدها حتى تثمر واربعين اوقية من ذهب
فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من
ذهب فوفت الاربعين فاعتق باداء النجوم لما ابتعت اي
نفحت من نخله حال من قوله لا قنا جمع قنو وهو العذق
اي العرجون فلاجل ما ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبي
صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة الشديدة وهو على راس نخلة
يجنيها السيد وشاهد ذلك سيده منه ومع ذلك الدال على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه بلغ امره ونعته الاباعد والاقارب
لما فهم انه له تلفتا الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه
لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون
على الانصار بانه قرب زمان نبي عربي كريم فنكون اول
من يتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر

بد



افلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء

وازالت بلمسها كل داء اكبرته اطباؤه والاساء

بدا كثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عرض الناظم
رحمه الله لموالي سلمان منكرا عليهم اذ لم يومنوا بنبينا صلى الله
عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بل زادوا في الطغيان
بضربه فقال اتظلمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى
الله عليه وسلم حتى لا يومن به فلا تعذرون سلمان اي تروون
له عذرا يمنعكم من ايذائه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته
صلى الله عليه وسلم لما اي حين ان عرته اي غشيته من اجل
ذكره اي ذكر اليهودي لقرب النبي صلى الله عليه وسلم والجتماع
الناس به في قبا العرواء اي قوة الحمى ومسها في اول اخذها
الانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته في تقرير هذا البيت
المطابق لما في قصة سلمان والذي فيه غاية المناسبة للمقام
وغاية الانكار على اليهودي ورميهم بالعناد والبهتان اولى مما
وقع للشارح في تقريره على ما فيه من النظر كما يعلم بتامله وبين
عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق و من اوصاف تلك
الراحة الكريمة ايضا انها ازالت بلمسها لمن به امراض اعيت
الاطبا كل داء به اكبرته اي استعظمته وعجزت عن برئه
اطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذي هو حفظ صحة
الانسان بمنع الواصل ورفع الحاصل والاساء بكسر الهمزة اي
مرضى جمع اسي كراع ورعا روى الدارمي ان امراة جاءت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون
وانه لياخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم
صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي فايدة
روى البخاري ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث

فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط ومن اوصافها ايضا
انه يرى بها عيون باصرة مرتبها تلك الراحة وهي بر مد
معطلة الابصار فاريتها اي تلك الراحة تلك العيون
ما اي الشيء البعيد الذي لم تره فيه مع ارتها جاس الاشتقاق
الزرقاء المشهورة بزرقا اليمامة التي كانت تبصر من مسيرة ثلاثة
ايام روى البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال
اين علي ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما في رواية اخرى
قالوا يشتكي عينيه قال ارسلوه الي فاتى به فبصق في عينيه
ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني عن علي كرم
الله وجهه فلا رمدت ولا صدعت منذ رفع الي صلى الله عليه
وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه
وسلم راسي في حجره ثم نفث في راحته فدلك بها عيني وعند
الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما
حتى يومي هذا فايدة روى ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي
والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني فديك
وكانتا مبيضتين لا ابصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية
فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه
لمبيضتان ومنها ايضا انها اعادت على قتادة بن النعمان
عينا له ذهبت فهي حتى اوالي مما نه النجلاء اي الواسعة
والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم احد
فوقعت على وجنته فاتى بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان رائتني تقذرني فاخذ

صلى الله



صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدها نظرا وكانت لا ترمد
اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه
رجل من ذريته فقال له عمر من انت قال شعر
• انا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى ايما رد •
• فعادت كما كانت لاول امرها • فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد •
فوصله عمر رضي الله عنه واحسن جائزته قال الشمني رحمه
الله وفي رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي
فاتيت بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق
فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث غريب
انفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبراني وابو
نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها
بيدي وسعيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي
دمعت عيناه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ق قتادة كما وقى
وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وجمع
بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بان
بعض الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم علم انهما ثنتان
فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة
وبها يترجح رواية الثنتين او لينه خصتني في اليقظة او في النوم
نظيرها من بلثم اي بتقبيل التراب المنفصل من قدم له
صلى الله عليه وسلم موصوفة باوصاف جليلة كثيرة كما نبهنا منها
انها كانت اذا مشت على حجر لانت حياء اي لاجل ومن جهة استحيائها

منها وأحلالها لما من أجل ممشيه أي تلك القدم الكريمة لها الصخواء
أي الحجارة الصلدة فاعل لانت وأعيد ضمير ممشيها وما بعده
عليها لتقدمها رتبة تدلك ونبه بذلك على أنه ينبغي لك أيها
العاقل أن تستحي من مخالفتك ما جاء عن نبيك صلى الله عليه وسلم
لأنك إذا علمت أن الحجر الأصم استحى منه أن يبقى على صلابته
مع مشيه عليه صلى الله عليه وسلم فتنشق عليه صلابته فلان
له حتى يثبت عليه مشيه عليه فأنت أولى بالاستحيا منه أن
تبقى على مخالفتك مع علمك بجليل أوصافه وعلى أخلاقه صلى الله
عليه وسلم ثم هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على
الخصائص لكن بلا سند وعبارة الجلال السيوطي في خصائصه
ومما أورده رزين أي صاحب الصحاح في خصائصه أنه صلى الله
عليه وسلم كان إذا وطئ على الصخر أثر فيه وذكر الحافظ ابن رجب
الحنبلي تلميذ ابن القيم ذلك في خصائصه فقال وأما إلانة
الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فإنها من خصائصه بغير نار
وإن إلانة الحديد معروفة بالنار وقد ألان الله الحجارة
لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها
وهذا أبلغ ثم قال وأعجب من هذا أنه كان إذا مشى على الصخر
لانت تحت أقدامه وإذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة
الجارية وقلل في أول كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل نبي من المعجزات
وما ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص وما له من الفضائل
موطئ بدل من التراب الأخمص بضم الميم والمراد به الجنس أي الأخمصين
وهو من التعبير بالبعض عن الكل إذ الأخمص من القدم الموضع الذي
لا يلتصق بالأرض منها عند الوطء والخمصان البالغ فيه ولا يرد على

كلامه

كلامه ما رواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم
إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبي أمامة كان
صلى الله عليه وسلم لا أخمص له يطأ على قدمه كلها لأن المراد أن
أخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الأعرابي إذا كان خمص
الأخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن
ما يكون وإن استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم الذي نعت للمضاف
فلا يصح كونه نعتا للمضاف إليه إلا بتكلف منه صفة للمبتداء
الذي هو وطئ فتقدمت عليه فصارت حالا للقلب خبر المبتدا
وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل وهو المراد بالقلب والخلاف في
العقل وذكر القلب بعد الأخمص فيه تجنيس مراعاة النظير إذا أضجعي
أي جنبي الذي أضجع عليه أقض بالقاف والمعجمة أي أصابه القضض
وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس وطاء أي فراش وصف
ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين الشريفين لأنه لو فرض
أن مضجعه أصابه تراب فراشه الذي هو من جملة ذلك التراب
سرى سر ذلك التراب الأكبر إلى قلبه فأناره وأراحه من الأغيار
وصيره على أكمل الأحوال وصانه من قبائح الخطوات والأموات
كأن الفراش يصون من فرش له عن ذلك وهذا أولى وأظهر مما حل به
الشارح هذا البيت فتأملهما ومن أوصافها أيضا أنه خطى المسجد
الحرام يعني جميع حرم مكة إذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في
القرآن في مواضع كثيرة بل كان ما ورد فيه من ذلك المراد به مكة
إلا في نحو فول وجهك شطر المسجد الحرام ممشاها أي ممشى
تلك القدم فيه أي فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع
قبره المكرم كما عليه أكثر العلما بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه

خطى المسجد الحرام ممشاها
ولم يلمس حظه الملتاذ

وسلم وتربيته ونشاته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه
صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب ارض الله الى الله ولولا
انى خرجت منك كرها ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذى
يروية مفضلوا المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام
المالكية ابو عمر بن عبد البر وصرح بان افضلية مكة هى الحق عند
من الهمه رشده وبرى من التعصب ولم يبشر حظه منه ايلياء
اى بيت المقدس بل شرفه بمشيه صلى الله عليه وسلم فيه ايضا
وصلاته فيه بالانبيا عليهم الصلاة والسلام ليلة الاسرا
كما جا ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه هو
الذى انشا شرفها كما قال فى الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم
حرم مكة وانى حرمت المدينة الحديث فقوله صلى الله عليه
وسلم حرمت المدينة اى نزل تحريمها على لسانى ولم يسبق زمنى
بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما فى
حديث البخارى وغيره وحديث البخارى وغيره ايضا ان ابراهيم
حرم مكة معناه اظهر حرمتها لا غير جمعا بين الحديثين فانه متعين
ما امكن وليس الكلام فيما انشا حرمته وانما هو فيما عرفت
حرمته من قبل على لسان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لكن زادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه فيفضل غيره
حينئذ وفضل مكة وبيت المقدس ليس حرمتهما قبله صلى الله
عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين خطى وحظه كورمت
ورمى تجنيس شبه الاشتقاق ومر اوصافها ايضا الخا ورمت
كما فى حديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى
تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم

من

٥

من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية لهما عن
عايشة رضى الله تعالى عنها قام نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت
قدماه وفى رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا
اكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد
ان يركع قام فقرا ثم ركع والفاء للسببية والتقدير اترك
تهجدى افلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب
لكون التهجد لمحض الشكر فكيف اتركه قال ابن بطال شارح
البخارى فى هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة
وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك
مع علمه بما سبق له صلى الله عليه وسلم فكيف بمن لم يعلم بذلك
فضلا عمن لم يامن انه استحق النار انتهى قال بعض المفسرين
قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما
تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله تعالى عليه
طه ما انزلنا عليك القران لتشقى اى طا الارض بكل قدمك
واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك القران
لتشقى اذا اى وقت اولاجل انه ما رمى بها ظلم الليل فيه استعارة
بالكناية شبه القدم الشريف بسهم صايب من حيث ان قيام
الليل القدم فى طاعة الله تعالى اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته
كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى يزيل صولة عدوه ووطاته
فتشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها
على هذا التشبيه المكنى بها فى النفس واثبات الرمى لها استعارة
تخييلية وبهذا التقدير البديع المبنى للباء على حالها يندفع

فاذا اما رمى بها ظلم الليل الى انه [illegible] خوفه والرجا

زعم الشارح انها بمعنى من او عن وانه لا يصح بقاؤها على حالها
ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف او سعة رجاء
بين الناظم رحمه الله تعالى ان قيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن
لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله صلى الله عليه
وسلم افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى
والقيام بين يديه فان خوفه ورجاه صلى الله عليه وسلم
اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان لمحض التقرب
بهما الى الله تعالى فقال **الى الله** خبر مقدم **خوفه** منه صلى الله
عليه وسلم انا اعلمكم بالله تعالى واخوفكم منه **والرجاء** اى وسعة
امله فيما عنده لا الى غرض اخر لان الله تعالى عصمه عن ان ينظر
ويميل الى غيره طرفة عين بل هو دايم المثول فى حضرات الشهود
الاقدس والتملى بمعانى القرب الانفس ووقع للشارح رحمه
الله تعالى حل هذا البيت على ما ذكرته وما ذكرته اولى وانسب
بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل ثم رايت القرطبي
اشار لما ذكرته حيث قال ظن من سأله فى حديث الصحيحين المذكور
عن سبب تحمله المشقة فى العبادة انه انما يعبد الله خوفا من
الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج
الى ذلك فافادهم ان هنا طريقا للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف
بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمى شكورا لكنه قليل
كما قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور وفى الحديث بيان
ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد فى العبادة والخشية
من ربه قال العلماء رضى الله تعالى عنهم انما الزم الانبيا انفسهم
لشدة الحرب لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى ابتداهم بها

جنز

قبلا استحقاقها فبذلوا مجهودهم فى عبادته تعالى ليؤدوا بعض شكره
مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد انتهى وقيام الليل
كان فى اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته
كما ذكره الله تعالى فى اول سورة المزمل ثم نسخ بما فى اخرها ثم نسخ
عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الامام
الشافعى رضى الله تعالى عنه ولكن اكثر اصحابه على انه صلى الله
عليه وسلم لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك اى عبادة زائدة فى فرايضك لان الامر للوجوب وقيل
معناه زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه
خالص له لكونه صلى الله عليه وسلم لا ذنب عليه فساير تطوعاته
صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب واما
حديث اللهم انى اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل
واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل فهو تعليم لامته
صلى الله عليه وسلم وبين الخوف والرجا المقابلة ومن اوصافها
ايضا انها **دميت** اى اخرج دمها **فى الوغا** قال الشارح هو الصوت
والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة
اختلاط الاصوات وهو المرام هنا انتهى **لتكتسب** فهى **طيبا** ما
الذى **اراقت**ه **من الدم** بيان لما **الشهداء** جمع شهيد فعيل
بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع
روحه او مفعول لان ملايكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو
فاعل اراقت اى من حكم خروج الدم من رجله المشرفة ان يعود
طيب ذلك الدم وبركته على جميع الشهداء حتى تكون رايحة
دمهم كريح المسك كما اخبر به صلى الله عليه وسلم عنهم بانه

دميت فى الوغا لتكتسب طيبا
لما اراقت من الدم الشهدا

كذلك وكان ينبغي للناظم ان يذكر هذا من اوصاف يده الشريفة
لان الذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه
فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف
يدعوهم الى الله تعالى فابوا واغروا به سفهائهم فرموه بالحجارة
الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحميه
منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك
بالوغا قلت قد علمت ان اصل الوغا الصوت
والجلبة وهذا موجود هنا على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا
حرب وسند المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبون
بل يغرون به سفهائهم وعبيدهم يسبونه قال عيسى ابن عقبة
ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدما زاد غيره
وكان اذا ازلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه
فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة
يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وهذا حرب اي حرب
لان من اقام بين ظهراني العدو يوجههم بما يكرهون من غير
ان ينزجر بزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اي
محارب ويدل لذلك ان ايمتنا عدوا من المتحاربين
الصفين اذ انقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الاخر وان لم يقع
قتال بل ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة
ما بالفعل فكذلك هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب
وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولالهتهم
وبما تقرر يعلم عذر الشارح في صرف الوغا عن معناه الحقيقي





فهي قطب المحراب والحرب كم دا
رت عليها في طاعة الله ارجاء

الى معناه المجازي وقال انه المراد هنا اي كما يقضي به سياق
النظم لكن كان عليه ان يبين ما يشهد لذلك المراد من كتب
السير او غيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدمه
حتى تورمت وانها دميت في الحرب ليكسب طيبا دمها دم الشهدا
طيبا فهي حينئذ قطب المحراب وقطب الحرب اي انتهى
اليها الثبات في الصلاة والحرب الى حالة لم توجد في غيرها لانه
صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشع لله تعالى منه ولا اشجع
كما مر فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله تعالى لا تتحرك
ولا تنتقل عن مكانها فلهذا دارت عليها قبايل العرب
الذين اكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتدا بها والمجاهدة
معها كما قال وكم لهي مرات كثيرة دارت عليها في طاعة لله
تعالى حال من قوله ارجاء اي قبايل وهذا تذييل وقطب الرحا
ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور
عليه فاستفيد من ذلك انها مركز دايرة الوجود فهو نقطة
الكون المخلوق لاجله ابتدا والمتصرف فيه انتها وبين المحراب
والحرب تجنيس الاشتقاق واراه اي علم انه صلى الله عليه وسلم
لو هي مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثاني
ويصح ان ماجت هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه
ماجت واعلم ان الكلام لو كثر اختلاف العلما فيه وقد اورد
هنا ايرادا خالصا منه لانه مما يضطر الى معرفته فاقول
هي شرط للماضي غالبا واختلفت عبارة النحاة في معناها
حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هي حرف لما كان سيقع
لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع

وأراه لو لم يكن بها قبل حرا
ماجت بها الدأماء

على م

واختلف في مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط
لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفا السبب لا يدل على انتفاء
مسببه لجواز ان يكون للشي اسباب واستدل لذلك بقوله
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة
لنفي تعدد الالهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم
من انتفايها انتفاوه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته
وذلك جايز ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه
واطالوا وصوبوا ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها
كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بان الجواب قد لا يمتنع
في اماكن كثيرة نحو ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية
وقول عمر رضي الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط ام لا
وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا فكذلك حول
جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا الها حرف يقتضي
امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفي التالي
فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفايه وبكونه
مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو قيام اخر
غير اللازم عن قيام زيد او ليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه
بان لزم التالي الاول عقلا او شرعا او عادة ولم يخلفه المقدم
في ترتيب التالي عليه غيره لزم انتفاوه بانتفايه كلو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم لتعدد الالهة
على وفق العادة عند تعدد الحكم من التمانع في الشي ولم
يخلف التعدد في ترتب الفساد غيره فينتفي الفساد بانتفا

التعدد

التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا
فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزوه ويخلفه الانسان
في ترتب الحيوان غيره كالحمار ويثبت الثاني مع انتفا الاول
ان لم يناف انتفاه وناسبه اما بالاولى كاثر عمر والمترتب فيه
عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو انسب
للترتيب عليه ايضا في قصده والمعنى انه لا يعصي الله مطلقا
لا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفايه اجلالا له تعالى عن ان
يعصيه او المساوي كقوله صلى الله عليه وسلم في بنت ام سلمة
لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي لانها لابنة اخي من الرضاعة
رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا لان لها وصفين متنسا وين
المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الادون كلو انتفت
اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه الرضاع لو انفرد
لم يسكن هو لها اي بقدمه الشريف قبل بالبنا على الضم حراء
مفعول يسكن بانصرف هنا لا غير ليلا ينزحف الوزن وفي غير
هذا يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين ماجت اي تحركت
واضطربت به اي القدم او النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
لها الدما اعلم ان الشارح رحمه الله تعالى تكلم على هذا البيت
بما فيه خفا ونظر لانه جعل مفعول اراه الثاني ماجت ولو لم
يسكن بشرط لجوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال في الداما
هي بالمعجمة كانه اراد بها سرعة الحركة وقال في حله ومن اوصافه
صلى الله عليه وسلم انه لو لم يسكن بالقدم المذكور حراء لما اراد التحنث
فيه ماجت سرعة الحركة واشتد اضطرابه صلى الله عليه وسلم
كما انه لما صعد احد فذاك تسكين بالقول وهذا بالفعل انتهى

ولم يظهر من هذا الجامع ما قبله من الاعراب معنى مطابق للنظم
وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت فى غاية الخفا مع عدم
المناسبة لما قبله على انه فى القاموس لم يذكر الداماء بالمعجمة
ولا الدامة بالمعجمة معنى مناسبا لسرعة الحركة ولا مقاربا
لها اصلا وانما ذكر لا دامة ما قد يناسب سرعة الحركة وهو
الرعب وعبارته فى ذامة بالمعجمة كمنعه حقره وذمه وطرده
وخراه والاذام الرعب وما سمعت له ذامة كلمة انتهى وانما
ذكر الداما فى المهملة فقال دام الحايط كمنع وعمه وتدام الماالشئ
عمه والفحل الناقة تجللها وتدامه الامر كتفاعله تراكم عليه
وتراحم والداما البحر ثم قال وجيش مدام كمسبر ركب كل شئ
انتهى والذى يتجه فى حله ان ماجت جواب لو وان الدامة
بالمهملة وانها البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه
شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه
تحركه حينئذ تحرك البحر راكبه وان ماجت استعارة مرشحة
لانها تناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج لا فى الما
كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى واعلم انه لو لم
يسكن بقدمه حرا قبل اى عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت
حرا الى اخر ما مر وشرح قوله فاهتز به للصلاة فيه لحراء لماج
اى استمر اضطرابه وتحركه الى اخر الدهر لما مر الهامزة المطرب
والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم وكان القياس لو يسكن بقدمه
الشريف قبل حرا ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر فيما ذكر
عدل عن ذلك الى ماجت الداما لافادة ما فى تشبيه الجبل بالبحر
من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت

الذى

الذى مر فى حرا انه انما قال له اثبت او نحوه ولم يضربه بقدمه
وانما الذى ضربه بقدمه احد وتبير فمن اين للناظم قوله لو لم
يسكن بها قبل حراء قلت كانه نظر لما فى بعض الطرق فى مسند
الحارث بن اسامة اذ فيها احد او حرا بالشك وصح فى رواية حرا
وفى رواية احد فاقتضى ذلك ان الضرب بالقدم الكريمة فى حرا
لانه فى احدهما ولك ان تحمل النظم على ان المراد لو لم يسكن حرا قبل
اى قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه اى مشيه عليه واقامته
فيه للتعبد قبل النبوة لا يستمر تموجه واضطرابه حتى طلع عليه
ثانيا هو واصحابه بقدمه اى مشيه وحينئذ لا يرد على الناظم شئ
الا ان يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت او اهدا حرا
فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان
المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافى انه لا سكن
غيرها ولك ايضا ان تجعل الداما الارض تسمية للمحل باسم
الحال وحينئذ فالمعنى لو لم يسكن بقدمه الكريمة حرا اى بتعبده
فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى اخر
الدهر وخص حرا لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون
غيره تنبيه اشار صلى الله عليه وسلم فى احد على ان تحركه
به محبته له فقال احد جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال
الخطابى والمراد يحب احد حب اهل المدينة نحو واسال القرية ورده
البغوى وتبعوه بانه لا مانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف
الجمادات بحب الانبيا والاوليا واهل الطاعة نظير ما مر فى حنين
الجذع لما فارقه صلى الله عليه وسلم وحديث حجرا كان يسلم على قبل
النبوة وروى البزار وابو نعيم حديث لما اوحى الله الى جعلت لا امر

بسحر ولا بحر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة
كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها امن به من
فوره بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا احقيقون
بانه يقال في شانهم عجبا بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب
الخارج عن قياس المفعول للكفار اي منهم حال كونهم زادوا ضلالا
بـ المعجزة القران وغيره الذي فيه اي في كل فرد من افراده للعقول
السليمة الخلية من العناد والخذلان والحسد والغل ومن الكلام
على العقل وما فيه من الخلاف اهتداء الى الدين الحق الذي جا به
صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدي به ويصح ان يراد العقول
لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتدا على ما يشمل ما بالقول وما
بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتدا بالقوة وان قارنها عناد او
خذلان وبين الضلال والاهتدا والجن والانس الاتيين الطباق
ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات
والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من
الحسد والتلبيس على الضعفا منهم الاباء وكفرا وتمردا كما قال
تعالى عنهم وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وعجبا ايضا
من الذين يسالونه منه على جهة التعنت والعناد وهو كثير
منه كتاب منزل معه عليهم من السما قد اتاهم به وهم يشاهدونه
وارتقاء منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله
تعالى لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط
السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او
يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السما ولن نومن لرقيك حتى تنزل

عجبا للكفار زادوا ضلالا
بالذي فيه للعقول اهتداء

علينا

علينا كتابا نقروه وقالوا له ايضا لقد علمت انه ليس احد من الناس
اضيق بلدا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا فاسال ربك فليسير
عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا او ليبسط لنا في بلادنا وليجرق
فيها الانهار كانهار الشام وليبعث علينا من مضى من ابائنا وليكن
فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك
وما قررته في هذا البيت اولى مما قرره الشارح فيه من ان الذي
مبتدا خبره كتاب وارتقا معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له
بما قبله ولا بما بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته
فان معنا مناسب لما قبله واضحه وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام
التعجبي الانكاري في قوله ا يقولون ذلك كله ويتعنتون به ولم يكفهم
عن ذلك كله من الله حال من فاعل يكف وهو ذكر واصل ابهمه
وتسميته ذكرا جاءت في انه مرادا به الشرف كما في اية وانه لذكر لك
ولقومك وفي اخرى مرادا به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما
يضر فيه للناس والجن بل والملائكة رحمة باهتدا المومنين به وتاخير
عذاب الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وشفا
من كل دا ظاهر وباطن حسي او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين
امنوا هدى وشفا وتخصيص المومنين لانهم المقصودون بذلك
بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملائكة لقول بعض
اكابر ايمتنا ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم
حريصون على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السما
شفا قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القران
فهو للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال تعالى وننزل من القران
ما هو شفا ورحمة للمومنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليثبت

اولم يكفهم من الله ذكر
فيه للناس رحمة وشفاء

للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القران
شفا من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية
والنبوة والمعاد وفي القران من النصوص القاطعة بفساد تلك
ما يكفي ويشفي من الاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها
وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراته
عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله
على الله تعالى بالكلية وعدم اكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم
استيلا الغفلة على القلب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعا
من قلب غافل لاه وقراته ممن هذه حاله على اي مرض كان مبرية
له وان اعيي الاطبا ومن ثم قال بعض الايمة متى تخلف الشفا
فهو اما لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع
قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية
والادواء الحسية فقد روي حديث من لم يستشف بالقران
لا شفاه الله وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال
خير الدواء القران وعن العارف الكبير ابي القاسم القشيري
رحمه الله تعالى ان ولده اشتد به مرض فاشرع عليه فراى
النبي صلى الله عليه وسلم فشكى اليه ما بولده فقال اين انت
من ايات الشفا اي وهي ست ايات مشهورة فكتبها ومحاها
بما وسقاها له فكانما نشط من عقال ثم استطرد بذكر شي مما
اشتمل عليه القران العزيز من المعجزات الباهرة والايات الظاهرة
لمن ذلك بل ابهره في قمع المعارض وادحاض الجاحد انه اعجز فقيل
علم اعجازه ضروري والاصح ان محله فيمن شاهد النبي صلى الله
عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز فظاهره ان المشاهد يحصل له العلم

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك
لان من كشف عن قلبه الغطا عند المشاهدة يحصل له قطعا
العلم الضروري انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جا به من
عند الله تعالى وانه معجز للخلق عن مخلوقاته لان هذا امر
يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه ان يعبر عنه بل ادعى
مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لا يبعد لا سيما
وكل احد يدرك فرقا بينا بين القران وغيره عند سماعهما
الاشراقية عن لها تبعا للماضي ولم يبال بان الذي عليه الجمهور
ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث ايات
وبعضها طلب منهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله فعجزوا
فطلب ان ياتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم ان ياتوا
بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر سورة
من سوره وذلك لان في دليل الجمهور شيئا اذ كونه لم يطلب منهم دون
السورة انهم قادرون على اقل منها لان المشاهدة قاضية
بانهم عجزوا حتى عن بعض الاية المفيدة كما يفيده قول الناظم
الاتي او بعضها لان في ارتباطها بما قبلها او بعدها انواعا من
بدايع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون
عن محاكاة اية من اياته حتى من نظرا وبعضها المفيد لكن مع
النظر لما بينها لما قبلها وما بعدها واما التصريح بانه لم يقع
العجز الا عن ثلاث ايات فترده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع
عن احد قط انه حاكى شيا منه واعجز الجن اية منه ايضا
وذكرهم كالاية لان التحدي وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم
مبعوث لهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما لا عجاز لانهم ليسوا

من اهل اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي انهم يحسنون اللسان
العربي فادعا خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملايكة لانه
صلي الله عليه وسلم من نسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم
قال بعضهم منويون في الاية ايضا وانهم لا يقدرون علي معارضته
اي وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم
وعلي كل فلم يستطع احد من الفريقين بل الثلاثة في زمنه صلي
الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي بمثل سورة او بمثل اية منه علي
نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال
والاخبار بالمغيبات والدلايل علي البعث والنبوة والاخلاق الكريمة
وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لين اجتمعت الانس
والجن علي ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا وحينيذ فهلا هي في الاصل للتحضيض والمراد بها
هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا فيثبت لهذه ما لتلك
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة الاية فهي هنا
للتوبيخ والتقديم فكذلك هلا هنا لتوبيخ من يزعم امكان المعارضة
لبعض اهل الضلالة والالحاد باتي ببعضها اي الاية والمراد
بعضها المعين وفي نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود
ضميره علي ما ذكرته الاية واعاده علي القران وما قلناه ابلغ
البلغا جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولي
خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي
ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام
لمقتضي الحال بان يدل علي ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او
المحكي من تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار او مجاز او فصل وضد

ط

كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها علي ايراد
الكلام البليغ غير محتاج الي تعقيب او استدراك وافاد الناظم
رحمه الله تعالى بهذا ان البلغا والشعراء فضلا عن غيرهم مع العجم
العرب الفصحا والخطبا البلغا والشعراء الفهما في قريش وغيرهم
والمتقدمون في اللسان والبيان والروسا في قوانين المعاني و
البيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه
البلاغة اظهروا اعوار عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن
المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك اعجب في الاية واوضح في
الدلالة من احيا الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى
عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون
علمه وقريش كانوا علي [illegible] ومنتهى طلبهم التفنن في افنية
الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في اعاجيب
الخطابة واساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك علي انه انما
هو لكونه من اعلام نبوته صلي الله عليه وسلم وبراهين رسالته
وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا
وعشرين سنة علي السكوت عن معارضة اية منه المستلزمة
لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته
مع قدرتهم عليها فطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم
وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف من نقصهم ما
كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني افتريته لعلمي باخبار الامم
فاتوا بمفترى مثله فلم يقم لذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا
تكلف مصقع ولا ظهر ووجد من يستجيده ويحامي عليه ويزعم
بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم

هجاه وعارض شعرا الصحابة وخطباء امته صلى الله عليه وسلم
قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابي وقد
كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله تعالى وقد قطع القول بان
ما اتى به من عند ربه معجز وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة
منه فلولا انه على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشي من ذلك
على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير
عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع احد منهم ان يناديه
ولم يرفع راسه الى ان يباريه بل رضيت هممهم السرية وانفسهم
الابية اذ كانوا انفس شي واشد حمية بسفك الدماء وهتك الحرم
ولذلك قال العلما رضي الله تعالى عنهم من اعلى وجوه اعجاز القران
ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب مع انهم ازرا ونوامها
ما لم يوته غيرهم لانهم كانوا ياتون منهما على البداهة بالامر
الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة
الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويتوسلون في اوديتها
فياتون بالسحر الحلال وينطقون من درر ما اجل من سمط الجمال
فلا يسكن عاقل انهما طوع مرادهم وملك قيادهم فما راعهم الا
رسول كريم بكتاب قديم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته
عن كل مقول وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مقالا واشد
ما وجدوا في الخطابة والشعر لما لا صارخا فيهم في كل حين مقرعا
لهم على روس الملا اجمعين فاتوا بسورة من مثله والا فانتم
المردودون الى اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم و
يسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويسب الهتهم ويستبيح نفوسهم

واموالهم



واموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم ياتوا بمقال
صابرون على الجلا والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن
معارضته يحجمون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتشغيب
والتكذيب والاعتراف بالافتراء في قولهم ان هذا الا سحر
يوثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهته
والرضى بالامور الدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعا مع
ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا وقد
قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو
اطاقوا ادنى معارضة لبادروا اليها واقحموا الخصم الذي كانوا
محافظين على اطفا نوره واخفا اموره مع طول وكثرة العدد
وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فايسوا وقطعوا
فانقطعوا هذا كله والامي اليهم به مكث بين ظهرانيهم
اربعين سنة اميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب
ولا تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا روى
اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال الله
تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا
لارتاب المبطلون روى البيهقي وغيره ان عتبة بن ربيعة
قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو عليه
فيه فقال صلى الله عليه وسلم له اسمع مني وقرا بسم الله
الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى ان بلغ السجدة فسمع
ما بهره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم انت وذاك فقام لاصحابه

فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به الينه
فقالوا ما وراك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله
ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة اطيعوني معشر قريش وخلوا
بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نباء ولما بلغ فقد انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت فمه وناشدته
الرحم ان يكف وقد علمت انه اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل
بكم العذاب وروى ابن اسحاق والبيهقي ان الوليد بن المغيرة
وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان يقرا عليه فقراء
عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية فاستعاده
اياها فاعادها فقال فوالله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى
وما يقول هذا بشر وما فيكم اعلم مني بالشعر واجمعوا فيه
رايا قبل وفود العرب في الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول انه كاهن قال ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا
مجنون قال ما هو بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال عرفنا
الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو
بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم قايلون
من هذا شيئا الا وانا اعلم انه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقي
لما رق لقراة القران عليه جاءه ابو جهل فقال يا عم ان قومك
يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا للمال فقال قد
علموا اني من اكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم قومك انك كاره
له فقال ما ذا اقول وذكر ما مر من مدح القران قال لا يرضى
عليك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر ساعة فلما

فكر



فكر قال هذا سحر يؤثر اي ينقله عن غيره فتامل فضاهو الا شقيا
على نفسهم بالعناد المحض والشقاس القبيح والتقول الباطل
ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما احسن
ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من
عند الله فكيف وقد جاء على يد اصدق الخلق من عند الله وتحداهم
باقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا
واما تفصيلها فقد بينها الايمة بما حاصله انه ينحصر مقصود
اعجازه في امور اربعة وعدها بعضهم اكثر من ذلك ومر ترجع الى ما
قلناه احدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتركيب بحيث لو وصل
في كل منها ومن مراتب البلاغة فيهما الى المرتبة العليا لفظا ومعنى
لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا
يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب
منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تومر
سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله
تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفايزون
قال جمعت هذه الاية ما انزل على عيسى من امر الدنيا والاخرة
ولقد رام بعض سخفا العقول محاكاة بعض قصار المفصل
فاتى من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب
اللعين يا ضفدع كم تنقين اعلاك في الما واسفلك في الطين لا الما
تكدرين ولا التراب تمنعين وقوله محاكاة للنازعات والذاريات
والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات
طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم
على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وقال الم تر كيف فعل ربك

بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شرا سيف واحشا وقال
لخرا الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل ومشفر
طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيهما انه مع كونه من جنس
كلام العرب خارج عن سائر فنونهم من النظم والسجع والخطب
والشعر ونحوها تحير عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شي منه
اذ لا مثال له يعول عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه
ولقد رام قوم من المتاخرين ممن اشتهر بينهم فصاحة وقبلهم
شيا من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك ومنهم
من قصد كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرا وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر فتاب ومحى ما عمل
ثالثهما تاثيره في النفوس والقلوب بحيث يجد من اللذة والحلاوة
عند سماعه ما لا يجد عند سماع غيره ومن ثم كان قاريه وسامعه
لا يمله بل كان كلما ازداد تكريره زاد حلاوته وانفتحت طلاوته
رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين ما فرطنا
في الكتاب من شي ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ويكون نحو فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا ولن يتمنوه ابدا فلم يفعل مثله مخلوق ولا تمنى
الموت يهودي وهذا ايضا من اظهر المعجزات قال بعض المحققين
اعجازه من وجهين اما لذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان
اذ تاليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له
رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج
عن ذلك واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر
ايضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها
وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي التوجه ولهذا نجد هذا



يوثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرههما وينشرح لحرفة اخرى
وهكذا فلما دعي الله تعالى اهل البطالة الذين يهيمون في كل واد
من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القران فعجزوا عن
الاتيان بمثله ولم يتصدوا المعارضة لم يخف على اولي الالباب ان لها
صارفا الهيا صرفهم عن ذلك واي اعجاز ابلغ من ذلك انتهى ملخصا
وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة
لكن افسدوه بان قوله قل لين اجتمعت الانس والجن الاية فيه
دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم
يبق فايدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس اجتماع
الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على ان اضافة
الاعجاز الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله
تعالى لا الى القران وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان
التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول صلى الله
عليه وسلم العظمى باقية ولا معجزة فاقية له اظهر من القران
ويلزمه الصرفة لانه لا فضيلة للقران على غيره فان قلت
القول بعجزهم مع بقا قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو
محال قلت مع قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها
القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضة
اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة
فان قلت توجه هممهم انها مع العجز عنها في نفس الامر
لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف
وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان اهل فن البلاغة لا يقطعون
سلب القدرة عن المحاكات ابتدا بل بعد الاختبار فتامله

لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه
ونظير ذلك خطاب من علم الله تعالى منه عدم الايمان بالايمان
كابي جهل ولهب نظر القادر بما عليه باعتبار الظاهر
واعراضنا عن النظر للعايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول
فريق مثلا ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه
لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولاخرين ان
العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان
بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في
الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعري والمتنبي
ونظايرهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنافى عنه الطباع ونادى
عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان
تاب اكثرهم واظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القران على ما لا يحصى من
العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير ذلك
من العجايب كل يوم اي وقت تهدي فاعله القراي يوصل وافاد
التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية
تتبعها استعارة تخييلية الى سامعيه معجزات من بيان المعجزة
بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب
والا لم يصدق عليه حد المعجزة السابق مبتداه من لفظه
لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع بلاغته
وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار
جنسا غاية اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة
اخباره الصادرة تارة عن الامم الماضية واخرى عن الغيبيات وما
فيه من العلوم التي لا يمكن حصرها ونقل الامام بن سراقة من

اصحابنا

١١٦

اصحابنا ان كل واحد من هذه راى قوم انه سبب الاعجاز القران ثم
اعترضهم بانحصر كلهم ما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من
عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال اهل التحقيق على
ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى احدهما
اي وحده تحكم بل فيه غير ذلك لكونه لا يزال غضا طريا على
الالسنة ومن السماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما
كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا في كلام البشر وكونه مستدركا
على جميع الكتب قبله فهي مفتقرة اليه وهو غني عنها ومن ثم
كان الحصر في الاعجاز من ساير معجزات الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بل هو معادلا للكل لان سببهما واحد وهو مخالفة
العادة وهو سبله كثيرة كما تقرر في وجه اعجازه وسيل
بعضهم ما موضع الاعجاز من القران فقال تشبيه بقولك
ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان
موضع من الانسان بل متى اشرت الى جملته فقد حققته
ودللت على ذاته كذلك القران لشرفه لا يشار الى شي منه الا
وكان ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقايله
وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى في كتابه
فلذلك حارت العقول وتاهت الابصار عنده واختلفوا
في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة
العليا كما مر فاختار القاضي المنع وانما التفاوت في ادراك
الناس له واختار ابو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم
ابن عبد السلام ولم يات كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب
فجا على نمط كلامهم ليتم ظهور بقا العجز عن معارضته القراءة

لان من سمع الفاظ القران وتدبرها حق تدبرها علم ان كل لفظ منها
باعتبار ما دل عليه امر معجز لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القران فى
الجلالة التى مر منها الاشارة اليها لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تجلى
به اي بسماعه المسامع من التحلية بالفاظه وتجلى بالفاظه الافواه
من الحلوا فهو الحلي راجع للاول والحلواء راجع للثاني رق
اى حسن لفظا اي من جهته فلا تجد لفظة منه بينها ما ينافي كمال
الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر او تعقيد وراق اى تصفى
من شوائب النقص فاعجب كل ناظر فيه معنى اى من جهته فلا تجد
معنى من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام والوضوح المراد الغاية
القصوى وفى رق وراق والحلي والحلوا الجناس كحلاها وحليها
وسور وصور والنظاير والنظرا الاتيان والمسامع والافواه هو
واللفظ والمعنى مراعاة النظير كالرقة والصفا والاياب
والحروف والهجا الاتيان وفيما بعدهما اللف والنشر المرتب
فلسبب كون سوره رقت وراقت جاءت فاعله الخنسا وما قبله
حال منه اى من حال كونها فى حلاها اى صفاتها الجميلة وحليها
اي زينتها الخنساء بنت عمرو وحقيقتها من بين كثيرات سميت
بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة كما يأتي في بسط الكلام
في ترجمتها شبه سور القران فى صفاتها العلية وترتيبها لما
اودعه من الاسرار الالهية البهية بامراة بلغت فى الرتبة
واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه وارتنا اى اوضحت لنا
وقاعله رقة الاتية فيه اى فى القران غوامض اى خفايا فضل
كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لا حد لها ولا غاية ومن
ثم جاء عن علي كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير سورة

الضحى



الضحى لفعلت رقة كاينة منه زلالها الزلال ما فى غاية الحلاوة والبرودة
يوجد فى اجواف صور توجد فى نحو الثلج تشبه الحيوان وليست
فى الحقيقة بحيوان كما قاله بعض اكابر ايمتنا وصفاء من ذلك
الزلال شبه اى القران فى محاسن اساليبها وصفا مواردها
الموجبين لمن حدق فى خفاياها امعان نظره وحقق فى غورها
دقيق فكره برد اليقين وصفا القلب عن كل سوء حتى اطلع على
ساير الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية
والمواهب الرحمانية والمآرب الروحانية بما فى غاية العذوبة
والبرودة وصفا الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية
ما تحته بما شانه ان يخفى ولهذا الذي قرنته من برد اليقين
وصفا القلب يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مراة
فكره كما اشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال
انما تجتلي الوجوه اى تظهر ظهورا واضحا لا خفا معه بوجه اذا قوبلت
بالمراة اذا ما زائدة جليت اي ازيلت وبين هذا وتجتلي تجنيس
الاشتقاق عن مراتها بكسر الميم والمد الاصداء فكذلك
مراة القلوب لا تجتلي لها العلوم والمعارف من القران الا اذا
جليت عنها اصدا الاغيار واذابت قواها فيما هى بصدده
اناء الليل واطراف النهار سور جمع سورة وهى الطايفة المخصوصة
المسماة باسم مخصوص توقيفي منه لبيان الجنس لان ما الي النبي
خاصا ببعض سورة بل يشملها كلها اشبهت لاشتمال كل منها
على مفاداة من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما
فى الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه صورا جمع
صورة وصورة الشي شكله منا فى اشتمال كل منها على عقل وادراك

وهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما في غيره وكان الناظم
رحمه الله تعالى قصد بها التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز
انما هو بمجموع القران لا بكل سورة لان ما فيه من انواع الاعجاز
السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا
يعول عليها لمنافتها لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله كما مر
بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قايلوها معتزلة
لا يقام لهم وزن **ومثل النظاير** جمع نظير **النظراء** جمع نظير
ايضا وهو المثل والمناظر ويطلق النظاير على الاماثل والافاضل
وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا ساقه
كالمثل لما قبله فيكون من التذييل ومثل تلك السور التي هي
نظاير كما قال ابن مسعود ولقد عرفت النظاير التي كان يقرن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون سورة الاماثل
والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضايل والتخلي عن
الرذايل **والاقاويل** جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد **عندهم**
اي الكفار ظرف للمبتدا او لخبره وهو **كالتماثيل** جمع تمثال
وهو الصورة يعني ان تقولهم في القران وافتراءهم عليه بما
يقدح في حقيقة امره مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير
التي تخترعها المصورون كذلك فكما ان هذه لا وجود لها في
الحقيقة ولا اعتبار بها كذلك تقولهم المذكور واذا تقرر
لك ان جميع ما قالوه في القران باطل قطعي البطلان **فلا
يوهمنك الخطباء** اي فاحذر ان يوقع مزخرف الكلام
بتمشدقهم وتفاصحهم في ذهنك ادنى ريب او شك في شيء
من اوصاف القران التي مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقي منها **كم**

مرات

مرات كثيرة **ابانت** اوضحت **اياته** جمع اية وهي لغة العلامة واصطلاحا
قران مركب من جمل ولو تقديرا ومبدا ومقطع مندرج في سورة قاله
الجعبري ويشكل عليه عدهم ثم نظر في المدثر اية اذ ليس في هذه
جمل ولا تقديرا فالاولى قول غيره طايفة من القران منقطعة
عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القران الاولى ان يقول بدله
من السورة وسميت الاية بذلك لانها علامة على صدق الاتي
بها وعلى عجز المتحدين بها ويأتي قريبا عد اي القران **من
زايدة** في الاثبات كما هو راي جماعة **علوم** لا غاية لها كما قال
تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وفي حديث الترمذي وغيره
ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ
ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد بن منصور
عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقران فان فيه
خبر الاولين والاخرين قال البيهقي يعني اصول العلم واخرج
عن الحسن انزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها
في اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم
اودع علوم الثلاثة القران اي مع زيادات لا تنحصر ومن
ثم قال الشافعي رضي الله تعالى عنه جميع ما تقوله الامة
شرح للسنة وجميع السنة شرح للقران وقال ايضا
جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من
القران وما ثبت ابتداء بالسنة فهو في الحقيقة ماخوذ منه
لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة
بمكة سلوني عما شئتم اخبركم عنه من كتاب الله تعالى فامتحن
به فاتي فاستنبطها من القران منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه

هل عليه حدا فاستنبط لهم منه انه لا حدا عليه لان عمر رضي الله تعالى
عنه امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من
بعدي ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما اتاكم الرسول فخذوه
الاية وتبعه بعض الشافعي العلما على ذلك فقال واحد ما قال
صلى الله عليه وسلم شيئا او قضى احدكم بشي الا وهو او اصله
في القران قرب او بعد وقال اخر ما من شي في العالم الا وهو
فيه فقيل له اين ذكر الخانات فيه فقال في قوله تعالى ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فهي الخانات وقال
اخر ما من شي الا يمكن استخراجه من القران لمن فهمه الله تعالى
حتى ان عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة استنبط
من اخر سورة المنافقين لانها راس ثلاث وستين سورة
وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال
اخر لم يحط بالقران الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه
وسلم فيما عدا ما استاثر الله تعالى بعلمه ثم ورث عنه
معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت
علومهم كابي بكر فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلي كرم الله
وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن زعم
وضعه انا مدينة العلم وعلي بابها ومن ثم قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما جميع ما ابرزته لكم من التفسير فانما
هو عن علي كرم الله وجهه وكابن عباس حتى انه قال لو ضاع
لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم
التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله
اوليك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا لينضبط

كل



كل طايفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم افرد
غالب تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت ان تخرج عن
الحصر وقد بين هذا القايل وجه استنباط غالبها منه بتاليف
لا يحصى وقال اخر علومه خمسون علما واربعماية علم وسبعة
الاف وسبعون الف علم على عدد كلم القران مضروبة في
اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع ويضم لذلك اعتبار
تركيب ما بينهما من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به
نعم ام علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم وقيل واحكام
وسميت الفاتحة ام لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص
ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار
والديانات وقال اخر اشتمل القران على كل شي كما قال تعالى ما
فرطنا في الكتاب من شي اما العلوم فلا تجد مسئلة هي اصل
الا وفي القران ما يدل عليها وفيه عجايب المخلوقات وملكوت
السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء
الخلق واسما مشاهير الانبيا والملايكة وعيون اخبار الامم
السابقة وشانه صلى الله عليه وسلم وغزواته واخباره الى مماته
ثم شان امته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وامارات
الساعة وجميع احوال البرزخ والمحشر والجنة والنار وزعم
الجاحظ انه لا يوجد فيه شي من النوع الكلامي الذي هو احتجاج
المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة ارباب
الكلام ولا من النوع المنطقي الذي هو نستنتج منه النتايج
الصحيحة من المقدمات الصادقة وردوا عليه بانه مشحون
من ذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبنى

منه كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله تعالى ينطق به
وقد بين الاسلاميون من اهل هذه العلوم كثيرا من ذلك
منه ان من اول سورة الحج الى قوله تعالى وان الله يبعث
من في القبور خمس نتايج تستنتج من عشر مقدمات
بل فيه الاشارات حتى لعلم الهندسة بل لاشكالها فيه
وهو الشكل الثلاثي بقوله تعالى الى ظل ذي ثلث شعب الاية
قال الايمة وانما اوردت حججه على عادة العرب دون دقائق
المتكلمين لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ولان من استطاع ان يفهم غيره بالاوضح الذي يفهمه
الاكثرون لا ينبغي له ان يغمض الى الاغمض الذي لا يفهمه الا
الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم اخرج تعالى في مخاطباته
محاجات خلقه في اجل صورة واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم
ويلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من دقائق
المعارف التي هي منتهى كل ومبلغ اربه ومن عجايب تلك الايات
انها ابانت تلك العلوم التي لا غاية لها حال كونها متولدة
عن بينهما او بين من الجناس اللاحق حروف قليلة بالنسبة
اليها اخرج ابن الضريس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال جميع مبادي القران ستة الاف ايه وستمائة ايه وست عشرة
ايه وجميع حروف القران ثلثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون
الف حرف واحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها
حروف التهجي اسما كاشفة عن تلك المسميات كما قال ابان اي
كشف عنها الحجاب اي التهجي وهو تعديد الحروف بذكر اسمائها
فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف

البسيطة



البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغة والمراد هنا
انه يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه
ان الحرف الذي اوله زيد مثلا له مسمى ومهموز والخط فيه بحرف
ها السكت لا يوثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاي لانه تعتريه
ساير علامات الاسم ومن ثم قال سيبويه قال الخليل يوما
وقد سال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تتلفظوا بالكاف
التي في ذلك والبا التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما
جيتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال اقول كه به لحروف
القران من الاول وحروف التهجي من الثاني ودليل تسميتهما حرف
فالخبر الصحيح من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر
امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فتسميته كل حرفا اما لغة واما مجازا باعتبار مدلوله وحينيذ
فهي اي حروف القران وان غزرت معانيهما وكثرت اخكامها لا يستبعد
منها وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها الان لها
مثلا لا يعرفها نوع قرب لحروف اسماء الاعداد دون الافتنان ما
بينهما اذ ما يالي له امد معلوم يغني فيه عن قرب وهذه مستمرة
النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي الازمان في هذه الدار
بل وفي دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال للقاري
في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وذلك ياتي قريبا
بزيادة وذلك المثال هو اما انها لحروف اسماء الاعداد فانها
مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهي الوهم الى المعدود بها واما انها
كالحب الذي يلقيه الزراع والنوى الذي يلقيه الغارس في الارض
فينشا عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد ان يحصى ولا يتنامى

وَمن الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه الحالة اعجب فاعله بالي
فقول الشارح اذ فيه ضميرا للحب والنوى وان فاعله سنابل سهو
منه اذ كيف يتصور في فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا في حالة ولحظ
الزراع والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفا كسرابيل تقيكم
الحر اي والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب
والغارس للنوى وعودا لسنابل للاول والزكا للثاني منهما اي من
تلك الزرع والاشجار سنابل وزكاء اي نمو يفوت الحصر بحيث
لو اجتمع اهل الارض على استقصاء عددها لما اطاقوه فقد علمت
ان التناهي هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القران
هي متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا
المثال المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر والا فشتان
ما بين الامرين الا ترى ان عدم التناهي تلك الحبوب والثمار
انما هو في مدة قليلة ثم تفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها
لا تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح انه يقال
للقارئ في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه
يعلم انه يقرا ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها
وبما يفتح الله به على القراء من انواع المعارف اللائقة بتلك الدار
وتلك الذوات التي تم فيهما التاهل وذلك امر لا يتناهى
ابدا ومن عجيب شان الكفار المصر مع هذه المعجزات والايات
البينات كلها انهم استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار
فاطالوا فيهما التردد والريب اي الشك عطف على مرادف فقالوا
كما حكاه الله تعالى عنهم في كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه سحر
اي تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كلما لطف ماخذه ورق

وقالوا

١٠٢١

وَقالوا مرة اخرى انه افتراء اي كذب ومرة اساطير الاولين الى
غير ذلك من افتراءاتهم واقتراحاتهم ومباهتتهم وتلبيسهم وضلوا
فيما قالوا والله المتفضل بانزاله قران مجيد في لوح محفوظ
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
وكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانهم لا عقل لهم ولا
راي ولا استعداد ولكن لبيت ذلك بكثير على من عدم التوفيق
ولم يبصر سوء الطريق لما هو مقرر في العقول السليمة من الحكم
البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات اي الحجج القطعية
البرهان الواضحة لم تغن هم اي لم تفدهم شيئا من الهدى
فالتماس الهدى منهن اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد الياس من
ايمانهم عناء اي تعب لا يفيد شيئا واذا ضلت عن طرق الحق
العقول جمع عقل وسبق الكلام عليهما مستوفى على اي مع علم
منها بتلك الطرق اي اضلها باريها فماذا تقوله اي فاي قول
تقوله الانبيا النصحاء وقولهم حينئذ لا يفيد شيئا والبيت
الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم
لا يومنون والثاني من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه
واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ومما قررت به كلامه يعلم
ان هذين البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيه
لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة على
التكليف بالمحال لغيره كتكليف ابي جهل مثلا بالايمان مع علم الله
تعالى بانه لا يومن وذلك بان التكليف بذلك انما هو بالنظر
للحالة الراهنة المنطوي عنا عاقبته فهم بالنسبة اليها مكلفون

فاذا البينات لم تغن شيئا
فالتماس الهدى منهن عناء

واذا ضلت العقول على علم
فماذا تقوله النصحاء

علي صح

بالايمان لقدر بعضهم عليه ظاهرًا وان كانوا عنه عاجزين باطنًا
لعلم الله تعالى بانهم لا يومنون لان هذا لا نظر اليه والا ارتفع
الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما جاءت به الشرايع
فاحذر ان يميل الله فتزل قدمك ويحق ندمك واستحضر قوله
تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون **فوايد** منها قيل
حكمة تنزيه القران من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة
ان قصارى امر الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق
والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار
الحق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم
قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره
اي غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر لا يسمى به لان شرطه
القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرًا
لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرًا وقيل الرجز كذلك
ومنها سئل الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا
فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف
الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القران فليس نظمه مختلفًا
ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر
لاختلاف قواهم واغراضهم واحوالهم ومنها ساير كتب الله
تعالى بلا اعجاز فيها من حيث النظم والتاليف لان السنتهم
كذلك كلها في القران حكاية عنهم الا ما هو حكاية لمعنى الفاظهم
ذكره ابن جني وغيره ومنها وقع في القران ايات متشابهات
من حيث النظم كايراد القصة الواحدة في سور وفواصل
مختلفة كوكلا وفكلا يذبحون ويذبحون سنزيد وسنزيد

وذلك

وذلك كثير وقد افرد خلايق الجواب عن ذلك بتاليف مختلفة مستقلة
ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التامل نحو ولا يتساءلون
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون واول من تكلم في الجواب عن
ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم تبعه الايمة حتى افرد
بعضهم ذلك بالتاليف كما افرد في مختلف الحديث وبين الجمع
بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها من المتشابه الذي
استاثر الله تعالى بعلمه او علمه ايضًا الراسخون في العلم وهو مبحث
طويل فلا باس بذكر خلاصته وهي قيل القران كله محكم كما في اية
وقيل كله متشابه كما في اية والاصح انقسامه اليهما والمراد
بالمحكمة اياته اتقنت وتنزهت عن نقص بحكمها وبالمتشابهات
انه يشبه بعضه بعضًا في الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم
ما عرف المراد منه قيل ولو بالتاويل والمتشابه ما استاثره
الله كالساعة والحروف المقطعة اوايل السور وفيهما اقوال
اخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشا وهما هل الوقف
على في العلم من قوله تعالى والراسخون في العلم وعليه طايفة قليلة
كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووي انه الاصح
لانه يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى
معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن
بعدهم خصوصًا اهل السنة ان الوقف على الله من قوله تعالى
وما يعلم تاويله الا الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس
وعد ابن السمعاني اختيار الاول مقفوة وجمع بعضهم بان من
المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فصح الوقفان
بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر ايات الصفات التي فيها ذكر

نحو الاستوا واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم اكثر اهل الحديث
على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن
ظواهرها وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان
امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال والذي نرتضيه
دينا وندين الله به عقد اتباع سلف الامة فانهم درجوا على
ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال على ذلك مضى صدر
الامة وسادتها وقادتها واياها اختار ائمة الحديث والفخر فقال
واحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل
وهو اما لفظي وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف
على انتفا الاحتمالات العشرة وهو مظنون واما عقلي وهو
انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات
المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتاويل على تاويل
وذلك انما يكون بلفظي وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن وهو
لا يعول عليه في المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا
اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل
القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين
التاويل انتهى وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التاويل
ان قرب في لسان العرب نحو على ما فرطت في جنب الله اي حقه
وما يجب له لا ان بعد كتاويل استوى باستولى ولما فرغ من
الحجاج مع المشركين وبين مآل الهة امرهم شرع في الكلام
مع اهل الكتابين ليبين مآل الهة امرهم ايضا فقال يا **قوم**
حذف حرف الندا جائز الا في الندبة والاستغاثة ومع المضمر
وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول فيه **عيسى** المدعوين

بالنصارى

الثامن عشر

١٢٧

بالنصارى **عاملتم قوم موسى** وهم اليهود بالتصديق بكتابهم
وهو التوراة **بالذي عاملتكم** بنظيره وهو التصديق بكتابهم
الذي هو الانجيل **الحنفاء** اي المسلمون جمع حنيف وهو المايل
عن كل دين الى الدين الحق ثم بين ما ابهمه في البيت قبله بقوله **صدقوا**
اي قوم عيسى **كتبكم** وهي التوراة وما بعدها كالزبور **وكذبتم**
**كتبهم** وهي الانجيل وجمعه للمشاكلة او لتنزيله منزلة كتب
متعددة وفي هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا ولا اعيد
عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى وموسى
الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الابنين وبين التصديق والتكذيب
الطباق **اللذا** اي الذي فعلتموه معشر اليهود **لبيس البواء**
اي الصنيع الذي رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله
تعالى وباءوا بغضب من الله **لو جحدنا** من الجحد وهو الانكار عن
علم **جحودكم** اي مثله بان انكرنا كتابكم كما انكرتم كتابنا وكتاب
عيسى **لا تستوينا** نحن وانتم ان يكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف
**وليس الهدى** وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله
**بالضلال** وهو ما انتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض
**استواء** اي مساواة بل بينهما غاية التضاد فالحاصل
انا لم نجحد شيئا من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب
النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم
قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب اي المكذب
لهم في ذلك وكان الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد
بين اهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف

النظم ويوافق ظاهر الاية انتهى وقد يقال لا يلزم من ادعا كل فرقة
في الاخرى ما ذكر انكارها لما بعدها اذ لا مانع ان النصارى قايلون
في اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شي اي باعتبار تبديلهم
فصح ما في النظم ويحتمل ارجاع الضمير صدقوا وكذبتم الى الحنفا
وضمير الخطاب في كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى
ويكون ذلك تفسيرا لعاملتكم الحنفا وفي السياق ما يودي
كلا من الاحتمالين لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستقر
ان اليهود اشد الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه
في زعمهم الفاسد واستمر حسدهم من بعده حتى قالوا ليست
النصارى على شي الموجب لقول النصارى فيهم ذلك ايضا
وان الطايفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته
حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر من سخفا العقول
فضلا عن غيرهم شرع الناظم في بيان ذلك كله منهم على
وجه بديع فقال ما لكم اي اي حال حصل لكم معشر الفريقين
يا اخوة الكتاب المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم
بذلك لانه لما جمعهم في ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا
مستوين فيه كاستوا الاخوة في الانتساب الى اصل واحد
حال كونكم اناسا ليس شانكم انه يرعى للحق منكم اخاء بكسر
الهمزة نايب فاعل يرعى ويجوز انه اسم ليس ونايب فاعل
يرعى ضميره اي مواخاة اي ليس يصدر منكم مراعاة للدين
الحق بالقيام بما يجب من الحقوق التي منها تصديق محمد
صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته

للنصارى

وعموم

١٢٤

وعموم رسالته وفي اخامس اخوة رد العجز على الصدر وبين الاخوة
والاخا جناس الاشتقاق كالشهادة والشهداء الاتيين ومن عدم
رعايتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم
حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه
وما دروا الملاعين انه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم
ثم رفعه الى السما لينزل اخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله
عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول نزوله ليعلم انه نزل تابعا
لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزية
بل يقتل كل يهودي ونصراني في الارض لان نوعا ما من الشبهة
المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم وما
زال كذا اي هكذا المذكور من حسد الاول للاخير المحدثون والقدما
من لدن ادم الى اليوم فدى للتحقيق علمهم يا اهل الكتاب بظلم
قابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو اول اولاد ادم وهم
اربعون جاوا له من حوى في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى
وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا اربعين الفا هابيل
بشدخه راسه بين حجرين وهو ثاني اولاد ادم صلى الله عليه
وسلم حسدا له على الدين من اجل كون الله تعالى قبل قربان
هابيل ولم يقبل قربانه وحينئذ قال له لاقتلنك فاجابه
بانه يستسلم لقضا الله تعالى ولا يجزي بالسيئة السيئة كما
افاد ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قايلا لئن بسطت
الى يدك لتقتلني ما انا بباسط الاية وكذلك قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني ادم كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وكان سبب حسده له

انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست كجمال الاخت التي تزوجها هابيل
وكان من شريعة ادم ان اختلاف بطون حوى بمنزلة اختلاف
الانساب وكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس
وهو مع مخالفته لظاهر الاية يمكن تاويله بانه لا مانع ان حسده
لسببين اخروى وهو ما في الاية ودنيوى وهو ما ذكر على انه
جا في القصة ان ادم عليه السلام لما امر قابيل ان يزوج اخته
لهابيل فامتنع وقال اختي احسن لا امكنه منها ولا ارضى
اخته امرهما ان يقربا قربانا لله تعالى وكانت العلامة
على قبوله اذ ذاك نزول نار من السما تاكله فقرب كل منهما
قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده حتى قتله وبين الاول
والاخير والقدما جناس الطباق كونهم وخانوا واحسنتم
واساوا وبالاباء والابناء وعرفوه وانكروه الانتبان
ومظلوم الاخوة الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف بمعنى
ولجر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وتسميته الانقياء
لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم
وهذا فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا
وما ذال الى اخره وعلم من قولي وهذا فيه الى اخره انه ليس المراد
بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بانه اراد
بالاخوة الاخوين بنا على القول بان اقل الجمع اثنان وقد سمعتم
هو لليقين لان المراد في كل العلم بكيد ابنا يعقوب المسمى
في القران باسرائيل اى عبد الله بن اسحاق الذبيح عند الاكثرين
لكن الاشهر انه اخوه اسماعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله
عليه وسلم اخاهم يوسف عليه الصلاة والسلام فانه لا خلاف





في نبوته كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص
عليك احسن القصص اي لانها سيقت على اسلوب لم يسبق
عليه غيرها من بقية ولا يتوهم من كيدهم له المحكي عنهم في
قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك ينافي
صلاحهم لاتفاق العلما على انهم كلهم صلحاء عدل اليه عن
انبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر ولقوة الخلاف عنده
في عدم نبوتهم بخلاف يوسف عليه السلام فانه لا خلاف في
نبوته لكن الحق ان ظاهر الاية او صريحها وهي قوله تعالى قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب
وقد ذكرت الاية انه انزل عليهم شي يجب الايمان به
غير ما انزل على ابايهم وذلك الشي هو الوحي كما هو المتبادر
بل صرحت به اية واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وحينيذ فنفي نبوتهم المستلزم لنفي
الوحي اليهم مناقض لصريح الاية فتامله ولا ينافي نبوتهم
ما حكي في تلك القصة لانه لما صدر منهم عن تاويلات
تراها شريعتهم ومما يقرب ذلك ان العلماء رضي الله تعالى
عنهم اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور التي جرت منهم
لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبيا
قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب الاصول حين ظرف
لكيد القوه في غيابة جب هو البير الذي لم يطو وغيابته
قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغر منهم
عليهم الذي اثبات عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد

عشر كوكبا امثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه
وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت امره وطاعته وكان
الامر كذلك كما في اخر السورة فانهم لما جاوا اليه مع ابيهم
وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل روياي من قبل قد
جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجا بكم
من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي الاية
ولطيف في التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح
في نبوتهم على القول بها قال تعالى لافضل خلقه صلى
الله عليه وسلم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك
الاعراض عن المكذبين لك فالنزغ ادنى حركة امره تعالى
انه متى تحرك عليه ادنى غضب على عدوه واراد الشيطان
القا ادنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفه امره
وهذا من تمام عصمته صلى الله عليه وسلم لانه لا يسلط
عليه باكثر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تاثير له من
غير قدرة له عليه ومن كيدهم له ايضا انهم كادوه ورموه
بالافك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون
يوسف عليه الصلاة والسلام وهو براء اي بري منه
وفي تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد
اخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل قال سرق يوسف عليه الصلاة والسلام صنما لجده ابي
امه من ذهب وفضة فكسره فالقاه على الطريق فعيرته اخوته

بذلك



بذلك واخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي عايروه بها
اخذ صنما كان لابي امه وانما اراد بذلك الخير وروى نحو ذلك
جماعة عن زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وابن جرير وزاد ان امه
امرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الامام الشافعي رضي
الله تعالى عنه كان زيد هذا من العالمين بالقران فالحاصل
انه وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له صلى الله
عليه وسلم فلم يكذبوا وانما الذي وقعوا فيه انهم عيروه بما
لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي
سعادة الدارين في صلح الاخوين وذكرت فيه نحو ما سبق و
ملخصه ان واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام مع اخوته
واقعة عجيبة تشتمل على عجايب وغرايب وحكم واحكام وعبر
وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة
الصبر وخيبة عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وان لم يكن له
اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل وان كان اعوانه وانصاره
الوزرا والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض والتحاسد
بين الاخوة امر قديم قل ما يسلم منه خيرهم او ادنيهم وان كملوا
وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم لما
ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحا بل انبيا
بنص قوله تعالى قولوا امنا بالله الاية اتفقوا على ان المراد
بالاسباط اولاد يعقوب فكوننا امرنا بالايمان بما انزل
الى ابيهم وبما انزل اليهم ظاهر او نص في انه انزل عليهم ما
يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه
فقد يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور

الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام
جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها
من صغاير المعاصي وكبايرها سهوها وعمدها ويجاب
بان ذلك يتاتى على مذهب كثيرين ان العصمة انما هي بعد النبوة
لا قبلها والاولى ان يجاب بان هذه الامور انما تستشكل على
قواعد شرعنا اما على شرعهم فنحن لا ندريه وبفرض انه يوافق
شرعنا في ذلك فيحتمل ان لهم تاويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه
وتعبير كثيرين كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو هذا من
العبارات التي ظاهرها ما لا يليق بهم انما هو بنا على عدم نبوتهم
كما هو قول فيهم واخرج ابن جرير وابن المنذر ان ابا عمرو قيل
له كيف نقرا نرتع ونلعب بالنون وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ
انبيا والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم وبرائتهم
من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذا
قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدايد
والمحن وصبروا عليها لفازوا برضا الله تعالى ومحبته **وتاسوا**
اي فتعزوا واذا التاسي التعزي من تاسيت بفلان تعزيت
به اي حملت حالي على حاله ففي التاسي تسكين النفس على
الامر المشق وتصبيرها عليه والتعزي الحمل على الصبر
بوعد الاجر فمعنى التاسي والتعزي واحد او متقارب
وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما **بمن مضى** قبلكم
من الكمل في ذلك **اذ** اي وقت او لاجل ان **ظلمتم** من الكفار بما
رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال **فالتاسي**
في المصايب لاسيما بالكمل **للنفس فيه عزاء** اي تسل وتصبر

بحملها

بحملها على ان لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن
النظر الى ما يصدر من النفاق والشقاق وهذا من التذييل
**انزاكم** الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اي انطقكم
اهل الكتاب **وفيتم** بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم
الحق ودمتم على العمل به **حين** ظرف لوفيتم او الواقع موقع
المفعول الثاني **خانوا** ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وابوا
قبوله من غيرهم **ام** متصلة لانها معادلة للهمزة السابقة **تراكم**
اهل الكتاب **احسنتم** في اتباع نبيكم في جميع ما جاء به فلم
تغيروا منه شيئا قط ولم تبدلوا الى حيا ته ولا بعده فانه **اذا ما**
الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل تركوه
وغيروه ابتدا زال الما بيا لونه من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية
**بل** لا يرون شيئا من ذلك وانما الذي حملهم على عدم اتباع
الانبيا عليهم الصلاة والسلام انه **تمادت** اي تتابعت
واستمرت **على التجاهل** الموجب لرفض الحق واتباع الباطل
اي اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم
غير الحق ودمتم على العمل به **ابا**ء بينه وبين الابناء الجناس
الطباق **نقفت** اي تبعت **اثارها** الباطلة **الابناء**
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون **بينته**
اي الحق الذي من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم
رسالته **نورا نهم** المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم
من اوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور
**والانجيل** المنزلة على عيسى صلى الله عليه وسلم من نجل الشي

انزاكم وفيتم حين خانوا
ام تراكم احسنتم اذ اساوا

بل تمادت على التجاهل ابا
تقفت اثارها الابنا

بينته نوراتهم والانا
جيل فيهم في جحودهم شركاء

لخرجه النبي لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز في الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة و
الانجيل ولا ينافي هذا جمع الناظم له لانه باعتبار افراده وهذا
من اعظم الادلة على نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه
وسلم على البينة الواضحة من امره لانه صرح بذلك على روس
اهل الكتابين ولم يخش ان احدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا
فاذ قد صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم
عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق
وهم يعلمون الحق يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون ومبشرا برسول من بعدى اسمه احمد فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به واخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق
ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب
اليه فقال له صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم يثرب
قال نعم قال انشدك الله بالذي انزل التوراة على موسى
اتجدني في التوراة قال انسب ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله احد الى اخرها
فقراها فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك
ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى
اي التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخاب في الاسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ولكن تعفو
وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا

لا اله

١٢٨

لا اله الا الله يفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج
البيهقي وابو نعيم عن كعب والبخاري عن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما انهما نقلا عن التوراة والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه
وفي التوراة تجلى الله من طور سيناء اي بتكليمه موسى عليه واشرق
من ساعير اسم جبل اي بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال
فاران اي جبال بني هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال
محمد صلى الله عليه وسلم منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره
باستعلن وفي الانجيل كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا
المحل وهم اي اليهود والنصارى في جحودهم اي ذلك الحق الذي
بينه كتاباهما وهو الانكار بعد العلم شركاء اي مشتركون
في لعنة الله عليهما ان شرطية تقولوا يا اهل الكتاب ما
نافية بينته اي التوراة والاناجيل اي الحق المذكور فما زالت
بها اي التوراة والاناجيل عن عيونهم عشوا بالمعجمة والمهملة
اي عن ابصارهم ظلمة مانعة لهم عن ابصارهم الحق من قولهم
ركب فلان العشوا اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة وقولهم
ركب متن عميا وخبط خبط عشوا وهي الناقة التي لا تبصر امامها
فهي تخبط بيدها كل شيء ففيه الاشارة للمثل المذكور والاستعارة
بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشواء بالظلمة
المذكورة والاستعارة التخييلية في اثبات الظلمة للعيون
والترشيحية في قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به او تقولوا
قد بينته كما هو الحق فما اي فاي شيء حصل للاذن اي لا لة سمعكم
حتى الغا عما تقولونه التوراة والاناجيل واسناد الفعل اليهما
فيه الاستعارتان السابقتان انفا وكذا في قوله الاتي في

او تقولوا قد بينته فما للاذن
عما تقولون مما

طعنهم الى اخره وقوله كساهم الى اخره صماء اى غير سامعة له سماع
قبول فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد عرفوه
اى الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم وانكروه بظواهرهم
كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه
الطباق وذلك نتيجة الالزام السابق وظلما مفعول لاجله كتمته
اى الحق المذكور الشهادة بدل اشتمال من كتمته اى كتمت الشهادة
به الشهداء الذين هم اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبى
صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا
ذلك راسا حسدا وعنادا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم
ليبقى ما ينالوه منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ
الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما قررنه الهجر
بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقية دينه مبلغ
روية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد
اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم
كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اى الشمس فاشهد
ومن ثم لم يكف قوله اعلم ا تكتمون ذلك وتظهرون الفاظ
ونور الاله اى الذى هو النبوة والرسالة والاله المعبود
بالحق تطفئه من طفئت النار اذ ذهبت حرها الافواه اى الالسنة
المنقولة بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع لا يكون ذلك
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون كيف يطفى ذلك النور الالهى وهو
الذى به يستضاء ظاهرا وباطنا اى يبصر الحق من الباطل
والصادق من الكاذب ا يستمرون على ضلالهم وادعائهم

عرفوه وانكروه وظلما كتمته الشهادة الشهداء

محقون

محقون وينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم ولا ينكرون من
طعننهم اى اهلكتهم برحاها اى اسلحتها عن امره الهيجاء
اى حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ذلك بل الذى ينبغى
لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم استمروا عليه
طعنهم صلى الله عليه وسلم برحا حربه كما طحن اباهم وابناهم
واهليهم بجلا بنى النضير الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل
كل احد منهم الا حمل بعير من غير سلاح وقتل بنى قريظة و
لشدة باسه وظهوره نصرته صلى الله عليه وسلم كساهم
ثوب الصغار اى الذل كضرب الرق على غير المقاتلين من بنى
قريظة استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما
يلائم المشبه وهو طلول دما وصبوت دما فالاولى ترشيحية
والثانية تجريدية والحال انه قد طلت اى دفعت دما
منهم كبنى قريظة وصبت دما منهم كبنى النضير والمراد
دما المسلمين لان الله تعالى جعل لهم الغلبة والدائرة
على اعدائهم واذا تقرر ايضا فاهل الكتابين بتلك القبائح
الشنيعة حق لهم ان يقال في حقهم كيف تهدى اى يوصل
الاله منهم قلوبا حشوها اى ملوها من بمعنى اللام المعدية
حبيبه صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله البغضاء اى شدة
البغض لحبيبه صلى الله عليه وسلم ويصح على بعد انها للتعليل
اى من اجله او البدل اى حشوها بغضه بدل حبه وفي هذه
الاستعارات السابقات ايضا خبرونا اى اعلمونا يا
اهل الكتابين التوراة والانجيل من اين استفهام انكاري

وكساهم ثوب الصغار وقد طلت دماء منهم وصينت دماء

كيف يهدى الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء

خبرونا اهل الكتابين من اين اتاكم تثليثكم والبداء

اتاكم تثليثكم اى ادّعاوكم معشر النصارى ان الله ثالث
ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن ابن لكم معشر اليهود
البداء بالموحدة والمهملة من بدا ظهر وهو كما بالى ظهور مصلحة
بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ اى لم ياتكم واحد
من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم
تنبيه حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ
البداء غير صحيح لغة من بدا بدوا ثم رده بان ابن دريد ذكره
قال التبريزى هو بالمد من قولهم بدا لى فى الامر اى تغيروا
بى عما كان فيه ونقله الزركشى عن صاحب المحكم عن سيبويه
وقال السهيلى الاسم البدا ولا يقال فى المصدر ومن احل
ان البداء والظهور كان البدء فى وصف البارى سبحانه
وتعالى محالا لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه وقد يجى بدا بمعنى
اراد كما فى حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم
اى اراد الله لا ظهر لانه كفر كما يا الى ما اتى بالعقيدتين المذكورتين
كتاب من كتب الله تعالى ابدا واعتقاد وهو جزم الذهن
بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر كاعتقادنا فصحيح
والا كاعتقادهم فباطل لا نص فيه اى فى اثباته وعبر بالنص
وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن
الاحتمالات العشر المفرزة فى محلها دون الدليل الاعم من ذلك
لان الاعتقاديات لا يكفى فيها الظنى ادعا اى باطل لانه تقرع
فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم العقل القطعى فالاعتقاد
المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه
وجب تاويل النص اليه كايات الصفات واحاديثها اذ ظاهرها

محال



محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتاويلها بما يوافق العقل
وانكر جمع متاخرون من الحنابلة تاويلها لزللهم باعتقاد
ظواهرها من التجسيم او الجهة واطالوا فى ذلك لما كان سببا
لمحقهم وسحقهم فى الدنيا والاخرة والدعاوى التى تقولون
لها معشر اليهود بفتح الواو وكسرها لا للتنادى ما مصدرية
ظرفية لم تقيموا عليها بينات اى ادلة قطعية لان الكلام
فى الاعتقاديات ومن لا يفيد فيها الظن ابناؤها ادعيا
اى باطلة والدعى فى الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب
ومن يتبناه الانسان ولسن بابن له وان عرف لنسبه شبه
دعاويهم بوطى الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاستعداد
بما يبتنا عنه لانه ناشئ عن اصل فاسد وهذا استعارة
بالكناية ثم تخييل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذى
هو وطى الزنا وهم الابنا الدين هم نتيجته ورشح لها بذكر
الادعيا المناسب للمشبه به وبين الادعا والادعيا
والدعاوى تجنيس الاشتقاق وشبهه كخلطوها والخلطا
والصفات ووصفه الاتيان وفى النظم القياس الاقترانى
المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول
فالاولى الاعتقاد الذى لا نص فيه دعوى والثانية الدعوى
بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذى لا نص فيه باطل تنبيه
فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية وملكانية
ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد اشار الناظم رحمه الله تعالى
للبحث مع الكل والرد عليهم جميعا واكثر الكلام مع القايلين
بالتثليث لانهم اكثروا اشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر فى

قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الاية
ليت حرف تمن شعري اي علمي اي ليتني علمت ما تقولونه
انضباطا حتى اتكلم معكم في رده بابلغ مما هنا وهو ذكر الثلاثة
الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن
وروح القدس و ذكر الواحد الصادر منكم تارة اخرى
حيث ادعيتم توحيده نقص في عدكم ام نماء اي زيادة حيث
ذكرتم التثليث لان ذكركم نقصا لا يصدر عن عاقل لانكم تارة
تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال
متعجبا منهم كيف وحدتم ايها القايلون بالتثليث
الها نفي التوحيد عنه الآبا والابناء اللذان اثبتوهما
في دعواكم التثليث ا يمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة
اجزا او اقل او اكثر لا لانا ما سمعنا باله لذاته اجزا وجزا
اي بوجود اله كذلك بل ولا نعقلناه لانه مما يحيله العقل
بالبديهة كما ان الها يحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع
المذكور في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيان
احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزا ومتعدد قيل
لهم الكل منهم نصيب اي جزء من الملك فان قالوا نعم قيل
لهم تفصلا وفي نسخة فلم لا وحذفت الف ما الاستفهامية
لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون تميز بالبنا للمفعول
الانصباء اي نصيب كل من الالهة حتى يكون ذلك التمييز
دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة
والواحد والنقص والنماء جناس التقابل كالحاجة والاضطرار
والامانة والاحيا الاتيان فان قالوا الكل او نصيبا لكن

خلطوها



خلطوها قيل لهم اترامهم اي اتطيعهم لحاجة اي احتياج
واضطرار وهو شدة الحاجة الى الشيء بحيث لا يجد مندوحة
عنه خلطوها خلطا يمنع تمييزها فان قالوا نعم قلنا لهم الاله
لا يحتاج ولا يضطر لشيء مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فاحتياجه
واضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته فان قالوا خلطوها
لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا ايتصور وجود شركة دائمة بين شريكين
فاكثر و الحال انه ما نافية بغى اي ظلم الخلطا اي الشركا اي بعضهم
على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة دائمة بين شريكين
وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم
المشاهد لانهما ان استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما
وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب
فيلزم ان لا ينتظم نظام هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة
وعدم التمييز واحتمال توافقهما دائما الذي يجوزه العقل
لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة القرانية
والمسالك العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم
فيه بل الزم قايله الكفر بعض المتاخرين واف فيه لكنه الزام
باطل كما هو جلي وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان
لان كل من عرفها حكم ان شريكين في الايجاد والامداد لا يتصور
دوامهما على الموافقة لان من شان النفس ان لا تريد بقا شريك
معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على احكم وجوه
الاتقان واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء
الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد
من وجه اخر وبيانه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يركب

الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وحينئذ يقال لهم ا تقولون في حال
ركوب عيسى الحمار هو اي الاله الراكب الحمار فان قلتم انه هو
فركوبه يستدعي حدوثه وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله
لا يكون عاجزا ولا حادثا وما زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه
وحينئذ فيا عجز اله تعجب من دعواهم المستلزمة ذلك
يمسه الاعياء اي التعب ام متصلة لمعادلتها للهمزة
تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة جميع على الحمار فيقال
لكم لقد جل حينئذ حمار يجمعهم اي الالهة اي مجموعهم مشاء
صيغة مبالغة من مشى وفيه انه يحتاج الى ان يمشى به حمار فالجملة
الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما فيها ام متصلة
لمعادلتها للهمزة تقولون سواهم اي الثلاثة الذين على الحمار
مع الاله فبسبب ذلك ما استفهامية نسبة عيسى اليه
خبر نسبة والانتما هو الانتساب فهو عطف مرادف اي اخبروني
عن انتماء عيسى عليه الصلاة والسلام وانتسابه الى الاله حينئذ
هل يوجب التثليث الذي زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه
بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجز اله وما بعده تذييل متكرر
ام متصل كذلك اردتم بها اي بالثلاثة الذين زعمتم انها الهة
الصفات القايمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زايد
على الذات فلم مر آنفا الكلام عليها خصت ثلاثة بالصرف
للوزن بوصفه اي الاله وثناء بضم اوله معدول عن ثلاث
ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا لتيسر ذلك التكرير بل نفس الثلاث
فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر
الى الاله بالحقيقة والاله بالبنوة فان الاول واحد فقط والثاني

اثنان

اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر في اثنين ولا في ثلاث
فادعا التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل لم تقولون
هو اي عيسى صلى الله عليه وسلم ابن الاله فيقال لكم اختص
عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه ما نافيه شاركه
في معاني البنوة الانبياء بل عيسى وبقية الانبيا عليهم الصلاة
والسلام في ذلك على حد سوا فادعا البنوة لعيسى عليه الصلاة
والسلام تحكم باطل ايضا قتله اي عيسى عليه الصلاة
والسلام اليهود اي حال كون قتلهم له انما هو بنا اي في القول
الذي زعمتم معشر النصارى والزعم اصله وموضوعه قول
كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل
بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هاني للنبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امي اي علي كرم الله وجهه انه قاتل
من اجرته فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت
يا ام هاني وكيف يزعمون ذلك والحال انه لاموا تكم به اي بسبب
عيسى عليه الصلاة والسلام احياء وهو رد الروح الى الجسد
بعد مفارقتها له لانه اذا كان فيكم يحيي الموتى فكيف يحيي الموتى
ويمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود في ذلك شاهد صدق
على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت لانكم تقفون
في اثنا فقر القريح ولا تنتبهون له وعلى كل حالة ان قولا
مما حكي عنكم كقولكم بالتثليث اطلقتموه على الله تعالى
عما تقولون انتم وامثالكم علوا كبيرا ذكرا اي ثناء وتعظيما
له في قولكم الله ثالث ثلاثة لقول هذاء بضم الهاء من هزاه
الكلام اذا اكثر في الخطا وفي نسخة بالزاي من قولهم هزو بالتسكين

ای مهزوءا به وبالتحريك لهزوءا بالناس ويصح ان ذكرا تمييز عن تعالى
ای تعالى ذكره وهذا من البديع الجامع مثل يجوز نصبه حالا ای
لقول هزوا حالا كونه مثلا او نعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر
مبتدا محذوف ای هو مثل ما قالت اليهود ای قولهم بالبدا
فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين
وكل من الفريقين لزمته ای لزمت دعواه مقالة شنعاء
ای قبيحة جدا اذ هم استنقفوا البدا ای تتبعوه حتى قالوا
ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سماعا على الله تعالى
نسخ ملة جملة لانه يوهم البدا وهو ظهور له بعد خفائها
حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم
من جوزه عقلا ومنعه شرعا واما قول بعض المسلمين الحكم
الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون نسخها ممنوع بل هو نسخ
وحينئذ فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة نبينا صلى
الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا
في شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام هل هي ناسخة
لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام او مخصصة والاظهر
انها مخصصة لا ناسخة لقوله تعالى ولاحل لكم بعض الذي حرم
عليكم قال الامام في تفسيره روي ان الرسل عليهم الصلاة
والسلام تبقى بعد موسى صلى الله عليه وسلم كلهم على شريعته
الا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام تنبيه ذكر
الامام ايضا في المطالب العالية في الحكمة في نسخ الشرائع
كلها حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا
ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته

ابدا





ابدا ومجامع هذه الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله
تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لا تعرف الانتفاع
بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه
ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت
كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها
لما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا
تغيرت تلك الطريق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو
رعاية احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان
الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصورة الظواهر
الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة
من الشيء فوضع في عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا
في ادائها واعظم حكمة اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم
فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته صلى الله عليه وسلم
لا ناسخ لها ومن حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد
كطبيب يامر بدواء في يوم وباخر في يوم ثان وهكذا بحسب
المصلحة وان كان الثاني اثقل تنبيه لخرما زعمه اليهود
ان النسخ الذي يستلزم البدا باطل لما تقرر ان المصالح
الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين او الازمنة وذلك
لا يستلزم بدا ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شيء بعد ان لم يكن
وزعموا اليهود انه يستلزمه فزعموا النسخ وزعم كفرة الرافضة
انه يجوز البدا عليه لوقوع النسخ منه وهذا غلط في
الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن
فيستحيل النهي عنه او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ

محال على التقديرين وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين
باطلان وبتسليمهما فالعقل القارى قاطع بان الفعل
قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت اخر وكذا بالنظر
للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق اخر
ولا مانع ان علمه تعالى بان حكمة كذا تنتهي بوقت او فعل كذا
قالوا السمع يمنع النسخ ايضا لان اللفظ الدال على شرع
موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يدل على الدوام فان ضم
اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى
في العلم به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا
ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه
انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر
بل قيل انهم لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما
يراد به الزمن الطويل كما في التوراة في صور كثيرة وكم مرات
كثيرة ساقو بالا اي عذابا اليهم اشتقنا وفي هذين كقالة
ومقالة السابقتين جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر
في المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وخالفوهم و
خالفوهم الجناس المضارع لقرب المخرج والتصحيف وقوله
وكم الى اخره من التذييل البديع واراهم اي اعلم الهم
لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا
اي يعتقدوا الواحد في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك
بوجه ما القهار في الخلق اي للخلق على نفوذ ما اراده فيهم
ويصح تعلقه بها على انه على حالها فاعلا ما يشا لان امتناع
النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه جوزوا النسخ جواب لو

الاية



الاية تجوزا مثلما مقتدرينه جوزوا المسخ عليهم لو انهم
فقهاء اي فهما ولانهم لهذا ذما فرقة من الفرق ابلد منهم
والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس
الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء
حكم شرعي بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج
نحو الاستثناء ورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا
يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد اي لو ثبت انهم فقهاء
لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة
وزعمهم البدا باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه
ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الى اقبح
منها في كثير منهم في زمن موسى عليه الصلاة والسلام لما
خالفوا في السبت فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير كما قصه
علينا في كتابه العزيز وكيف يمنعون النسخ وهو ليس فيه
الا ان يرفع الحكم الشرعي اي استمراره وتعلقه فعلم ان المراد
بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفيه لكن من حيث
دوامه بمعنى تقرره لا ذاته التي هي خطاب الله تعالى المتعلق
بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه قديم
وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل
ولا الى بدل فان كان الى بدل تقيد في الحكم بالحكم الشرعي وان
كان لا الى بدل لم يرد ذلك وخلق اي ايجاد فيه اي المسخ للصورة
الثانية بعد ذهاب الصورة الاولى وامر اي تصرف برفع
الحكم الاول وايجاد الثاني سواء لما تقرر ان المسخ فيه
رفع الصورة الاولى وخلقها الصورة الثانية والنسخ فيه

رفع الحكم الاول وخلفه الحكم الثاني فاذا جوزتم فلزمكم ان تجوزوا
الثاني والا فانتم سفها معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون
النسخ وانما غايته ان كان لبدل اذ فيه حكمين المنسوخ وهو المراد
بقوله **والحكم من الزمان انتهاء** والناسخ وهو المراد بقوله
**والحكم من الزمان ابتداء** ولا ينافي هذا تفسيره النسخ بالرفع
لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف او دوامه وهو الانتها
المذكور هنا وقول الشارح انه اشارة الى التفسيرين في النسخ
غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تاويلها بالتعبير
بما قلنا كما هو المقرر في محله فتامله وعلى كل فجواز النسخ اولى
من جواز المسخ لان ذاك في الاحكام وهذا في الذوات سواء
جعلنا النسخ رفعا ام بيانا وسوا جعلنا المسخ في صورهم
حتى صارت اقاربهم من المومنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم
اذ يجي القرد الى قريبه ويمسح به وتدمع عيناه فيقول له الم
ننهكم عن المخالفة فيشير اليه براسه ان نعم او في قلوبهم فقط
على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح
وبين ابتدا وانتها طباق واذا اردت ان تبالغ ايها المسلمون للمبالغة
في ادحاض حجتهم **فسلوهم** قايلين لهم **الان في مسخهم**
الذي عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اي جعلهم قردة
في الصورة كما هو المشهور او في قلوبهم وجعلها كالقلوب
القردة لا تقبل هداية مع بقاء ذوات لهم على ما زعمه
**نسخ لايات الله** وهي الصورة الاولى مع احكامها
او للادراك الاول بناء على قول مجاهد **ام انشاء** لايجاد
صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها او لادراك كذلك

فان



فان قالوا بالاول فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة او بالثاني
فهو مكابرة للحس ولجواز ان النسخ متردد بين انشا الخلق وبين
النسخ لانه بالنسبة الى الصورة الاولى نسخ وبالنسبة
الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشا لا يقال
قد لا يعترفون بطرو التغير على قلوبهم بنا على قول مجاهد لانهم
اعترفوا به في قولهم قلوبنا غلف اي مغطاة باغشية خاصة
لا يصل اليها ما جئت به **وبداء** بالمد وسبق معناه وهو مبتدا
خبره **في قولهم** الثابت عنهم وتقولهم **لعدم الله على خلق ادم ام
خطا** المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو
عطف على بداء اي سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم ام عن
خطا منهم فان قالوا عن قصد كان عين البدا الذي انكروه لانه
يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون
النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البدا هذا تناقض قبيح
وان قالوا انه خطا منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم
وانهم في غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف
بالبداء لا بالخطا فانتفى بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا
من البدا وسالوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس
ورد القران على طبقه فقولوا لهم **اعلامة الليل والنهار**
كل منهما باقية فلا تزول احداهما بالاخرى **ام محاها** اي اذهب
**الله اية** اي علامة **الليل** اسم جنس جمعي واحده ليلة كتمر
وتمرة واتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيامة **ذكرا** بضم
الذال تمييزا اي من جهة الذكر والعلم والتعهد **بعد سهو**
**ليوجد الامساء** اي الدخول في المسا وهو ما بعد الزوال

والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب اي سلومهم اهل هذا المحو والمنع لم لا
ويفرض وقوعه فهل هو عن عمد لغير سهوا وعن سهوا ابتدا فان قالوا
بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثاني من الترديد
الاول فقد كابروا الحس او من الترديد الثاني لزمهم القول
بالبدا لان من يجوز السهو يجوز البدا لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ
حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار في غير
ما اية فقال تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات
وقال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف
احدهما الاخر لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال تعالى وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين
والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضي دوام اشيا بلا تبدل
ولا تغير تقتضي تبدلها وتغيرها وفي ذكر ابعد سهو جناس
النظاير لحرم والتحليل وجحدوا او من الاتيان امر به الاله
في ذبح اسحاق حيث امر به ثم نسخه والحال انه قد كان الامر
فيه اي بذبحه من الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله عليه
وسلم في النوم مضاء اي ماضيا نافذ وفي نسخة قضا بالقاف
اي وحتم وذلك لان رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وحي اي سلوهم عما وقع للخليل عليه الصلاة والسلام انه
امر بذبح ولده امرا جازما ثم عند ارادته له لما اضجعه
على جنبه نسخه الله تعالى فامره الله بتركه وفداه بذبح
عظيم وما يقال من ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر بالسكين
عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصاص فكله
لم يثبت فيه شي فان قالوا ان الامر بالفدا وترك الذبح نسخ

للامر

٦

للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل
المفرط والغباوة الشنيعة تنبيه ما جرى عليه الناظم
ان الذبيح اسحاق هو ما عليه الاكثرون وقد اجمع عليه
اهل الكتابين لكن سياق الاية والمشاهد بان اسماعيل
٢ هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسماعيل حج ولا اتى
تلك الاماكن فاصبان بانه اسماعيل وهو التحقيق كيف وقد
صح ما يصرح بذلك روى الحاكم في المستدرك ان الصنابحي
قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله تعالى عنه فتذاكر القوم هل
اسماعيل واسحاق ابني ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فقال بعضهم
الذبيح اسماعيل وقال بعضهم الذبيح اسحاق فقال معاوية سقطتم
على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال
له يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والما يابسا وضاع العيال
فعد علي مما افا الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا امير المومنين وما
الذبيحان قال ان عبد المطلب لما امر اي في المنام بحفر زمزم
نذر لله ان سهل الله له امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم
فاسهم اي اقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه
فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك
ففداه بماية ناقة فهو الذبيح الاول واسماعيل الذبيح
الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في تفسيرهما
وسلوهم ايضا فقالوا لهم استنكرون النسخ وتقولون
ما حرم الله الاخت بعد التحليل في زمن ادم صلى الله
عليه وسلم او تقولون حرمة بعد ان حلله وعليه فهو اي

قوله ارضى بحرفة قطع في ارضى وبوصلها في وافد ابنك

نكاحهما الزنا موجب للرجم ومدة الزنا لغة فان قالوا حرمها بعد ان
احلها فهذا صريح في النسخ الذي انكروه وان قالوا لم يحرمها فهو
عناد محض وقايله لا يخاطب ولا يكالم واذا بان لك قبح جهلهم
وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم ولا تكذب ان اليهود
والحال انهم قد زاغوا اي مالوا عن الحق من وجوه عديدة سفها
وحسدا معشر اي قوم لوما جمع لئيم وهو دني الاصل الشحيح
النفس جحدوا بدل من زاغوا المصطفى اي المختار من الصفوة
او المصطفى من كل نقص اي انكروا نبوته ورسالته صلى
الله عليه وسلم بعد علمهم بها علما يقينا قال تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم والحال انه قد امن بالطاغوت
اي الشيطان وكلما عبد من دون الله او صد عن عبادته
فعلوت من الطغيان قوم هم عندهم شرفا هذا كالذي قبله
بيان لعظيم لومهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من
الشمس واقروا امنا من بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم
مع ذلك من ظرفا بهم ثم ظاهر النظم ان المومن بالطاغوت
فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم امنوا به كما يصرح به
قوله تعالى عرفا بلا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
قال المفسرون هم اليهود يومنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا من اشرافهم او من كفار العرب هولا
اهدى من الذين امنوا سبيلا وعجيب من الشارح كيف
اخذ النظم على ظاهره واستدل له بالاية انها انما تدل على
الكل لا على البعض ويصح ان المراد وامن بالطاغوت قوم من
قريش هم عندهم شرفا ومعنى الاية حينيذ ويقولون اي

اليهود

لا تكذب ان اليهود وقد زاغوا
عن الحق معشر لوما
جحدوا المصطفى وامن بالطاغوت
قوم هم عندهم شرفا



اليهود للذين كفروا اي من كفار العرب على هذا ان حيي بن اخطب لما ذهب
لقريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه
اشراف من اليهود سالوهم انحن خير دينا ام محمد قالوا انتم فقرحوا
وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم تنبيه جعل الواو للحال
لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الاتي اولى من قول
الشارح انها عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجهل
بعات اي لما قررته فيه انه مدحهم بالمومنين بالطاغوت
مع جحدهم نبينا صلى الله عليه وسلم فيه غاية الغباوة واللوم
واحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على
الاخرى ان يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة زيد يكتب
ويشعر وقد يقال في النظم دلالة لما فعله الشارح لانه اتى
باربع جمل ثنتين بالواو وثنتين بدونها ونظر المناسبة المعتبرة
في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم نبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ما مر وكذلك اتخاذهم
العجل مع قتلهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام واما
قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف
عليه قوله قتلوا بدل بعد بدل او عطف بحذف حرفه
بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله الانبياء كزكريا ويحيى
وغيرهما جا انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم اقاموا
سوق بقلهم ومعاشهم واتخذوا العجل الها ومعبودا
مع ان السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي
استعاروه من القبط قبل غرقهم والقي فيه قبضة من تراب
اخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جابه لفرعون حتى دخل

ورابهم البحر لما الغرق لهم لانه كان اجمع عن دخوله فبمجرد ان
التي فيه القبضة خور فقال هذا الهكم واله موسى
فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها
ومعبودا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في القران
ومن ثم كان في كلامه اقتباس لقوله الا حرف تنبيه
لاستفراغ وسع السامع في الناسمعه لما بعدها انهم هم
السفهاء ولكن لا يشعرون الاية ولكن لا يعلمون فجهلهم
مركب فاالسفه ولا اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد
نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة راى
وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا
يحضر لقفر من جماد والاله لا يكون كذلك عند من له
ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم بقوله
ملتحيا لما وقع لهم وسفيه خبر مقدم او مبتدا وسوغ الابتداء
به وقوعه بيانا لما قبله كما تقرر من ساه اي احزنه المن
وهو نوع من الحلوى يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم في
التيه في غاية الاضطرار والسلوى وهو السماني طير من
اشهى الطيور لحما وانفعها واطيبها غذا كان ياتيهم الى
محالهم فرقا فرقا ليمد وابديهم وياخذوا منهم ما شاوا
وارضاه الفوم اي الثوم كما قرى به وقيل الحنطة وهو بعيد
من السياق لان الحنطة ليست من الادنى والقثاء بل
سال فيهما وفي نظايرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر
انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها

وقثاها

وقثايها وفومها وعدسها وبصلها قال استبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير وفي كلامه اقتباس وطباق بين ساه
وارضاه ومراعاة النظير في المن والسلوى والفوم والقثا
مليت بالخبيث وهو ما سالوه من الفوم وما بعده منهم
صفة تقدمت فصارت حالا بطون لبناسب ما انطوت
عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة او المراد
مليت بطونهم بالداء الخبيث اي العضال الذي لا دواء
له وهو الغل وما بعده والى هذا يرشد ما رتبه عليه بقوله
فهي نار اي مشتملة على ما يودي الى النار او سماها نارا باعتبار
الحال كما في اراني اعصر خمرا طباقها اي النار الا امعا اي المصارين
اي معا فوقه نار ثم معا ثم نار وهكذا الى الاول يرشد
قوله مليت بالخبيث المشعر بان بطونهم صارت به كنار
ذات طباق فطباقها هي امعا وهم النجسة ويصح ان المراد
بطونهم صارت كنار طباق بعضها فوق بعض فطباقها
امعاوهم اذ الخبيث الذي مليت به بطونهم هو نحو الربا
والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها
فوق بعض وايضا الخبيث بعضه اشد عذابا من بعض
فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى اكلهم
واكتسابهم هذا على الاصح عندنا في الاصول انهم مخاطبون
بفروع الشريعة يعاقبون عليها بخصوصها في الاخرة
وعلى مقابله هم كفروا من وجوه بعضها اشد من بعض
لو شرطية اريدوا في حال سبت مصدر سبتت اليهود
اي عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة واصل

السبت القطع بخبر الباء الزائدة للتاكيد كما هو راى جماعة وكل
من الطرفين متعلق باريد واعلى ان الثاني مفعول ويصح
كون الاول حالا من خيرا اى لو اراد الله لليهود في حال
سبتهم الذى فرض عليهم تعظيمه خيرا كان سبتنا
لديهم اى عندهم الاربعاء بتثليث الباء هذا من حيث
ترتبه على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من لو
في غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك اذ لم يتنبه
له وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله والسبت
اخر الاسبوع والاربعا رابعه وقيل السبت اوله والاربعا
خامسه وقد يقال كان الناظم نظر الى ان السبت القطع
كما مر والى ان الاربعا محل النور الحسي لما ياتى ان الله
خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوى الذي هو
الوصل فكانه يقول لو اريد بهم الخير لجعل قطعهم
وصلا ولا ينافي ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار
انه لو اريد بهم تمام الخير جعل محل عبادتهم موذنا بوصلهم
الذى من شانه ان ينشا عن العبادة واما اذا جعل محل
عبادتهم موذنا بقطعهم باعتبار اصل مدلوله فهذا مما
يوذن بنقصهم وانه لم يرد به كمال الخير ومما يوضح هذا ان
الله ادخر لهذه الامة يوم الجمعة الموذن بغاية الوصل
اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذى هو اكمل المقامات
وافضلها وجعل لليهود السبت الموذن بقطعهم وحرما
نهم وللنصارى الاحد الموذن بوحدتهم وتفردهم عن
مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما خصت به كل

امة

امة من الايام دليلا على احوالها ومما يوول اليه امرها فنبه
الناظم رحمه الله تعالى على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة
الربانية زيادة في مدح هذه الامة وذم غيرهم او يقال
ان الناظم اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام
كلها سبتنا عندهم ليجيزها جميعا بالعبادة واما تخصيص
يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع فهي من جملة ما اريد
لهم من خلاف الخير وعلى هذا مع ما فيه من البعد والتكلف
يكون معنى حال سبتهم ذكر شانه ويكون ذكر الاربعا للمثال
لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الى اخره رجوعا الى مدح ما شرع
لهم ولا ينافي ما قبله لان بركته لا تنافي ان تعطيلهم عن
العبادة بقية الاسبوع غير خير واعلم ان قول الشارح
والسبت الى اخره عجيب منه اذ ما حكاه بقيل هو الذى صح به
الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة واصلها
ونقله في شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي
في روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له
في شرح المهذب بخبر مسلم عن ابى هريرة قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم
السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم
الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا
وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من
يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من النهار فيما بين
العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسنوى كالسهيلي
وابن عساكر ان اوله السبت وجرى النووى في موضع على

ما يقتضي ان اوله الاحد فقال في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني
الايام الا ان يجاب بانه جرى في توجيه التسمية المكتفي
فيه بادنى مناسبة على القول الضعيف نعم انتصر لكون
اوله الاحد الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر
السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحفاظ علي بن المديني
والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة
انما سمعه منه ولكن اشتبه عليه بعض الرواة فجعله
مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه
والثقة لا يرد حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك اعرض مسلم
عما قاله اولئك واعتمد الرفع واخرج طريقه في صحيحه فوجب
قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت
بما حاصله ان ما يبدا ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا
العالم خلق في ستة ايام وادم خلق يوم الجمعة انما يصح
بتقدير ان يوم الجمعة داخل في الستة التي فيها خلق
العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشيا
وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت انه
خلق اخر الايام وانما اخبر الله تعالى انه خلق العالم في ستة
ايام فاخرها الخميس وخلق ادم بعد الفراغ من خلقها اشارة
لكونها خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور
ظاهر في ذلك ويويده ايضا الخبر الصحيح ان الله هدانا ليوم
الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى اي لان اليهود لما اعتقدوا
ان اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا السابع
وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا

الاحد

الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع
وهو الجمعة قال ولا حجة في اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا
لان التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود صنعوها
على قاعدة مذهبهم فاخذتها العرب عنهم ولم يرد في القران الا الجمعة
والسبت وليس من اسما العدد اشتقى على ان هذه التسمية لو ثبتت
لم يكن فيها دليل لان العرب تسمي خامس الورد رابعا وهكذا وهذا
هو الذي اخذ منه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله
الذي كاد ان ينفرد به ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم
وتاسوعا ثامنه وهكذا **هو** اي يوم السبت **يوم مبارك**
لان الله ابتدا فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود
انه ابتداه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم
السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه
وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى
عليهم بقوله عز قايلا وما مسنا من لغوب اي تعب تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر
للغير في الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك انما امرنا
لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي يوجد فورا فلا يتخلف
عن الارادة فقوله كن كناية عن ذلك **قيل** بناه للمجهول
لضيق النظم فلا يتوهم انه قول ضعيف **للتصريف** اي للتصرف
فيه ببيع او نحوه **من اليهود اعتداء** اي ظلم وعدوان كان سببا
لمسخ كثير منهم قردة وخنازير وذلك انهم لما امروا ان
يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس في زمن داوود صلى الله عليه
وسلم اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على

جانب البحر فابتلاهم الله بان الهم السمك يوم السبت انه ما
يبقى حوت في البحر الا وزفع خرطومه او خرج فاذا مضى
السبت تفرق السمك ونفر فاجمع راي جماعة منهم على حيلة
يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد يوم السبت
تحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيه جدا و لا
من البحر فصارت تمتلي من يوم السبت وياخذونه يوم الاحد
فشووا واكلوا فشم جيرانهم فسالوهم فاخبروهم بالحيلة
فقال ان الله معذبكم فلما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم
جماعة حتى صاروا قدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم
الثلث الباقي فبنوا بينهم حائطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث
الاول قردة وخنازير وكذلك الثاني على خلاف فيه اى لان الاية
فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس لا ادري ما فعل بالثالثة
نجاها ام مسخها كذلك قال مالك في هذا تحريم الحيلة و
سد الذرايع انتهى ويرد بان المقرر في الاصول ان شرع
من قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد في شرعنا ما يوافقه بالدليل
هو شرعنا لا غيره فبظلم متعلق بعدتهم منهم وهو وضع
الشي في غير محله كحيلتهم في السبت واكلهم الربا واخذهم اموال
الناس بالباطل وكفر من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به
عذلهم اى فاتتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم
وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات الاية ومن شان الطيبات انه يوجد في تركهن
الذي تحتم الامر به ابتلاء اي اختبار ومحنة للعبد يكون
سببا لفلاحه او هلاكه خدعوا اي يهود المدينة وما

قرب



قرب منها بدل من زاعوا لكن ذا علم وهذا خاص لتقييده
بالظرف بعده بالمنافقين من الاوس والخزرج الذين قهرهم
الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم
على كفرهم باطنا وكان هوى هولا مع اليهود لانهم مثلهم
باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار
اليهود هم الذين يتعنتون على النبي صلى الله عليه وسلم
فينزل القران مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم اخرى
ومنبها على احوال المنافقين الذين هم معهم باطنا اخرى
ومعنى كونهم خدعوا انهم اربابهم المكر وه من
حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيتخدعون لهم لغباوتهم
و سفاهتهم وهل ينفق الا على السفيه الشقاء اى
وما ينفق الشقا الا على المنافقين السفها وهم اليهود
لا غير شبه الشقا الحاصل لهم بدراهم تصرف وتخرج
في الشر فهي استعارة بالكناية واثبت لها ما هو من لوازم
المشبه به وهو الانفاق تخييلا وجعل الشارح ينفق من
النفاق اى الرواج فعليه شبه بالسلعة المعروضة على
للبيع واثبت لها النفاق تخييلا ورشحا وجرد بذكر
السفه الملايم للمشبه او المشبه به واطمانوا في زعمهم
مما كانوا يتلقون من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب
قول الاحزاب اى طوايف اهل مكة ومن كان معهم من قبايل
العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة
احد لاخوانهم في الكفر لهم انا لكم اولياء اى متوالون ومتفقون

على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم
اللعين حيي بن اخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم
وقالوا نكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقهم ثم ذهبوا
لغطفان ثم ذكروا لهم ذلك فوافقهم فخرجت قريش وقائدها
ابو سفيان رضي الله تعالى عنه وغطفان ومن معهم من اهل
نجد وقائدها عيينة بن حصن فاجتمعوا في عشرة الاف
ذا اليهود فتطمعون بانهم بذلك يستاصلون المسلمين
فلما سمع محمد صلى الله عليه وسلم اشار سلمان بحفر الخندق
لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم
هو واصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم في ثلاثة
الاف فمكثوا نحو العشرين يوما او خمسة عشر وهو الاشهر
لا قتال بينهم الا الرمي بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء
نعيم بن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اني
اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فامره صلى الله
عليه وسلم بان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب خدعة
فذهب الى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية فحسن لهم
التخلف عن معونة قريش الى ان ياخذوا منهم رهنا وخوفهم
على اموالهم واولادهم فقالوا اشرت بالراي ثم ذهب
للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وانهم ندموا على
ذلك وارسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فارسلوا
رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك فاعتقدوا واصدق نعيم
واختل عزمهم فخذلهم الله تعالى وارسل عليهم ريحا في ليلة
شديدة البرد فاكفات قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم تخاذلهم وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم
لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر ماذا يفعل القوم ولا تحدثن
حتى تاتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول لينظر الرجل
منكم من جليسه قال حذيفة فاخذت بيد من بجنبي فقلت من
انت قال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر
قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا
بنوا قريظة ثم امرهم بالرحيل فارتحل قال حذيفة ولولا عهد
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تحدث شيئا لقتلته بينهم
ثم سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا ايضا فلما اصبح
صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال صلى الله عليه
وسلم لا يغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم
وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل عليه السلام
معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج
وفي رواية البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما وضع السلاح
اغتسل فاتاه جبريل عليه السلام فقال قد وضعت
السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم بني قريظة فاني عامد
اليهم ومزلزل بهم وفي رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله
لادقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم
مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة الاف مقاتل
وستة وثلاثون فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة
عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم
الاسلام وحلف لهم انه نبي مرسل وانه الذي يجدونه
في كتابهم فابوا فقال الليلة السبت فلعلهم امنوا فانزلوا

لعلكم تصيبون منهم فقالوا نفسد سبتنا وتحدث فيه ما لم يحدث
فيه من قبلنا الامر علمت فاصابوه به ما لم يخف عليك من المسخ
ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم
فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم النبي صلى الله عليه
وسلم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم
فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي
حكم به من فوق سبعة ارقعة فامر صلى الله عليه وسلم ومعه
اصحابه ولخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين
ستماية مائة الى سبعماية ولا تنافيه الرواية الصحيحة انهم
كانوا اربعماية مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم ان
**خالفوهم** اي اليهود اي عاهدوهم مع الايمان المغلظة
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وخالفوهم** في ذلك
فخلوا عنهم واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم
**ولم ادر لما ذا تخالف الحلفا** واراد بنفي الدراية على طريقة
تجاهل العارف اغرا للسامع على البحث عن سبب ذلك
وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق
كلمتهم واستيصال شافتهم تنبيه تجاهل العارف
سماه السكاكي سوق المعلوم سياق غيره وهو سؤال المتكلم
عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار والتوبيخ كما هنا او التقرير
نحو وما تلك بيمينك يا موسى **اسلموهم** اي المنافقون عبد الله
ابن ابي واصحابه اليهود المسمين بني النضير **لاول الحشر**
المقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم

حصونهم



حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين اي في اول
الحشر واجلايهم من جزيرة العرب الى الشام او من محلهم الى محل
اخر وانما كان اولا لانهم لم تصبهم قبل نظير ذلك او في اول
حشرهم الى القتال لما ياتي في قصتهم انهم عزموا على القتال
ففشلوا والقى الله الرعب في قلوبهم واخر حشرهم اجلا عمر
لمن بخيبر من هولا ومن اهلها الى الشام او في اول حشر الناس
الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس
للاقامة بها وعليه فاخر حشرهم لها عند قيام الساعة
لانها ارض المحشر **لا ميعادهم** اي المنافقين لليهود انهم
ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم **صادق** لانهم سولوا
لهم قتالهم ونصرهم بعينهم ونصرهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الايلاء**
اي الحلف منهم لهم صادق ايضا **سكن الرعب** اي هيبة النبي
صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم
**والغراب** الاتي لدورهم **قلوبا** من اليهود المحصورين وغيرهم
من اهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول **وبيوتا منهم** راجع
للثاني ففيه لف ونشر مرتب **نعاها** اي اخبر تلك البيوت
بموت اهلها المعنوي من نعاه له نعوا ونعيا ونعيانا
اخبر بموته **الجلاء** اي خروجهم من ديارهم شبهه في كونه
معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبهة بالموت بانسان
مخبر بما ينفع ويضر فهي استعارة بالكناية وذكر النعي
الملايم المشبه به استعارة تخييلية وعجبت من الشارح
حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين

المذكورتين بل فيهما استعارة ثالثة كما اشرت اليهما بقولي المشبه بالموت
وظاهر النظم ان واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار
اليها بقوله السابق واطانوا الى الاخره وهو ما اوهمه كلام بعض
اهل السير لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب
واما بنوا النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كانوا من اعظم
الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم فانه كان من
روسهم حيي بن اخطب واضرابه وهو الذي حسن لبني قريظة
الغدر وهو افقد الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف
يصير السابق لا خفا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة
بني النضير انه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في دية
قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم
تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار من
لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرة
ليستريحوا منه فنهاهم بعض وقال والله ليخبرن بما
هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما صعد
الرجل لذلك اخبره صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا
انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا
الى المدينة فطلبه اصحابه فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها
عليكم الذين امنوا اذكروا نعمة الله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الاية فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم
والمسير اليهم فسار صلى الله عليه وسلم وحاصرهم ستة
ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب
ولما نزل في نفوس بعض المسلمين شيء نزل ما قطعتم من

لينة



لينة الاية واللينة اصناف التمر ما عدا العجوة والبرني ففي الاية
انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس يقوت
وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها
يغذي احسن غذا والبرني كذلك ايضا وكان رهط من
بني عوف بن الخزرج منهم ابن ابي بعثوا اليهم ان اثبتوا وتمنعوا
فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا
معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن
دمائهم وفي رواية ابن سعد انهم لما هموا بالغدر
ارسل اليهم محمد بن سلمة ان اخرجوا من بلدي فقد
اجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا
في التجهيز فارسل اليهم ابن ابي بان تمتنعوا ويمدهم بمن
ينصرهم فارسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
لا نخرج فاظهر التكبير وكبر المسلمون لتكبيره فسار اليهم
وعلي يحمل رايته فلما راوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل
والحجارة وخذلهم ابن ابي وغيرهم فحاصرهم خمسة عشر
يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا
الدرع فنزلوا على ذلك وكانوا يخربون بيوتهم بايديهم
فلحقوا بخيبر وغيرها الى الشام والحيرة على ستمائة بعير ولكون
القاهر لهم مجرد الرعب كان ما بقي من اموالهم له صلى الله
عليه وسلم يقسمه بين المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار
وحزبوا ايضا بني قريظة منهم بيوم الاحزاب اذ زاغت
الابصار منهم فيه وضلت الاراء وذلك ان الاحزاب

لما اقبلوا ونزلوا حوالي المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم
والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينهم وبين
القوم خرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعبا القرظي صاحب
عقد بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه
وقال له انك امرؤ مشؤوم واني عاهدت محمدا صلى الله عليه وسلم
فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفا وصدقا فقال
ويلك افتح حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش
انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني
ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه
ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم البلاء واشتد الخوف
واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن
ونجم النفاق اي ظهر في بعض المنافقين فانزل الله تعالى واذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الاية وقال رجال
ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من
ان الله تعالى خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدايرة عليهم
والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بني
قريظة عن اخرهم كما مر ومما تقرر علم ان في كلام الناظم في هذا البيت
والذي قبله تلميحا من وجوه عديدة **وتعدوا** ظاهر سياقه ان الضمير
للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفرة الشامل
لكفار العرب وغيرهم اي تجاوزوا حتى وصل ايذا وهم **الى النبي**
صلى الله عليه وسلم **حدودا** حدها الله تعالى لهم ومنعهم
عن مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك **كان فيها** اي في مجاوزتها





**عليهم** لاحد الظرفين حال والاخر خبر **العدواء** اي بعدهم عن النجاة
ووقوعهم في الهلاك وفي هذا تلميح الى قوله تعالى ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدوا جناس شبه
الاشتقاق وهو او شبهه بين تخفتهم وانتهت والبذى والبذا
والخيلاء والخيلا واكدى وكدا وعفا وعفوا وسواه وسووا هم
واجمت والجون واحلم والحلم الاتيان **وتخفتهم** اي اولئك
المعتدين قوم منهم على استمرارهم على ما هم عليه من مخالفة النبي
صلى الله عليه وسلم وايذايه قائلين لهم انه لرسول حقا **وما انتهت**
**عنه** اي عن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذايه **قوم** بل
استمروا على ما هم عليه من ايذايه والاعراض **فبسبب** ذلك
**ابيد** اي اهلك **الامار** منهم بايذايه صلى الله عليه وسلم
**والنهاء** عن اتباعه لتبعا كل من الفريقين على ضلالته وممن
عتبة بن ربيعة لما اشتد اذى قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب
اليه لينهاه فقرا عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح القران
وامرهم ان يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم ان القران
ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله عليه وسلم ليس به
جنون وانه ليكون لقوله نبا فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال
افعلوا ما بدا لكم فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذا له بالقول
والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامار والنهاء جناس
الطباق كتخفتهم وما انتهت والغدو والعشا والقطع والوصل
والتقريب والاقصا والملام والاطراء والتناس والوفا الاتيان
**وتعاطوا في احمد** نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه
لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمى به قبله خمسة

وتعاطوا امرا منكر القول ونطقي لا ازال العوار

عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني **منكر القول** اي القول المنكر
الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وان الحامل
له عليه انما هو محض عنادا وحسد فقالوا مرة ساحر ومرة
كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في بيان اعجاز القران
وطاف صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضي الله تعالى
عنهما كما مر بابي جهل وعتبة بن ابي معيط وامية بن خلف فاسمعوه
بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه
وسلم فدفعه عثمان رضي الله تعالى عنه فوقع على استه ودفع
ابو بكر رضي الله تعالى عنه امية ودفع النبي صلى الله عليه وسلم
عتبة ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم
عقابه عاجلا فما منهم الا اخذته رعدة وجعل صلى الله عليه
وسلم يقول لهم بئس القوم انتم لنبيكم ثم قال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه رضي الله تعالى عنهم ابشروا فان الله تعالى
مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هولاء الذين ترون مما
يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان رضي الله تعالى عنه فوالله
لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ابذا المنافقين في قولهم
يوم الخندق محمد يعد اصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر وكسرى
واحدنا اليوم لا يامن على نفسه ان يذهب الى الغائط وقد
حقق الله تعالى ما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين
كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان ثم ذيل بجملة مشتملة على
معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال كلتيهما تتميما خلافا للشارح
لانه المانى به لمجرد المبالغة والتاكيد ولا تكميلا لانه الماتى
به لدفع الايهام نعم في ذلك اضطراب بين اهل البديع

فقال

فقال **ونطق** اي منطوق **الاراذل** اي الاسافل الاخسا الذين
لا مروة لهم ولا عقل الكلمة **العوراء** اي القبيحة الساقطة
اي شانهم النطق بالفحش وهو كذلك كيف **وكل رجس** اي قذر
وغضب قام لهم **يزينه** ما جبلوا عليه وهو **الخلق السوء**
بفتح السين وضمها اي القبيح **سفاها** بفتح السين من سفه
بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد
الحلم وسببه خفة العقل وطيشه **و** يزينه سفاهة ايضا
وبعدا عن الخير **الملة** اي الشريعة سميت بذلك لانها تملى
وتكتب **العورا** اي الباطلة شبهها بطريق عوجا لا يهتدي
سالكها الى مطلوبه بل يتيه ويضل فيها على سبيل الاستعارة
المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا واولئك الاراذل اجتمع فيهم
الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت
سفاهتهم **ف**بسبب ازدياد هم من السفاهة والجهل **انظروا** ايها
العقلا **كيف** هي وما بعدها سدت مسد مفعولي انظروا واما
قول الشارح كيف في موضع المفعول الثاني وعاقبة القوم
المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا محوج لذلك
كما عرف مما قررته **كان** تامة **عاقبة** اي مآل ومصير **القوم**
المعروفين بما ذكر وهو خزي الدنيا وعذاب الاخرة نظير كان
عاقبة الذين اساوا السوأى اي اقتباس **وا** نظروا **ما** هو بجملته
سد مسد المفعولين ايضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين
اعرابه مع احتمال وجه اخر غير ما ذكر لكن ما ذكرته هو اولى
كما هو واضح **ساق للبذى** اللسان كقولا **البذاء** بالمعجمة
اي بذاوهم اي فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة

الاخرة وفيه تشبيه البذي بدابة مسوقة والبذا بسايقها
ومما استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذى على
جهة كونه فاعله وللبذي علم واقعا عليه تخييل وجد البذى
السب اى الشتم فيه اى النبي صلى الله عليه وسلم سما مهلكا
اى مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع ولم يدر البذى ان
سبه عين السم القاتل لوقفه لفظا اذا الميم في مواضع حال
من الخبر وهو باء كقولهم في زبيد ميد ومي لغة مازن قال المازني
دخلت على الخليفة الواثق فقال لي من الرجل قلت من بني مازن
قال اى الموازن امازن تميم امر مازن قيس ام مازن ربيعة
قلت من مازن ربيعة فكلمني بكلام قومي وقال لي ما اسمك
لانهم يقلبون الباء ميما والميم باء قال فكرهت ان اجيبه على
لغة لئلا اواجهه بالمكر فقلت بكر يا امير المومنين ففطن
لما قصدت واعجب به اى وفيه ايضا سبب لنفسه ثم قال
لي اجلس فاطبين يريد فاطمين وقال ابن جني في سر الصناعة
اخبرنا ابو علي باسناده الى الاصمعي قال كان سوار الغنوي
يقول ما اسبك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم
انتهى والمعنى لانه اهلكهم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم
لان اهلاك السم في الدنيا وله ادوية تزيله واهلاك السب
في الدنيا والاخرة ولا دواء له كان من اجل ما يصدر منى فيه
اى من البذى حال من الضمير المستتر في الخبر وهو بيديه قتله
لنفسه بيديه وقتل الانسان لنفسه اشد من قتل غيره له
فبسبب ذلك هو اى البذي القاتل لنفسه المذكور في الاتصاف
بما وقع من سوء فعله بنفسه المراة المشهورة بالمملكة القاهرة

وجد السب فيه سما ولم يدر اذا الميم في مواضع باء





في العرب التي هي الزبا بفتح الزاى وتشديد الموحدة اى تشبيهها
فانها تناولت خاتما مسموما مصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدي
لا بيدك يا عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته
بفمها من يدها لما ظفر بها عمرو بن اخت جزيمة الابرش لما كان بينهما
خوفا من تعذيبه اياها وحاصل القصة وهي طويلة ذكرها
الاخباريون وابن هشام وابن الجوزي وغيرهم ان جزيمة بن عامر
التنوخي وقيل الازدي وهو اول من سار العرب واول من تحذف
له الشموع واوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك بارض العراق
من قبل ازدشير وكان ابرص فكنوا عن ذلك بالابرش الوضاح
قيل كان لا يانف من الابرص لان في العرب من يفتخر بذلك وكان له اخت
احبها نديمه عدي بن نصر الايادي فتوا فقها على ان ينكحها منه اذا غلب
السكر عليه فساله حينيذ في ذلك فانكحه اياها واشهد عليه
ودخل لها فلما اصبح وعلم بذلك تغيب عدي فلم يعرف له اثر فولدت
له ولدا سمي عمرا فاحبه جزيمة واختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظا
عند خاله وكان ابو الزبا سماها بذلك لكثرة شعرها اذ كان
يجللها ويسحب من ورايها ملك ما بين الفرس والروم فغزاه
جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى صلى الله عليه وسلم وطردها
فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة
ملك ابيها وابتنت لها بجانب الفراة قصرا حصينا فحدثت
جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر واجمل اهل عصرها وطمع في
مملكتها فارسل لها فاظهرت غاية الفرح وارسلت له هدية
سنية فاستشار في المسير اليها فبالغ قيصر بن سعد في منعه
وحذره ذلك مكيدة منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها

اعاد الاستشارة فاعاد قيصر رايه فلم يصغ اليه وسار وكانت امرت
عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوا من معه ففعلوا وقيصر
معه فلما راى ذلك ركب فرس جذيمة التي تسبق الريح بحزمها وفرسها
ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا جواري وكانت ربيت
شعر عانتها حولا فكشفتها له وقالت امتاع عروس ترى
فقال بل متاع امة بظرا ثم قالت خذن بيد سيدكن وبعل
مولاتكن فاجلسنه على النطع ففعلن ثم امرتهن بفصد
عروق يديه ففعلن ووضع له طشت فنزف دمه فيه الى ان
قضى عليه فامرت به فدفن ثم قيصر على عمرو واخبره الخبر
وامره ان ياخذ بثاره منها فافهمه انه لا قدرة له عليها
فقال له اجدع انفي واذني واضرب ظهري حتى يؤثر فيه الضرب
ففعل به ذلك وقيل انه فعل قيصر بنفسه ذلك ثم ذهب
اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت
منزله ثم قال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا وذخائر فسفريني
لاتي به ففعلت فرجع اليها باموالها بلية ثم عاد الى العراق
ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها
ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات يصعد
منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الاخر ثم خرج ثالثا
فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته عندها وعولت عليه
في امورها فاظهرت له انها تريد غزوا وانه يذهب ويأتيها
بالعبيد والعدد فقال لها ان لي في بلاد عمرو الف بعير وخزانة
مال وسلاح فاعطته ما ارادت من المال وقالت له الملك يحسن
بمثلك فعاد الى عمرو وقال اصبت الفرصة منها فقال له عمرو

من تماشيت فقال الرجال والاموال فعمد الى الفي رجل من فتاك
قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان في غرارتين سود اوين
وعمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان يكمن النهار
ويسير الليل ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت فقالت
شعر ما للجمال مشيها وئيدا ۝ اجندلا يحملن ام حديدا ۝
ام الرجال جثما قعودا ۝ ام الرجال في الغرار السودا ۝
ولما وصلت العير المدينة طعن بواب قصرها جوالقا بمخصرة
بيده فضرط من اصابته فاراد الصياح فضربه قيصر بسيفه
فقتله ثم حلت الجوالق فخرجت الرجال ودخل عمرو باب
السرداب ليصعد الى الزباء فلما راته مصت خاتما في يدها
مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمرا قتلها
بسيفه واحتوى على بلادها او هو في سوء فعله النحل
اي شبهه ثم بين وجه الشبه فقال قرصها اي لسعتها المغيرها
يجلب الحتف اي الموت اليها عقب لسعها و الحال ان لسعها
ما فيه له انكاء اي قتل ولا جرح ولا دم ولا تاثير قوي في الملسوع
فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليه
بما كان سببا لهلاكهما صرعت قومه صلى الله عليه وسلم الذي
ارسله الله اليهم فلم يؤمنوا به الفتهم قتلى بين يديه
حبائل جمع حبالة وهي التي يصاد بها وناصبها يسمى الحابل
بغي عليه صلى الله عليه وسلم مدها اي تلك الحبائل
اليه المكر حال كونه منهم وهو ابطان السوء مع اظهار
خلافه والدهاء هو بالكسر والمد كالدهي جودة الراي وفي كلامه
الاستعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه

او هو النحل قرصها يجلب الحتف
اليها وما له انكاء

صرعت قومه حبائل بغي
مدها المكر منهم والدهاء

صرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بسيوف مصروعة بين يدي
الصياد ومن حيث تشبيه البغي بشبكة الصياد من حيث
تشبيه المكر والدهاء بالقصايد كما تقتضيه نسبة المد اليهما
او بحبال الشبكة التي يمد لها الصايد حتى يقع فيها المصيد
وتخييله باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحه بذكر
الصرع اللايق بالمشبه وبما تقرر علم ان في كلامه ثلاث استعارات
مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع
والمكر والدهاء لهم ورشح او خيل لها بذكر الحبايل والمد والثانية
تشبيه البغي بالشبكة وخيل باثبات الحبايل له ورشح بذكر
المد وجرد بذكر الصرع الملايم للبغي والثالثة تشبيه المكر
والدهاء لهم ورشح او خيل لها بذكر الحبايل والمد للقصايد
على ما مر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبايل وجرد بذكر
الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك مكنيتين او اكثر
في كون الشي الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا للكل اعتبارا
لكل على حدته لما بينا بينهما فبسبب مكرهم ودهايهم انتهم
من قبله صلى الله وسلم ما اوجب عود تلك الحبايل اليهم
ولا يحيق المكر السيء الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون
به كيدا الا عاد اليهم وكيف لا وكلما تحزبوا لحربه صلى الله عليه
وسلم وحاولوا اخفا امره صلى الله عليه وسلم بدد الله جمعهم
وقتل سادتهم واظهر امره عليهم وهو الذي ايدك بنصره
وبالمومنين فمن ذلك انهم خيل على الحرب تختال اي تتبختر
بها راكبوها تيها وعجبا وللتحنيذ والتفاخر وعليها
الشجعان في الوغى اي الحرب متعلق بقوله خيلا اي كبر

وترفع

١٤٩

وترفع عن الوقوع في وهدة او الاصطدام بنحو شجرة وهذا تذييل
قصدت بهم اي في ابدانهم القناة اي الرماح جمع قناة
وفي هذه الاستعارة المشهورة في قوله تعالى جدارا يريد ان
ينقض فاقامه ولا بنا في ذلك عد كثيرين له من انواع المجاز
باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهي الارادة
التي هي من صفة الحي لان ذلك مبني على تشبيه ميله للوقوع
بارادته له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم
قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هي
مجاز لغوي او عقلي خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه
به لا للمشبه ولا للاعم منهما فاسد في رايته اسدا يرمي موضوع
للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجري فبسبب قصدها لهم كانت
لهم قوافي الطعن اي الطعنات لانه لم يوجد فيهما اذ الثابتة
تصدق بنفي الموضوع وهو المشبه بالقوافي تتابعها حال كون
ذلك الطعن منها اي تلك الرماح ما شانها اي عابها وفي نسخة
شانه اي الطعن الايطاء وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى
قبل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد
من غير ان تؤثر الثانية شيئا لم تؤثره المتلوة وهو معيب في
المشبه به لانه يدل على عي الشاعر وتقصيره والمشبه
لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره وهذا
الحل اولى مما سلكه الشارح كما يعلم بتامله نعم قوله ولكثرة
ما عملت رماحهم في اجساد عدوهم تاتي الطعنة الثانية
مكان الاولى حتى كانها واحدة لسرعة الطعن بقرب محله واثار
اي رفعت تلك الخيل لما ركضت في تهامة الحرب بارض العدو

وفي الاقطار الحجازية وغيرها حتى في مكة في غزوة الفتح لما ازدحمت
قرب دخولها نقعا اي غبارا اظلم الجو حتى ظن ان الغدو اي
وقت وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس منها اي من اجل
تلك الخيول التي اثارت ذلك النقع او من اجل تلك الغبرة المفهومة
من الغبار التي اثرتها تلك الخيول عشا اي وقتها وهو مغيب
الشفق الاحمر وقضية كلام الشارح بل صريحه ان المراد بالعشا
بفتح العين وفسره بانه ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر
وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه وفي قوله واثارت نقعا تلميح
الى قوله تعالى فاثرن به نقعا وخلاصة شي من هذه الغدوة
التي حصل بها ذلك الفتح الذي هو اعظم فتوح الاسلام لان الله
تعالى اعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر
به اهل السما وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزا ودخل الناس
في دين الله افواجا واشرق وجه الارض ضياء وابتهاجا وسببها
الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في
عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل
في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض
بني بكر وبنو خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بني بكر فخرج اربعون
من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه
فقام وهو يجر رداه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر
به نفسي ولما احس ابو سفيان بمجيئهم جا الى المدينة ليجدد
العهد ويزيد في المدة فابى صلى الله عليه وسلم فرجع فخرج صلى
الله عليه وسلم في عشرة آلاف ثم لحقه الفان لليلتين من رمضان
سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها

الى

الى القبايل ثم لما نزل مر الظهران امرهم ان يوقد واعشرة الاف
نار فوافاهم ابو سفيان ارسله قريش لياخذ لهم امانا يعلمهم
بتجهيزه صلى الله عليه وسلم فلما راى تلك النيران ابهره امرها
فادركه الحرس فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم
بعد تمنع وتهديد فسال العباس النبي صلى الله عليه وسلم
ان يجعل له فخرا في قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار
ابو سفيان فهو امن وقال للعباس احبسه عند حطم الجبل
حتى ينظر الى المسلمين وفي رواية احبسه عند مضيق الوادي
حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها فحبسه فمرت به القبايل
كتيبة كتيبة وهو يسال عن كل قبيلة فيبينها له العباس
فيقول وما لي ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب
رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا ابا سفيان اليوم يوم
الملحمة اليوم تستحل الحرمة او الكعبة فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فامره على لسان علي كرم الله وجهه ان يدفع الراية
لابنه قيس واخبر ابا سفيان انه لم يامر بقتل قريش وان اليوم
يوم الرحمة وان الله يعز قريشا وخشي سعد ان ابنه يقع منه
شي ايضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها النبي
صلى الله عليه وسلم للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه
وسلم في كتيبة المهاجرين مع الزبير ايضا ومعه المهاجرون
وخيلهم وامره ان يدخل من اعلا مكة وان يغرز رايته بالحجون
ولا يبرح حتى ياتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول الشارح
انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كدا بالضم تصحيف
وصوابه من كدا بالفتح والمد وقوله وامر سعد بن عبادة ان

يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح لم ار في الروايات المعتمدة ما
يشهد له وانما الذي صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من علاها
وخالد من اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها
ولعل الشارح اخذ ذلك من الرواية الاتية عن مسلم وانت
خبير بانه ليس فيها نعت بكدا ولا بكدا وبعث خالد بن الوليد
في قبائل ليدخل من اسفل مكة ويغرز رايته عند اسفل البيوت
وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا
ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل فقاتلهم حتى ادخلهم باب
المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له صلى الله عليه وسلم
لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما استطعت فقال
صلى الله عليه وسلم فقضا الله خير وصح في مسلم وفي غيره انه
صلى الله عليه وسلم بعث على احدى المجنبتين خالد بن الوليد
وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الذين بغير
سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار فهتف بهم
فجاوا فطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم
ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توفوني
بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشا ان نقتل واحدا منهم
الا قتلناه فجا ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء
قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق
بابه فهو امن ومن هذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة
ويرد بانه صلى الله عليه وسلم لم يبح الا قتل اوباشهم الذين من
شانهم الجهل والمبادرة بالقتال في غير محله وهكذا كقوله

من اغلق بابه فهو امن ظاهر في ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق
الروايات الاخر المفيدة بذلك وبهذا يقوى ما ذهب اليه امامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية
التامين الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابي
سفيان او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلا
مكة التي دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على
ان القتال الذي وقع في غيرها انما كان دفعا لقتال الصغر كما مر وعلم
مما تقرر في القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه
بان يدخلوا من الحجون وهو كدا بالفتح والمد وكان معهم في
كتيبتهم الخضرا لكثرة ما معهم من السلاح راكبا على ناقة
القصوا بين ابي بكر وعمر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون
والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فراى ابو سفيان
ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا
عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم
وامر بقية من اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم
والقصر ولذا قال احجمت اي كففت وامسكت عنه اي
ذلك الفتح الذي حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام
مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من اعلاها
ومن اسفلها الحجون بفتح الحا وهو الجبل المطل على مقبرة مكة
المسماة بالمعلاة وذلك هو كدا بالفتح والمد اي ان الفرقة
التي كانت بالحجون وان نالت فيه من الفتح شيئا كثيرا لكنه
قليل بالنسبة لما في مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة واكدى
اصله قلة الخير والمراد هنا قلة الناس شبه حاله من كدا

اعطابه اى كذا المتقدمة رتبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل
الاعطا النبي صلى الله عليه وسلم القليل من الناس مفعول
المصدر الثاني كدا بضم الكاف والمبالغة قليلة فيه اي واقل
عبارمكة كدا الذى هو اسفل مكة لان الفرقة الداخلين
منه الذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا قليلين
وعجيب من الشارح انه لم يبين لهذا الشطر معنى ملايما مع
كونه او هم ضبط كدا هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح
الحجون السابق في الشطر الاول او قريب منه كما يصرح به
كلام المتنا في المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت
فصيحا لفظا لما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل
عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث اسناد الاعطاء
والمنع الذين هما من صفات الادمى الى غيره على حد اريد ان
ينقض كما مر بيانه انفا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لانه من
المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلين من اعلا واسفل
وان ما من مجموعهما اكثر مما من كل منهما ومثل هذا ليس له كثير
جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد ولكه جدوى لخفايه
وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من
الحجون والبقية من كدا ووجه اخذه من النظم واضح فانه
حصر اعطاه القليل بكدا فدل على انه والكثيرين دخلوا
من الحجون ويصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه
فيصح ان يكون الحجون معطوفا على انارت بحذف حرف
العطف ففيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان كدا
مبني للمفعول والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها

قهرتهم



قهرتهم حتى اما كنهم فكفت الحجون ومنعت كدا والحجون عن ان
ينتصرا لاهلهما او تقصر منهما ذلك لا سيما وخيل كدا كانت
قليلة ويصح بقا النظم على غرابه الاول وهو ان الحجون فاعل
والكدى مبني للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم
نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدتهم عليهم
والتقدير ان الحجون والكدى منعوهم عن ان يمدوا اعينهم
اليه صلى الله عليه وسلم او الى احد من عسكره وفي هذا وما
قبله من المبالغة ما لا يخفى عظمه ووقعه عند الفصحا وبين
الحجون وكدا جناس معنوى دهت اى هلكت تلك الخيل
والخيالة اوجها من الناس بها اى بمكة فاتلت كما مر في
الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية المطلقة
وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون في ايذا به صلى الله
عليه وسلم واظهار هجوه فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار
الكعبة وعدتهم ستة رجال واربع نسوة واهلكت
بيوتا كان اهل مكة يرجعون الى اهلها مل اى سيم منها الاكفا
وهو في الشعر المخالفة بين هجا اواخره كان يجعل بعضها هميا والاخر با
وهنا انكفا تلك الوجوه على الناس لعلها تحميها او تجيرها
والاقوا امثلة من قولهم منزل قواى لا انيس به واقوت
الدار وقوت اى خلت ثم استعمل في الشعر مرادا به ان تختلف
حركات اعراب الروى ومما قررت به كلامه هنا وفيما قبله
في قصدت فيهم القنا الى اخره يعلم ان الناظم استعار القوافي
للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطا ولمح بذكر البيوت ترشيحا
لبيوت الشعر المرشح بها وبذكر ما يجنبه بها من الاقوار

أو الأكفا إلى الاستعارة الأولى وفيهما تورية ولف ونشر مشوش
لأنه رجع الأفق للبيوت باعتبار لمح بيوت الشعر والأكفاء
للوجوه لأن الإشراق انقطع انكفات الوجوه وتحولت واستعمل
الأفق في الخلو من حيث بيت السكن وفي تغيير القافية
من حيث بيت الشعر وكذلك الأكفا من حيث تغيير حركة
الروي و بسبب ما حصل لأهل مكة من الخوف الذي ظنوا
أنه مهلك لهم عن آخرهم **دعوا** محمدا صلى الله عليه وسلم
**أحلم البرية** بالهمز في الأصل أي الخلق أي طلبوا منه يوم الفتح
أن يعفو عنهم وأن لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا أوصلوه
إليه من الأذى الذي لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم
فأجابهم إلى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما
يأتي **والعفو** عمن ساءه **جواب الحليم** من حلم بالكسر إذا ترك
الانتقام بحق **والإغضا** إرخاء الجفون من الحيا وفي ذكر الحلم
والإغضاء مراعاة النظير **ناشدوه** بدل من دعوا **القربى**
أي حلفوه على أن يصل قرابتهم ويعفو عنهم أو بالقربى على
حذف الجار أي حلفوه بالقربى التي بينهم وبينه أن يعفو
عنهم **التي** وصلت إليه **من** سائر بطون **قريش** وهم ولد
النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك
**قطعتها الترات** بفوقيتين جمع ترة وهي مصدر وتر أي
قتل له قتيل ولم يدرك دمه **والشحنا** أي التباغض والتحاسد
الذي كان بينهم **ف**بسبب تلك المناشدة **عفى** صلى الله
عليه وسلم **عفو قادر** لأنه صلى الله عليه وسلم كان يسهل
عليه إبادتهم عن آخرهم **لم ينغصه** أي لم يكدر ذلك العفو

عليهم

---

عليهم بسبب **ما مضى** منهم صفة أعذار فقدمت عليه فصارت
حالا **إغراء** من أغريت الكلب بالصيد أي حملته على اصطياده
وهو فاعل ينغص أي لم يكدر عفوه عنهم إغراء سفهائهم
وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا في إيذائه
بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة
ما أشار إليه الناظم أنه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد
من يوم الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه
ومجده بما هو أهله ثم قال أيها الناس إن الله حرم
مكة يوم خلق السموات والأرض وهي حرام بحرمة الله إلى
يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر
أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص
فيها القتال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له إن
الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أحلت لي ساعة
من نهار أي من الفجر إلى العصر وقد عادت حرمتها اليوم
كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال
صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم
قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم
اذهبوا أنتم الطلقا أي من الأسر والاسترقاق وفي
رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم أقول لكم كما قال
يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
أرحم الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه
صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع أنه صلى الله عليه وسلم
ناظر إلى الله تعالى دون غيره **وإذا كان القطع والوصل لله**

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تساوى عنده فاعل ذلك الترتيب
للاقارب والبعدا والاقصا اى الاباعد للاقارب والبعدا ولم
يميز باحد منهما قريب ولا اجنبي لان النظر لرضى الله وامتثال
امره لا غير وهذا من القول البديع الجامع وسوا بفتح السين
والمد ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى مستو ويستعمل
الاول بمعنى التمام ومنه سوا للسائلين الى سوا الصراط
اي الوسط ومنه في سوا الجحيم وبمعنى غير قيل ومنه فقد ضل
سوا السبيل وهو وهم وانما هو بمعنى وسطه عليه اي
الذى تقربه واقصاه لله لا غير واجل من اتصف بهذه
المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران
يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويجوز كونه مبتدا
فيما اتاه اي جاه من سواه كلاهما حال من المبتدا او الخبر وهو اللوم
بالسب والتعيير والاطرا اى المبالغة في المدح حتى بغير الواقع
اى سوا عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين فيما اتاه
من غيره من خيرا وشرا اي استوي عنده مدح الغير وذمه
لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق في خلقه
بما اراده منهم تنبيه ما وقع للناظم هنا من حذف
همزة التسوية بعد سوا والعطف بالواو وهو درج عليه
الفقها في كتبهم وتولعوا به وان كانت بخلاف الاشهر
الشايع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح في الصحاح
بتلك اللغة فقال تقول سوا على قمت او قعدت وكذلك
في القاموس قال وسوا تطلب اثنين سوا زيد وعمرو اي
ذوا استواء من استويا وتساويا تماثلا وقد صرح سيبويه

بالمسئلة



بالمسئلة انتهى بتصريح واوضحها اكمل ايضاح فقال كما في البديع
عنه اذا كان بعد سوا همزة استفهام فلابد من اسمين كانا
او فعلين وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام
عطف الثاني بالواو وتقول سوا على زيد وعمرو وان كان
بعدها مصدران كان الثاني بالواو وحملا عليهما انتهى
فعلم صحة ما عليه الفقها واندفع قول ابن هشام ان ذلك
لحن وانما في الصحاح سهو وان قراءة لم تنذرهم من الشذوذ
بمكان انتهى فاستحضر ذلك فانه مهم ومن ثم لو مر
فيها في بحث اوصاف قدمه صلى الله عليه وسلم ما ينبغي
مراجعته لغرابته ونفاسته ان انتقامه صلى الله عليه
وسلم اى عقوبته واشتفاه الذى صدر منه كان لهوى
النفس الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير
وحب القهر عليه بما يقهره ويذله له لدامت قطيعة
للرحم وجفا اى ابعاد لها ولكنه لم يكن لذلك وانما كان
لله تعالى فقطعهم حيث قطعوا ما امر الله ان يوصل ووصلهم
غير ناظر لما سبق منهم من قتل اصحابه لا سيما باحد والتمثيل
بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال
اوامره واجتناب نواهيه وكيف لا وقد قام صلى الله عليه
وسلم لله وحده لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم او صديق
وفي نسخة بالله مستعينا به في الامور جميعها فبسبب
قيامه لله تعالى او به ارضى الله تعالى منه صلى الله عليه
وسلم وهو متعلق بارضى او حال من فاعله وهو تباين
لاعداء الله ووفا لاولياء الله تعالى من غير تعويل على

حظ سوى رضى ربه ولهذا كان فعله صلى الله عليه وسلم كل جميل
لصدوره على امتن قوانين الاعتدال واخف موازين الكمال
ولا بدع في ذلك اذ هل اي ما ينضح اي يسيل مما فيه على
ظاهره الا بما حواه عائد على متقدم الرتبة وهو الاناء
اي لا ينضح الاناء الا بما فيه فمن امتلا اناء قلبه خيرا كانت
افعاله المستتمة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلا اناء
قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس احد متحليا بمعالي
هذه الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم
وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل يجازى الا
الكفور ويصح ان يكون من التتميم وفيه التلميح اي
المثل السائر وهو كل اناء بالذي فيه ينضح اطرب
السامعين اي استرهم وافرحهم ونشطهم الى محبته واتباعه
وامتثال جميع ما برز من حضرته صلى الله عليه وسلم ذكر علاه
لانهم يجدون لذلك روحنة تفوق روحنة الراح يا حرف
استغاثة للراح اي خمر مستغاث ولذا فتحت لامه سميت
بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا ما دام
سكرانا بها مالت اي سكرت وتواجدت به اي الراح
المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد
يقال الراح الخمر وهي مونثة وتذكيرها شاذ الندماء اي
شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اي يخاطبون
عليها بالاشعار التي فيها مدحها وفي هذا استعارة
تصريحية واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه في
اطرابه لسامعه بالراح في اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك





ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان هذا
الموصوف بهذه المعالي الذي اطرب السامعين ذكر علاه
النبي الامي نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا المكتوب
كانه على اصل ولادة امه او مثلها اذ الغالب في النسا
عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى اي مكة وقيل غير
ذلك ومع كونه صلى الله عليه وسلم لا يقرا ولا يكتب
اطلعه الله على علوم الاولين والاخرين وجعله الفوق
العظمى لكل مخلوق في كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن وساير
اوصاف الكمال واراه من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا
والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرايع
وعوارف المعارف ما لم يصل لشا او مخلوق وهذا مقتبس
من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورات والانجيل اعلم الخلق
جميعا حتى عن الانبيا والمرسلين الذين اسند اي روي
عنه الرواة والحكماء اي العلما الذين يضعون كل شي في محله
فهو من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من اوصافه
صلى الله عليه وسلم واحواله وسيره ومغازيه انتقل
بطريق لطيف الى ذكر مولده وبعثته ودار مهاجره لانهما
تشرفا به على ساير الامكنة والى ذكر زيارته وتاكدها
والاشارة الى انها من افضل القربات وانجح المساعي
وقد الفت فيها كتابا حافلا لم اسبق الى مثله مشتملا على
جميع ما يتعلق بها وسميته الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي
المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل لمن نازع في ندبها ما

يكون سببًا لسواد وجهه وتبابه في الدنيا والاخرة فقال
كا فيا على منة الله تعالى عليه باشارته على انه هيأ له اسباب
تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة
الاتية حتى كانها مخاطبة تقول اركب على ظهري فاني احملك
ذهابًا وايابًا مع السلامة من التعثر والراحة من السير
المتعب **وعدتني** ذكر الموعود في حيزها كما هنا يوجب
اشتراكها بين الخير والشر وانما تقع التمييز بالقراين
وحذفه يعينها للخير ويعين للشر اوعد **ازديارة** اي
النبي صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال
من التاء في نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض اي بزيارته
هذا **العام وجنا** اي ناقة قوية من الوجن وهي الارض الصلبة
**ومنت** اي انعمت **بوعدها** اي منه عن نيته للزيارة في تلك
السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال
ذلك المركوب ومما تقرر من ان ال في الوجنا للعهد الذكري اندفع
قول الشارح بين وجنا والوجنا جناس والعيوب منه انه صرح
مع ذلك بان ال للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول
هو عين الثاني **ا** يليق بي اذا انزك الزيارة او اتبطا عنها
**لا تعطوني** اي احسن اذا اضم نفسي على تلك الوجنا التي
منت علي بما ذكر **لها** اي لاجلها ليستكمل سيرها بي فان حسن
سير المركوب من حسن سير ركوب راكبه **في** حصول **اقتضايه**
اي طلبي منها لذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو
اليا والهاء مفعوله فان اريدت الاضافة اليهما ايضًا
كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيه التا

تعريف



تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا لا يجوز اجتماع
التي تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز في اضافة الصفة
من اسم الفاعل او المفعول او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة
اقتران المضاف دون ساير المضافات بال لان اضافة الصفة
الى معمولها لا تفيد تعريفًا بل تخفيفًا فليس هنا محذور
اجتماع اداتي تعريف بخلاف بقية المضافات انتهى نعم جرى
لنا قول ان اضافة المصدر الى مرفوعه او منصوبه غير محضة
فعليه يجوز ما وقع في النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف
فتامله اما اذا لم ترد الاضافة للها وانما اريد بقاوها
على نفسها ففيها ارتكاب ضرورة انفصال الضمير مع امكان
اتصاله **لتطوى** بالبنا للفاعل وللمفعول والاول اولى
اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثاني **ما** اي المسافة البعيدة
التي **بيننا** اي بيني وبين ذلك القبر المكرم على الحال به
افضل الصلاة والسلام **الافلا** جمع فلاة كما في القاموس
وعبارته والفلاة القفر او المفازة لا ما فيها او كالت
والصحرا الواسعة جمعه فلا وفلوات وفلي جمع جمعه
افلاء انتهى وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه
كسر الهمزة مصدر اي السير الى فلاة بعد اخرى ولا يلزم على بنايه
للفاعل وان الافلاء جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما
مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر في تلك المسافة
المطوية الى السير البعيد وفي الافلاء الى الامكنة المقفرة
ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين انطوى ولتطوي
جناس الاشتقاق كهو او شبهه بين مها لها والبركة وحاورها

[illegible]

ولكورا وحنين وحنت وَنصتت والانضا والخلاص والخلصاء
الاتيان بوجنا الوف صيغة مبالغة من الف كعلم متعلق
بتطوى وكان القياس بها لكن اظهر لافادة وصفها بها الوصف
الممدوح البطحاء المعهودة ذهنا وهي مكة وتوابعها
واصل الابطح والبطحي مسيل متسع فيه رقاق الحصى
وهذا وما بعده لسان حاله ابرزه على لسان حالها مبالغة
في اقامته من تلك الاوصاف ما لو كان لراحلته ادراك لكانت
مثله فيها لما يشاهده من حاله يجفلها اى يزعجها ويقلعها
النيل اى ارض مصر عن الاقامة بها مع الفها وطنها ومرباها
لشدة شوقها الى التملي بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك
الاثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق و الحال انه
قد شفت اى شرب رطوبة جوفها او انحل جوفها الاظماء
اى شدة العطش في طريقها فهي راضية بهذه المشقة
المودية الى التلف في جنب ما املته في تلك الحضرة الاحدية
من مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك انكرت مصر
لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار ما املته
في تلك الحضرة والساحة المصطفوية فبسبب هذا الانكار
المسبب في ذلك الامل هي تنفر بكسر الفا وضمها اي تجد في الهرب
من مصر الى تلك الحضرات العلية ما مصدرية ظرفية لاح اي
ظهر من ارض مصر بنا للعينها او خلاء اى فضا ولا ينافي هذا قوله
بالوف البطحى لانها تالفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند
توجهها اليه تجد في السير وتنفر الى جهة مقصدها سوا لاح لها
في غير تلك الحالة بنا او فضا وفسر الشارح الخلا بالحشيش الرطب

[illegible]

ايوجه

١٥٧

ويوجه بنظير ما ذكرته انها تجد في السير الى جهة مطلبها وان
ظهر لها في غيرها قوتها الذي هو الحشيش الرطب وهذا
فيه من زيادة المبالغة ما لا يخفى عظم وقعه ولكن يبعد
مقابلته بالبنا بخلاف ما ذكرته وقوله او المراد به ما بين
ابنية مصر وهو اقرب انتهى وهو في غاية البعد كما لا يخفى
فافحت من الفضيض وهو الما العذب او السايل على
مبارك بركتها هو اول محل في طريق الحجاز يجتمع الحجاج فيه للتاهب
لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجلب اليه كلما يحتاجه
الحجاج سميت بذلك لان ما النيل ياتي اليها فيمكث فيها
زمنا طويلا وكانت فضاصرفا فعمر فيها القطب الرباني
البرهان المتبولي من نحو سبعين سنة جامعا وجعل
فيه مجاورين يقرون القران فعادت بركته عليهم حتى
ذكر بعض صالحيهم ممن ادركناه يوما بالجامع الازهر انه اشتهى
زيارة امه بالعجم وهو ثم فاستاذن الشيخ في السفر
لذلك فلم ياذن له ودخل الى خلوته والناس يقرون القران
على بابها فراى نفسه ببلده عند امه فسلم عليها واقام
عندها اربعة اشهر بعدها بالايام والليالي ثم اشتاق
للشيخ فراى نفسه في خلوته فخرج فراى القرا قد قروا في
تلك المدة نحو ربع القران وهذا من بعض كرامات الاوليا
ان الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم في الزمن ووقع
لهم من نظاير ذلك ما لا يحصى وانكار اتساع الزمن القليل
دون طي الامكنة تحكم لان كلاهما من خبر الكرامة فاذا جاز احدهما
جاز الاخر فتامله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع

فافضت على مبارك
بركتها البويب فالفضاء

ابنية وبساتين لا تزال تنتسع ببركته حتى صارت الان قرية
كبيرة فافاضت البركة على مبارك تلك الناقة من الماء
العذب ما ارواها وراكبها ومن معه فبعد البركة منازل
للحجاج في هذه الطريق اكثرها مشهور لغالب الحجاج فلا حاجة
بنا الى مزيد بيانها لا في التبويب وانما حملت النظم على هذا لايهامه
ان افضت عام في الكل وهو غير مراد ان اراد به ما ذكرنا فان
اراد به انه من الفضا اى فانتشعت على مبارك الناقة
بركتها المزيد سعتها صح عطف ما بعده عليه من غير
حاجة التاويل الذى ذكرته وعجبت من الشارح حيث حمله
على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه الذي
لا يصح الا بر عاية ما ذكرته لان تلك المنازل اكثرها قفر
معطش لا ما فيه اصلا فالخضرا وهي قريبة من المحل المسمى
الان بعجرود وفيه بير ما مر مشهد وبجانبها بركة ما تملى
من بيت المال ليم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من اصله
حدث بعد الناظم وانما قلت من اصله ان بركته معلومة
الحدوث في اوايل هذا القرن التي تليها اى المنازل
السابعة اى الوادي المسمى بوادي القباب اى زبر الرمل المشبهة والنشاء
لبياضها وبياضها بالقباب البيض الحسية فبير النخل
وبجانبها بركة تملى من بيت المال ايضا وماوها احسن
من الذى قبله بكثير ولذا قال والركب قايلون عندها اي ستريحون
وقت القيلولة وراء من الما بكسر اوله جمع ربابه اوربابة وغدوة
ايلة اى عقبتها وحقل محل بعدها قريب منها تسميه العامة
مدور حقل وقد لبثر هذا الاسم مشهورا عند الناس اليوم





فعيون الاقصاب ينبعها البنك وتبلو كفافة العوجاء

خلفها اى الناقة لكونها جاوزته بالمفازة المنسوبة الى شعيب
النبي صلى الله عليه وسلم الفيحا اى الواسعة فعيون
الاقصاب سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب الفارسي
ينبعها البنك هذا ايضا لبئر مشهور وفي القاموس البنك
بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق وتبلو البنك
كفافة وبها قبر ولي يسمى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية
كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد
وتعظيم خارج عن الحد العوجاء اى المنحرفة عن جادة الطريق
وجعل الشارح كفافة مفعول تبلوا والعوجا فاعله
فعليه مما مجاز متعا ترات وفيه نظر لانه ليس ثم محل
يعرف بالعوجا اصلا فالموافق للخارج ما ذكرته جاورتها

منها لا الناقة اى فيما يصيده شوقا

جاورتها الحوراء شوقا فينبوع فرو الينبوع والحوراء

اى حاولت الناقة مشتاقة له وسايرة اليه واثبات
الشوق للجمادات غير منكر لقوله تعالى لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا
لم يقل ولكن لا تفقهون الى اخره احد جبل يحبنا ونحبه جاورتها
شوقا اليها وهي بلدة معروفة من جملة الحجاز الذى هو مكة
والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذه من
جملة قرى المدينة فبسبب مجاورتها لها رق الينبوع والحوراء
المذكوران منها لسماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما
للزايرين لاح اى ظهر بالدهنوين اى فيهما تثنية دهنا
اما لكونه غلب اسمها وهو الدهنا محل قبيل بدر على مجاورها

لاح بالدهنوين بدر وابعد حين وحت [illegible]

اوان ثم محلين كل يسمى بالدهنا بدر وهى الان قرية عامرة
بها عين كبيرة ونخيل ومحل الواقعة المشهورة به التى اعز
الله بها الاسلام مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من
الشهداء وغيرهم وفى بدر تورية مرشحة بلاح المناسب
للمعنى الغير المراد ويقرب ايضا باقية من ايات النبى صلى الله
عليه وسلم وهى سماع صوت هايل كصوت طبل الحرب
فى الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله
عليه وسلم والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة
له وانما هى اصوات الريح تسمع فى ذلك الوادى عند قوة
هبوبها لان فى اوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى
الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت
وقال اخرون من ايمة المتاخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا
الى ذلك المحل واقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح
به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة انتهى واقول
وقع لى ايضا سماعه مرات متعددة فى سفرات متعددة
حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة كثيرة ولقد كنت
فى بعضها موافقا لجمع من وجوه مكة ورؤسائها
وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم فى ذلك
فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على
الذهاب لذلك المحل ورقى الى اعلى احد الجبلين بمحاط بسبب
ذلك الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن
لا نسمع شيا وقد هدا الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد
منا حركة ففى اخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهايل مرة

واحدة



واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من اصر
على انكاره وقد جانا فقيه ساكن يوذن ويوم فى مسجد
البلد فسئل فحلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون
من اول الليل الى اخره وفى غيرهما لا يسمعونه الا احيانا
فالله اعلم بحقيقة ذلك لها اى للناقة بعد وفى نسخة
قبل ما لاح لها ارض حنين يقال انه جبل صغير قريب بدر
فلعل مراد الناظم اعتمد فى هذا على ما هو مشهور فى السنة
اذ لم يذكر فى القاموس غير حنين المذكور فى الاية الذى هو بين
بين مكة والطائف وظاهر قول الشارح اذ نسخة قبل اوضح
لان حنينا بعد بدر اى لما ذكره الناظم مستندا لكن لا يكفى
هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره الا كما
مر وحنت لتلك الناقة وما هى فيه الصفراء قرية
معروفة منحرفة عن طريق اهل مصر لا يمرون عليها الا
عند ذهابهم للزيارة ونفضت اى خلعت برزوة اى
جنبها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازى
فرابغ فالجحفة محل بعيد رابغ كان بلدا مشهورة لليهود
فدعا صلى الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة
اليها فكان لا يمر بها احد حتى الطاير الا حم وكان ميقات
الحجاج المتوجهين من تلك الطريق كما صح به الخبر عنها
اى عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقطعها لتلك الاماكن
ما اى ثوب التعب الذى حاكه اى نسجه الانضاء اى الهزال
شبه الهزال بحايك الثوب والثوب باستعمال الهزال من
حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر

ونفضت برزوة فرابغ فالجحفة عنها ما حاكه الانضاء

ويستر فونه كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو
من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهو استعارة
بالكناية يتبعها استعارة تخييلية وترشيحية **ورايتها**
اى ابصرت تلك الناقة **الخلاص** من التعب **ببير** فاعل **على**
وهو اخر الحت الذى بعد رابغ الى مكة **فعقاب السويق** بعدها
بقليل **فالخلصا** اى المحل المشهور الان بخليص فيه عين واسعة
وبركة كبيرة **فهى** اي تلك الناقة **من بير عسفان**
المشهورة **او** من ماء عيون **بطن مر وظهرانه** اى عطشانه **خصا**
اى جوعانه لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا نحو عسفان
اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقي دوابهم واطعامها الى ان
يدخلوا مكة **قرب الزاهر** المشهور قبيل ذى طوى **المساجد**
المعروفة بمساجد عايشة وبالتنعيم **منها** اى الناقة
اى ان وصولها المساجد جعل الزاهر قريبا منها لان الناقة
بينهما نحو ميلين **خطاها** اى بسبب شدة جريها الملاحت
بالوصول **فالبطو** الحاصل **منها وحاد** بالمهملة قبلها واو
مفتوحة اى سرعة وكان مرادها انها لما احتث بالوصول
انقلب بطوها سرعة بمعنى ان بطوها زال وخلفته سرعة
شديدة **هذه** المذكورات **عدة** غالب **المنازل** بين مصر ومكة
التى عليها المعول لانها يعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد
ويتضح سلوك الوافد وينشط بسببها القاصد **لا ما**
اى منازل القمر الثمانية والعشرون التى **عد فيه** ذكره
نظرا للفظ ما **السماك** الاعزل الذى هو من منازل القمر
ولهم سماك اخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل

والعوا

**والعوا** منزلة من المنازل وهى خمسة انجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد
بتلك **فكانها** اى على تلك الناقة **ارحل من مكة** الى عرفة لان
الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف به
السائلون ويلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها
لانها نسك واجب او مندوب او ركن كالوقوف اقوال اصحها
عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا وفى
حديث فى سنده ضعف انه صلى الله عليه وسلم دعا ربه فى عرفة
ان يغفر لامته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك
فى مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمى والمبيت بها ثم الى بقية
المشاعر التى حول مكة **شمسا** اى حال كون تلك الناقة كالشمس
فى ارتفاع همها او رفعة مامى قاصدته وقوة سيرها لما عندها
من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية
واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيدا تجريد لملايمته
للمشبه الذى هو الناقة **سماوها** اى تلك الناقة المشبهة
بالشمس كما تقرر **البيدا** اى المفازة الواسعة تشبيه بليغ
شبه الناقة بالشمس كما مر وشبه البيدا الذى هو محل سيرها
بالسما التى هى محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد
بذكر ما شرفها الله تعالى على سائر البلاد فقال **موضع البيت**
اى الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هى
محذوف وعليه فمعنى كونها موضعه انه فى بعضها وفى اقتباس
من قوله تعالى اذ اولنبيت الاية **مهبط الوحى** نعت او بدل
بعد بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ
وكذا يقال فيما بعد اى محل نزوله عليه الصلاة والسلام

فكانها ارحل من مكة شمسا سماوها البيدا

موضع البيت مهبط الوحى

ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جا
به النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث عن ربه على لسان الملك او
بالالهام او في النوم او الالقا في الروع ماوى منزل ماوى فلان الى
منزله الرسل الكرام بل وسائر الانبيا ومن تعريف النبي
والرسول اي الكتاب لانه ما من نبي الا حج البيت كما في حديث
واستثنا صالح وهود لاشتغالها بامر قومهما لم يصح حيث
ظرف مكان فهو كالذي تعده بدل مما قبله الانوار الالهية منيرة
له ثم وقد زف هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد
اي تنزلها دايما على قلوب الطايفين ثم والعاكفين والركع
السجود حيث البهاء اي الحسن المعنى المكون عن حصول
ملايم النفس من الحكم والمعارف المفاضة على اهل هذه الحضرة
الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك فيهما بمنه
وكرمه امين وراعى النظر بذكر الوحي والرسل والانوار والبها
وكذا الطواف وما بعده فيما ياتي حيث فرض الصلاة في حج
او عمرة واما خارجهما فهو حيث لم ينذر سنة موكدة ورد فيه
فضنا يلاحة تحمل من احاط بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض
ايمتنا انه للغربا افضل من الصلاة لانه عبادة خاصة
بهذا المحل لا توجد في غيره واختلفوا في ايهما افضل اركان الحج
هو او الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط
فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادي لا يشترط فيه
ولذا لم يقبل الصرف وقال اخرون بل الوقوف للحديث الصحيح
الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف
وانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضا المارب كما في الاحاديث

المتمحضة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية
الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا اصح كما حررناه
في كتبنا الفقهية وحيث السعي اي فرضه في احدهما ايضا
بنا على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الامام الشافعي رضي الله
تعالى عنه وحيث الحلق او التقصير في احدهما ايضا اي فرضه
بنا على الاصح عندنا انه ركن وحيث رمي الجمار اي ايجابه لا على
جهة الركنية وحيث الاهدا اي سوق الهدي الى مكة ثم ذبحه
بها وتفرقته يكون على ثلاثة من مساكينها المقيمين والغربا
والاولون اولى الا ان الغربا احوج والمراد بمكة كل الحرم
وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذي هو
مذهب الناظم اذ اصل الاهدا سنة ولو لغير الحاج ومن ثم
كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو مقيم
بها لا واجب وهذه السنة كانت في زمن السلف من مشاهير
السنن ثم تناساها الناس واعرضوا عنها بالكلية ويصح
ان يراد بالاهدا كل دم وجب في النسك او توابعه اثم لسببه
كالحلق تعديا ام لا كالمتمتع وموضع تفصيل ذلك كله كتب
الفقه والمناسك وذكر الفرض في الطواف فقط موهم انه فرض
دايما فلا يتنفل به وانما تعدد ليس بفرض مع ان فيه ما هو ركن
ولا يتصور ندبه ولا وجوبه في النسك وهو السعي والحلق وما هو
واجب لا ركن وهو الرمي وما هو واجب تارة وهو ما حصل لسرقة
او جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا اي من غير سبب
وكان الناظم وكل امر هذا التفصيل للشهرة وانه ليس بصدد
بيان ذلك حبذا حبذا تاكيد لفظي وهو شايع هنا ومن اول

الكتاب الكلام على حبذا بما ينبغي مراجعته **معاهد** جمع معهد وهو في
الاصل المنزل الذي يعود اليه مفارقوه دايما وهذه المواضع كذلك
لان من فارقها فهو عايد اليهما بالفعل تارة وبالعزم اخرى **منها**
اي مكة وامنا ارت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة
والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
من المواضع المذكورة بها وبالحرم كمنى ومزدلفة بل وخارجه
كعرفة **لم يغيرا بيض** اي علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم
الامة لهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن
**البلاء** بفتح البا اي طول المدة الذي من شانه ان يغير الاشيا
كما مر عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغير لحرمتها لديه
وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى اخر الدهر
**حرم** محترم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات
والارض كما في الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة
المراد به انه اظهر حرمتها التي كانت خفيت على الناس فلا تعارض
بين الحديثين وهذا بدل موضع البيت بدل كل من بعض على حد
جنات عدن في مريم بنا على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم
قالوا به ولم ينظروا الانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال
بالاية نظرا الى ان ال في الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا
فلا بعض محقق يبدل منه الكل او للعهد الخارجي لانه لا خارج
حتى يكون معهودا او الذهني لان مدخول اللام حينيذ بمنزلة
النكرة وهي موضوعة للمفرد وكان وجه عدم نظر مثبت
ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع انه نظر الى ان جنات عدن
علم على الجنان الثمانية الموجودة الان والجنة حيث اطلقت

حرم امن وبيت حرام ومقام فيه المقام لابراهيم

انما



انما يتبادر منها واحدة من تلك الثمانية فصح ادعا انه بدل كل من
بعض بهذا الاعتبار واما تجويز انه بدل كل من كل فقد نظر الى ان
جنات عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصي فيكون ابدال علم من
نكرة وذلك اقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا
المدلول الشخصي اكثر في الخارج من مدلول النكرة الذي هو الفرد
المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل
كل من كل وبهذا الذي قررته مما يكفي مثله في اثبات ذلك الراي
المخالف لراي الجمهور يندفع ما اطال به السيد من التشنيع على
من تبنته كيف وقايله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته
وكلما قرب ما خذه بذا واحتمل لا تشنيع على قايله ويجوز فيه
القطع نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة
في كتب الايمة وعند اهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه **امن** اي
يومن فيه من شن الغارات واستباح الحرمات بل كان الانسان
يرى قاتل ابيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان ولم تغد
فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه
من رمي الابابيل شي حتى خرج منه هذا في الجاهلية واما بعد
بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد امن صيوده وشجره ونباته
وكذا لقطته وترابه على ان يتعرض احد اليها بقتل او قطع او تملك
او نقل الا ما استثني وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما امنا وفيه
كبيت حرام الاتي نوع تلميح **وبيت حرام** اي ذو حرمة باهرة وعزة
قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياما للناس **ومقام** بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه
ايات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذي نزل لابراهيم الخليل

صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبيا والمرسلين من الجنة
كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بنا الكعبة اذا طال البنا فكان
تعلو به الى ان يضع الحجر في محله ثم يقصد به الى ان يتناول
الحجر من اسماعيل صلى الله عليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمتين
وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بنا الكعبة ايها الناس ان
الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة
في الارحام فاجابوه لبيك وفي رواية انه نادى بذلك على الحجون
ولا تنافي لاحتمال انه نادى مرتين قال الائمة وبقاوه من غير
ان يتعرض له احد في الجاهلية ومع كثرة السيول التي كانت تدخل
الحرم وتخرج اكبر ما هو منه باضعاف مضاعفة من ايات
الله تعالى الباهرة واختلفوا في موضعه الموجود فيه اليوم هل
هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان
عند باب الكعبة فرده عمر رضي الله تعالى عنه الى موضعه اليوم
اجتهادا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرائب ما قيل المراد
الحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جا بعد موت هاجر
ليزور اسماعيل فرآه غائبا فسال عن حال زوجته فشكت
فقال مري زوجك ان يغير عتبة بابه فجا فاخبرته فطلقها
ثم جاء وقد تزوج اخرى فوجده غائبا فسالها عن حالهم
فاثنت ثم امرته بالنزول لتطعمه فابى فوضعت له حجرا
ليغتسل عليه فوضع قدميه عليه واما لها راسه فغاصت
قدمه فيه ثم حولته فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مري
زوجك فليلزم عتبة بابه **فيه** اى البيت او الحرم ولا يصح عوده
للمقام نظرا ومن دخله كان امنا **المقام** بضم الميم وجوز بعضهم

فتحها





فتحها اى الاقامة **تلا** بفتح الفوقية اى جوار المحل تترك الرحمات واقالة
العثرات وكانه اخذ هذا من ان اهل مكة يسمون جيران الله اى بيته
وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة
مع خفائها واشتراكها بين معان كما في القاموس لا يناسب
منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق كهو واشبهه
بين مقام والمقام وما ياتي من قضينا والقضا ورمينا ورمي
وبشر وبشر وسمت وسميت وقباب وقبا ورخصنها والرخصا
وحططنا وحط وقرانا والاقرا وسمعنا ونسمع وذهلنا واذهل
**فقضينا** اى ادينا اذ القضا يطلق على الادا لغة كما في قضيت
الدين **لها** اى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى
**مناسك** جمع منسك من النسك وهو العبادة اى اركان الحج والعمرة
وواجباتهما وسننهما **لا يجز الا في فعلهن القضاء**
اى لا يجزى الادا اجزا مخصوصا في فعل عبادة الا في فعلهن
كيف وقد تميزت بان الحج المتكفل بالجنة من غير عمل اخر وخروج
فاعله من الذنوب كيوم ولدته امه وبكونه اشعث اغبر
ويمنعه من مالوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله
ووطنه وبتكفيره تبعا له على ما فيه من الخلاف المذكور وبكونه
لا يضع قدما ولا يرفعها الا كتب الله له من الثواب ما لا
يحيط الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع ما يورد
على النظم اذ غير الحج الافضل منه والمساوي له والمفضول
عنه يجزى فاعله ايضا تنبيه ما قررت به قوله
فقضينا والقضا يندفع ما للشارح هنا ومن جملته قوله
لا يتيسر القضا الا لمن ثبت بالفعل ويتعين انه الفراغ او ضد

فقضينا منا سكنا لا يجز
الا في فعلهن القضاء

الاداء على ان استعمال القضا بمعنى الاداء اشهر من الشمس لغة وشرعا
وقد حقق بعض المتاخرين ان القضا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج
وقته وللحج وقته العمر وتضييعه بخوف نحو غصب او مال او فوت
لا يتحقق انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضا فيما بعد
ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلاة يضيق عليه
فعلها في الوقت ثم بان خلاف ما ظنه انها تصير قضا وان
فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا لكثيرين انها
اداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضا ما فعل خارج
الوقت المقدر له شرعا تنبيه بان لا يتوهم ان ما
وقع في النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه لان محل ما
قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان اول الكلام نحو
الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم على المستثنى
منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه الاخفش
وصححه ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا في ذلك فقط
نحو الا كل شيء ما خلا الله باطل فالا استثنا من ضمير باطل
العامل في ذلك الضمير وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى منه
لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حد اذا لم
يكن الا النبيون شافعا وحكى سيبويه مالي الا ابوك
احد قال فيجعلون احدا بدلا وابوك مبدلا منه قال ابن
عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون
وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن ورمينا بها
اي الناقة الفجاج جمع فج وهو الطريق اي القيناها فيها
لتسيرنا الى طيبة اي المدينة على مشرفها افضل

الصلاة

وجنبناها عن قوسنا غرض القرب ونعم الجنيبة الكوماء

فرأينا ارض الحبيب بغض الطرف منها الضيا واللالاء

فكان البيان من حيثما قابلت العين روضة غناء

الصلاة والسلام سميت بذلك لان الله طيبها لرسوله فجعلها
دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها اسما كثيرة جدا
والسير بالمطايا جمع مطية وهي الدابة تمطو اي تجد في سيرها
رماء مصدر رميته اي يشبه سير السهم اذا رمي به فبسبب
اي سيرها يشبه سير السهم اشبهت القوس وجنبنا
صيرناها عن قوسينا غرض القرب اي المدينة المشبهة بالغرض
في كونه المقصود بالرمي او السير فتشبيه الناقة بالسهم
استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر
الغرض والقوس ترشيح ويصح كونها شبهت بالقوس فهي
استعارة ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم والامتا
والغرض ترشيح ونعم الجنيبة اي الذخيرة الناقة الكوماء
هي المخصوصة بالمدح وهو خبر مبتدا محذوف او عكسه فقول
الشارح انه صفة الجنيبة ليس في محله وهي اعني الكوماء العظيمة
السنام فرأينا اي ابصرنا المدينة وما حولها التي شرفها
الله تعالى بان جعلها ارض الحبيب اي حبيب رب العالمين
فمتبريه صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الذي هو اجل واعلى
من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعي الخلة وزيادة
اي ارض المدينة وما حولها بغض اي بخفض الطرف
مفعول منها اي من اجل الجلالة التي حفتها الضيا المشرق
عليها حسا ومعنى واللالاء اي البرق اللامع على صفحتها
المشار به الى مواهب الحق الفاضة على الزائرين ذي الضياء
واللالاء مراعاة النظير فكان بالتشديد وقد تخفف نحو كان
لم يدعنا الى ضرمسه للتشبيه المؤكد لان الاكثر انه مركب

من كاف التشبيه وان المؤكدة والاصل في نحو كان زيدا اسد ان زيدا
كاسد قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخول
الجار عليها قال بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى
يكاد الرائي يشك في ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذا
قالت بلقيس كانه هو قيل وترد للظن والشك فيما
اذا كان خبرها غير جامد **البيداء** من تلك الارض وهي اسم
لمحل قريب من ذي الحليفة المشهورة اليوم بابيار علي **من**
للتعليل وابتداء الغاية وكل منهما خفي فالاحسن انها زايدة
على مذهب الاخفش وجماعة **حيثما** ما زايدة **قابلت العين**
الناظرة اليها **روضة غناء** اى كثيرة العشب والنبات والازهار
والثمار **وكان البقاع** اى الاماكن التي حول المدينة المنورة
لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضوا المنزلة على ضريحه
المكرم صلى الله عليه وسلم **زررت عليها** اى البقاع **طرفيها**
عايد لقوله **ملاة** بضم اوله وهي ثوب عريض او ثوبان
ملفوفان كذا قيل وعبارة شرحي لشمايل الترمذي
الملاة بالضم والمد وهي كما في القاموس كل ثوب لم يضم
بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفي النهاية هي الازار
وفي الصحاح هي الملحفة ولا تنافي لصدقها على المعنى
الاول بكل من هذين تثنيت وبه يعلم ان الثوبين الملفوفين
ملاتان لا ملاة واحدة **حمراء** شبه تلك الانوار والاضوا
التي غشيت تلك البقاع وعمتها من ساير جوانبها
بخرقة حمرا اشدت على ما فيها ازرارها في عراها من
ساير جوانبها **وكان الارجاء** اى نواحي المدينة الغراء

نشرا

١٣٥

**نشرا** اى تذيع **نشرا** اى ريح **النبات فيها** اى تلك الارجاء
**الجنوب** وهي الريح التي تقابل الشمال **والجربيا** بكسر الجيم كما
هي كما في القاموس الشمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا
وهي التي تثير السحاب وهي المرادة هنا **فاذا شمت** بكسر
الشين المعجمة اى نظرت الى سحايب البرق اين تمطر في
تلك البقاع **او شممت** في القاموس شممته بالكسر
اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم **رباها** جمع ربوة
بتثليث الرا وهي ما ارتفع من الارض **لاح** اي ظهر وهو
راجع لشمت **منها** اى تلك البقاع **برق** راجع للاول
**وفاح** راجع لشممت ففيه لف ونشر مرتب **كباء** بوزن
كساء عود البخور او نوع منه اى ريحه من كبي بالتشديد ثوبه
اى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع **اى نور** اى نور
باهر **واى نور** بفتح اوله اى زهر نضير وبينهما الجناس
المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي
**شهدنا** هما اى راينا بابصارنا وبصايرنا **يوم** ظرف
لشهدنا **ابدت لنا القباب** التي هناك **قباء** محل مشهور
بينه وبين المدينة ثلاثة اميال **فمن ما دمعي** اى كثر وانهمل
من اجل ما شهدته حسرة على ما مضى لي من فراقه او فرحا
بوصولي اليه او خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب
في تلك الحضرة الجليلة **وفر** اى ذهب **اصطباري** لا سيما
بعد ان وصلت الى هذه الربا واحط رحلي بقبا وبين فر
وفر الجناس المصحف **فدموعي سيل** عظيم **وصبري جفاء** بضم
الجيم اي زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد في اسرع

فاذا شمت وشممت رباها
لاح منها برق وفاح كباء

اي نور واي نور شهدنا
يوم ابدت لنا القباب قباء

فمن ما دمعي وفر اصطباري
فدموعي سيل وصبري جفاء

ذلت فكذلك دموعي تذهب بصري فلا يبقى عندي منه شي وهذا
من جناس التذييل كقوله الاتي وكم اذهل صبا الى اخره
وفيه لف ونشر مرتب فبسبب ما ذكر انما شوهد يوجب
كثرة الدمع وفنا الصبر ترى اى ايها المخاطب الركب طائرين
اى جادين في السير حاثين لدوابهم يستخرجوا منها
اقصى ما يمكنها من الاسراع من اجل الشوق الى طيبة
فكيف بمشرفها عليه افضل الصلاة والسلام لهم
ضوضا اى اصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى
الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا مقصورة
الجلبة واصوات الناس لغة في المهموزة انتهت وبها
يعلم رد ما قاله الشارح فكان عطف على فترى الزوار ما
مست الباسا اى شدة السفر ومشقته منهم خلقا ولا
تاكيد لما قبله وكيف يمسهم شي من ذلك وكل نفس منهم
يتكرر منها ابتهال اى تضرع الى الله تعالى في ان يقبل عثارها
وسؤال اى توسل الى الله تعالى باحب خلقه اليه ودعا
اطناب ورغبة فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب وابتغا
اى طلب لما عند الله تعالى وزفير اى تواتر النفس وصعوده
لشدة ما يعتري القلب من خشية المؤاخذة لما فرط منه
وتفسير الشارح له تارة بارتفاع النفس للشدة وتارة
بحبسه فيه قصور عن ذكر نصا على الذى لابد منه في
حده تظن ايها المخاطب منه اى من اجل كثرة ذلك الزفير
وشدته بحيث سمع له صوت في الصدور ومن ثم
جا انه صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف

كان

ترى الركب طائرين من الشو
ق الى طيبة لهم ضوضاء
فكأن الزوار ما مست البأساء منهم خلقا ولا الضراء
كل نفس منها ابتهال وسؤل
ودعاء ورغبة وابتغاء
وزفير تظن منه صدورا
صادحات يعتادهن زقاء

كان يسمع له ازيز كازيز المرجل صدورا مفعوله الاول طيورا صادحات
اى مصوتات يعتادهن زقا بالزاى والقاف اى صوت عال
والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهر له في صدورهم
صوت اشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي يعتادهن
التصويت وعلو صوت وبكا يغريه بالعين اى يحمله على ملازمته
مد اى سيل من الدمع نشا عن حرقة القلب لفراق
المحبوب او خشية قطيعة او عن فرحة بلقيا الحبيب
والمثول في حضرته ونحيب وهو رفع الصوت بالبكا يحثه
اى يحضه ويزيد فيه استعلا اى علو الصوت بشدة وتتابعه
بالبكا وجسوم كانما رحضتها اى غسلتها ولذا سمى المغتسل،
مرحاضا من عظيم المهابة اى الجلالة التى استولت على قلوبهم
لما اناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة الرحضا اى العرق
الكثير من اثر الحمى اى جسوم قام بها من عظيم المهابة،
ما ازعجها ازعاجا يتولد عنه كثرة عرقها حتى كانه غسلها
ووجوه تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم من
القلق والخوف والحيا منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم
عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى كانما
البستها من اجل حيا بالمد ومن تفسيره وانه عربى باعتبار
اصله ومكتسب باعتبار كماله الوانها الحربا دويبة
مشهورة ذات الوان متعددة تستقبل الشمس براسها
ودموع من شدة البكا والحزن على عدم القيام بواجب
تلك الحضرة ومشرفها عليه افضل الصلاة والسلام كانما
ارسلتها من جفون سحابة وطفا اى مسترخية الجوانب لكثرة

وبكاء يغريه بالعين مد
ونحيب يحثه استعلاء
وجسوم كانما رحضتها
من عظيم المهابة الرحضاء
ووجوه كانما البستها
من حياء الوانها الحرباء
ودموع كانما ارسلتها
من جفون سحابة وطفاء

مالها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة الدمع
وكثرة تتابعه بسحابة مملوة ماء ثم جرد بذكر الجفون
ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة للمشبه
ففيه اربع استعارات وفي قوله كل نفس الى هنا من مراعاة
النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ
وعذوبتها بحيث سنا يحست الما العذب الذي من شانه
الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على
ذى ذوق عظيم بلاغته ومرله كثير من هذا النوع فبعد
ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما بيّنا مما مر شرحه
بقوله كل نفس الى هنا **وحططنا الرحال** بمغنا كرمه صلى الله عليه
وسلم نستمطر سحايب القبول والانعام ونستقيل عثرات
التقصير والاثام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما **حيث**
اي في مكان **يحط الوزر** اى الاثم والثقل **عنا** فيه بشفاعة
مشرفه عليه افضل الصلاة والسلام **وترفع** بلحظه واسعافه
وامداده عنا **الحوجاء** اى الحاجة بفنا النفوس وطلوع البدور
وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغني عن الاستدلال
والبرهان وبين الحط والرفع طباق **وقرانا السلام اكرم** اى
على اكرم **خلق الله** وافضلهم كما مرت الاشارة اليه مستوفاة
اول هذا الشرح واقتدى الناظم في هذا السلف فانه قد جا
افراد السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره عن ابن عمر
وغيره من السلف بل قال المجد اللغوى السلام عليه صلى
الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه عنده اي

وحططنا الرحال في مغنى كرمه حيث يحط الوزر عنا

وقرانا السلام اكرم خلق الله من حيث يسمع الاقراء

للاخبار

١٦٠٧

للاخبار الكثيرة الواردة فيه كخبر ما من احد يسلم علي عند قبري
الا رد علي روحي حتى ارد عليه السلام ويعارضه الحديث
الصحيح انه تعالى يصلي هو وملايكته على المصلي علي في الصلاة
الواحدة عشرا وفي رواية مائة وصلاة الله افضل من رده
صلى الله عليه وسلم اذ كان رده ربما لا يرد على انه صلى الله
عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى اذ توجه الافضلية
للسلام بانه شعار اللقا والتحية فحينئذ تختص افضليته
بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقا فالصلاة
بعده اولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة
ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام
ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم **من حيث**
اي من مكان وقوفنا بتلك الحضرة التي **يسمع الاقرا** للسلام
منه وفيه رد العجز على الصدر وما اقتضاه كلامه من
ان زايره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره
يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان
من صلى وسلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل
عليه احاديث كثيرة ذكرتها في كتابي الدر المنضود في الصلاة
والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة في الجوهر
المنظم في زيارة القبر المكرم منها ما جا عنه صلى الله عليه وسلم
بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى علي عند قبري سمعته
ومن صلى علي من بعيد اعلمته وصح وان نوزع ما من احد يسلم
علي الا رد الله روحي حتى ارد عليه السلام وصح من غير نزاع
فيه بعتد به من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه

قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه
فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض
عليك وقد ارمت اي بوزن ضربت اي بليت قال ان الله عز
وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا وفي رواية فنبي
الله حي يرزق وبقيت احاديث اخر متعارضة جمعت بينها
في الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام
اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع
سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة في اكرام الزاير والاعتنا
بشانه والاستشهاد له بذلك سوا ليلة الجمعة وغيرها
واما رده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح ان من سلم
على قبر اخيه المومن سمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى
الله عليه وسلم بزايره لم تكن له خصوصية بذلك وكفى
الزاير تميزا انه صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير
واسطة ويكفي المصلي والمسلم من بعيد قرب رده صلى الله عليه
وسلم ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه
لانه صلى الله عليه وسلم حي على الدوام فروحه لم تفارقه ابدا
وصح الانبيا احيا في قبورهم يصلون والاحاديث في ذلك
كثيرة جمعها الامام البيهقي في جزء واستدل لها على دوام
حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام حياة مخصوصة
اعلى وانم من حياة الشهداء المنصوص عليها في القران
**وذهلنا** اي غبنا عن احساسنا او عن ماعدا ما نحن بصدده
**عند اللقا** لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات
ذلك الجمال **و** لا بدع في هذا الذهول اذ **كم اذهل صباء**

وذهلنا عند اللقا وكم اذ

اي



اي شديد الصبابة التي هي رقة الشوق عليه وغلبة استيلايه
**من الحبيب** اي المحبوب وهو متعلق بقوله **لقاء** لان من شانه
ان يدهش الصب ويخرس المحب ويغيبهما عن ماعدا المحبوب
والاستلذاذ بشهوده وانسه **ووجمنا** بفتح الجيم اي
سكتنا عن الكلام عند اللقا ونحن ما دمنا في تلك الحضرة
العلية فلم يبق فينا متسع له **من اجل المهابة** اي الجلالة
والمخافة **حتى** اجتمع علينا امران لا يوجدا جمعا عما الا في
نحو هذا المقام وهما **لا كلام منا** مما نريد **ولا ايماء** منا
بوجه الى ما نطلبه وذلك كان من ثمرة الجلال واستولت
عليه خوارق الاحوال كما قال القايل •
• وكم رمت بث الشوق عند لقائه • فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا
**ورجعنا** الى بلادنا **وللقلوب التفاتات** كثيرة جدا برعاية
المقام **اليه** اي نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة
للمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه
مع ادامة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم
**وللجسوم** جمع جسم وجسم الشي جرمه الذاتي من الارض
**انثناء** اي انعطاف الى البقا في حضرته صلى الله عليه وسلم
ابدا ان تيسر والا فالى تكرر زيارته صلى الله عليه وسلم
**وسمحنا** اي جدنا **بما** اي بنفيس لا يجود احد بمثله هو التمتع
بتلك الحضرة العلية الذي **نحب** دوامه وعدم مفارقته
ولكن ضرورتنا الى العود لبلادنا لاجل القيام بمن فيها تخفف
الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات فاننا وان
كنا بخلا بهذا الفراق لنا اسوة بالبخلا في ذلك **وقد** وقع

ووجمنا من المهابة حتى
لا كلام منا ولا ايماء

ورجعنا وللقلوب التفاتات
اليه وللجسوم انثناء

وسمحنا بما نحب وقد يسمح
عند الضرورة البخلاء

يقينا انه يسمح عند الضرورة التي لا يستطاع معها الترك البخلا
بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل الطباق ولما تمم
مقصده بالرثة صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير
شرع ينادبه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به
والمناسبة لطلبه منه ان يخصه من تلك القسمة التي والاها
الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده
من مدحه صلى الله عليه وسلم والثنا عليه استعطافا له
لينظر اليه بما يفوز به في الدنيا والاخرة ويامن به من كل محنة
باطنة او ظاهرة ومن ثمة خص جواب اقسامه بقوله
الاتي الامان الامان الى اخره فقال يا ابا القاسم هذه كنيته
صلى الله عليه وسلم التي اختص بها فلا يجوز لاحد التكني
بها مطلقا على الاصح عندنا سوا في زمنه صلى الله عليه
وسلم وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر
في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سببه
النهي ان اليهود كانوا ينادونه بذلك فيتلفت صلى الله عليه
وسلم اليهم فيقولون له لا نعنيك فنهى الناس عن التكني
بذلك ومن ثم اخذ بعض ائمتنا ان المنع خاص بزمن حياته
صلى الله عليه وسلم وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد
وتكنية علي رضي الله تعالى عنه ولده محمد بن الحنفية
رضي الله عنه بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان
صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه
مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم

الاعلام

الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى
في جميع شونه لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف
والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح ايضا انما انا قاسم والله يعطي ولاجل هذا عدوا
من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه اعطي مفاتيح الخزاين
قال بعض العلما وهي خزاين اجناس العالم ليخرج لهم بقدر
ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى
الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح
الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه
وسلم باعطايه مفاتيح الخزاين الالهية فلا يخرج منها
شي الا على يد به صلى الله عليه وسلم وقيل انما كني بذلك
لانه كان له ولد من خديجة رضي الله تعالى عنها يسمى القاسم
الذي ضمن من تضمن كذا شيئا علمه اقسامي عليه بكسر الهمزة
بالاقسام الكثيرة الاتية في نيل مطلوبي منه صلى الله عليه
وسلم مدح فرقوا بينه وبين الحمد بامور احدها ان الحمد
هو الثنا على الجميل الاختياري والمدح على ما لا على الاختيار
للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن
علم وبصفة كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة
وان كان فيها نقص ما رابعها ان في الحمد من التعظيم
والفخامة ما ليس في المدح والحمد اخص بالعقلاء
والعظما واكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف
انهما اخوان اي متشابهان لا مترادفان قاله الطيبي
وقال السيد بل مترادف واستدل له بكلام الفايق وانتصر

بعض المحققين للاول بما النسر هذا محل بسطه واكثر العلما على
ان الحمد مختص بالاختيارى والمدح اعم **له وثنا** هو على القول
الاخير مرادف للمدح لانه لايكون الا فى الخير الاختيارى وغيره
والمدح على ذلك القول كذلك وبما تقرر ان عليه اكثر العلما
يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير فى الجملة وعليه يحمل
كلام الشارح اما المدح والحمد ففيهما تقابل او مراعاة النظر
او ترادف **بالعلوم** اي اقسم عليك بها لتشفعن لى بما يومننى
من كل مكروه بان يعطينى الله الامان الامان منه وكذا يقال
فى الاقسام الاتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف
ليجاب سؤاله ومن ثم قال بعض اصحابنا فى اقسم او اقسمت
عليك ليفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعله
اول الاقسام لان مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا تساوى
لها ومن ثم لم يومر صلى الله عليه وسلم بالسؤال بالزيادة مما
هو عليه الا للعلم وقل رب زدنى علما وهو صفة يتجلى بها
المذكور لمن قامت به تجليا يمتنع من احتمال النقص **التى**
تنزلت **عليك من الله** حال كونها **بلا كاتب** من الكتب وهو الجم
واما المحصل **لها** اليك **املاء** اي اقرا من جبريل وهذا الذى قررته
فى اعراب هذا البيت اولى مما سلكه الشارح فتامله وبين
القاسم والاقسام جناس مطلق والكناية والاطباق
**و** اقسم عليك بها او بتنبيه ايضا من **ومسير الصبا** وهى الريح التى
مهبها مطلع الشمس عندما يستوى الليل والنهار وهى مراد
الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا
تقابلك وهى مستقبل باب الكعبة وتطلق على ما يهب من بين

بالعلوم التى علمتك من الله بلا كاتب لها املاء
ومسير الصبا بنصر شهر فكان الصبا
لديه رخاء

هذا

هذا المطلع الى قريب سهيل وسماه الى قريب القطب الشمالى واخرج
الشيخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ما بين مطلع الشمس
والجدى يسمى صبا ويسمى شمالا وبتسميته صبا صرح عثمان
الاعرج من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس
الى كرسى بنات نعش وفى القاموس الشمال الريح التى تهب
من قبل الحجر اي بكسر الحا ثم قال والصحيح انه ما مهبه
بين مطلع الشمس وبنات نعش ومن مطلع الشمس الى مسقط
النسر الطاير وفيه والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا
الى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا والجنوب ريح
تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا
ولهذه الريح اثر بين فى نصرته صلى الله عليه وسلم فى
وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر **بنصره** اى بسببه
وهو الرعب الذى قطع قلوب اعدائه واخمد شوكتهم
وبدد جموعهم **شهرا** مقتبس من قوله صلى الله عليه
وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور مع قوله
اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلى نصرت
بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنها يعلم ان الصبا
كانت تسير بسبب نصره صلى الله عليه وسلم وهو الرعب
اى الخوف منه المزعج لاعدايه مسافة شهر من ساير نواحى
المدينة لم يرفع احد منهما راسه الا اختطفته لوامع سيوف
نصره صلى الله عليه وسلم وفى اصف اسنة قهره عليه
الصلاة والسلام والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يتولى
عليه لا تزيد مسافته فى حياته صلى الله عليه وسلم على شهر

فلابيا في ذلك ان ملك امته يزيد على ذلك بكثير واحترز عن غيره
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان رعبهم اذ وجد لا
يصل لهذه المسافة وفي رواية على العدو بالرعب ولو كان بيني
وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به
مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلاده صلى
الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه
الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير
عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال لانت
اظهرها كما تقتضي به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا
وافرا فكان الصبا له كالرخا هي الريح اللينة المسخرة لسليمان
صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك مسخرات
لذات سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وهذه
مسخرات لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم
وهي هيبته عليه الصلاة والسلام وايضا فتلك انما
كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها
من غير توسط امر من نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه
الاعلى بالادنى نظير كما صليت على ابراهيم في صلاة التشهد
على احد الاجوبة فيه وفي ذكر الرخا بعد الصبا مراعاة
النظير تنبيه اصول الرياح اربعة الصبا وهي
التي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة والدبور
من ورائها باردة رطبة والجنوب من جهة يمينها حارة
رطبة والشمال من جهة شمالها باردة يابسة واشرف

بقوله



بقوله اصول الى ان لهم فروعا كالنكبا وفسرها بعض السلف
بانها بين الصبا والجنوب واطال في القاموس الكلام فيها
وحاصله النكبا ريح انحرفت ووقعت بين ريحين او بين
الصبا والشمال او نكب الريح اربع الازيب نكب الصبا
والجنوب والصبا والقابيب وتسمى النكبا ايضا نكب
الصبا والشمال والجربيا ونكب الشمال والدبور وهي
فحمة الازيب والهيف نكبا الجنوب والدبور وهي فحمة
النكبا وتفسير كل بما ذكر فيه هو الاصل فلا ينافي ما مر انفا
من اطلاق بعضها على خلاف ما فسرت به هنا وفي القاموس
الجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع
الثريا تنبيه ثان روى مسلم ان الشمال ريح
الجنة التي تهب عليهم وينافيه الحديث الذي اخرجه ابن
جرير وابن مردويه وابن ابي الدنيا وابو الشيخ ريح الجنوب
من الجنة وهي من اللواقح وفيها منافع للناس والشمال
من النار تخرج فتمر بالجنة فيصيبها نفحة منها فبردها
من ذلك ويجاب بانما ذكر في الحديث الاخير هو حال الشمال
في الدنيا بخروجها اولا من النار ثم تتكيف بريح الجنة
وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة
البردية لان من شان الاول كثرة الحركة وشدة الانضاج
والثانية ملايمة النفس وازالة انحدارها فهذا حالها
في الدنيا واما في الحديث الاول هو حالها في الاخرة فاهل
الجنة لا يرون سواها كما يصرح به قوله وهي ريح الجنة
وحديث ريح الجنوب من الجنة غاية امرهما انهما بدلان

على ان ريح الجنوب من بعض رياح الجنة وما دل عليه حديثا
الشمال من ذكر خالها وما اختصت به في الدنيا والاخرة
اعلا مما دل عليه حديثا الجنوب فتامله فان قلت
جا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الجنوب سيد
الارواح واسمها عند الله الازيب قلت هو معارض
بما جا عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله
تعالى عنهم الشمال ملح الارض ولولا الشمال لا تنبت
الارض فهذه فائدة جليلة دنيوية نشات من خروجها
اولا من النار خلت عنها الجنوب فلتكن الشمال افضل
او يقال كل منهما افضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج اولا
من الجنة والشمال لكونها هي التي تهب على اهل الجنة
فيها هذا بفرض تكافي سند الحديثين وليس الامر كذلك
اذ سند حديث مسلم لا يوازيه شي وحينئذ لا يعارض حديثه
شي من الاحاديث الاخر لانها ليست في رتبته بل ولا قريب
منها لانها في حيز الضعيف وهو لا يعارض الصحيح وفي اثر
عثمان الاعرج انه ذكر الارواح الاربعة وحد كل فقط الا الشمال
فزاد انها تمر بجنة عدن فتاخذ طيب عرفها وفيه ان الاربع
مساكنها تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش وانها تهيج فتقع
بعجلة الشمس فتعين الملئكة على جرها من عجلة الشمس فتقع
في البحر ثم تهيج من البحر فتقع في روس الجبال فتقع في البر ثم
ذكر ان حد الشمال من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس وحد
الدبور منه الى مطلع سهيل والجنوب منه الى مطلع الشمس
والصبا منه الى كرسي بنات نعش فان قلت علم مما

تقرر

تقرر ان كلا من الجنوب والشمال له مزية بخلاف الصبا مع انها
التي نصر منه صلى الله عليه وسلم وكان القياس ان تكون نصرته
صلى الله عليه وسلم باحد ذينك لتكون الافضل ولو من وجه
بل كان القياس اختصاص ذلك بالشمال لما تقرر انها الافضل
مطلقا قلت ان اخذنا بما عرف مما مر ان الشمال تطلق على
ما يعم الصبا فالامر واضح وان قلنا بتغايرهما كما هو الاصل
فحكمة ذلك والله اعلم ان وقت مهب الريح هو المعين على
قتاله العدو بخلاف وقت مهب الشمال وقد يكون في المفضول
مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل فتامل ذلك كله فانه مهم
مع اني لم ار احدا اشار لشي من ذلك انتهى قال بعض المفسرين
والريح مسكنها تحت الارض الثانية كما ورد في الحديث الصحيح
وفيه لما اراد الله سبحانه ان يهلك عادا امر خازن الريح ان يرسل
عليهم ريحا يهلكهم فقال يا رب ارسل عليهم بقدر منخر الثور
فقال له الجبار سبحانه كنت تكفي الارض ومن عليها لكن ارسل
عليهم بقدر الخاتم قال في الحديث والارض الثالثة فيها
حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها
حيات جهنم والسادسة عقارب جهنم والسابعة فيها سقر
وابليس مصفد بالحديد قال فيه فاذا اراد الله ان يطلقه
لما شا من عباده اطلقه رواه الحاكم وقال الحافظ المنذري انه صحيح
ولم يخرجه الشيخان ولا ينافي هذا قول الشارح السابق وفيه
ان الاربع مسكنها تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش لجواز ان
تكون اجنحة الكروبيين تحت الارض الثانية لما ورد ان اقدامهم
تحت الارض السابعة واقسم عليك ايضا بمعجزاتك العظمى

مع علي كرم الله وجهه في غزوة خيبر لما سرت اليه ودفعت
الراية وكانت سوداء لعلي رضي الله تعالى عنه ففتح بعض
حصونها وارسلت ابا بكر لحصن اخر فقاتل ورجع بلا فتح
فارسلت عمر رضي الله تعالى عنه فقاتل ورجع بلا فتح وقد
جهد فقال صلى الله عليه وسلم وفي نسخة فقلت لاعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوف
كل احد لذلك فسالت عن علي رضي الله تعالى عنه فقيل به رمد
فدعوت عليا فجاوا انسان يقوده من شدة الرمد فحينئذ
تفلت بعينيه وكلتاهما امعا خال موكد رمدا ثم قلت
له خذ هذه الراية وامض لها حتى يفتح الله بها على يديك فبراتا
لما خالطهما ريقك الذي هو الشفا الاكبر فغدا اي ذهب بتلك
الراية يضرب بعينيه المثل في حدة الابصار كما يضرب ببصر
العقاب الذي هو سيد الطيور كما في الكامل ومن ثم قال
ناظرا بعينيه عقاب ومن امثال العرب ابصر من عقاب
ولما غدا وهو كما ذكر هرول هرولة حتى ركز رايته في رضم من
حجارة تحت الحصن وقال له يهودي من باب الحصن من انت
قال علي بن ابي طالب علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران
فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه يهودي
فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس به واستمر يقاتل
حتى فتح الله عليه ومن كبر هذا الباب ان ثمانية ارادوا ان
يقلبوه فلم يستطيعوا وحمله ايضا باب الحصن على ظهره حتى
صعد المسلمون عليه ففتحوها فجروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون
رجلا هذا كله في غزاة معهودة من اعظم الغزوات واجل الفتوحات

وهي

وهي غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية
برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع لها العقاب
لواء اراد باللواء الراية وهو العلم الضخم لان الذي كان يومئذ
راية لا لواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر
وقبلها كانت الالوية فقط نعم قال عياض في مشارقه
اللواء الراية وعليه فلا تجوز في النظم وتلك كانت تسمى العقاب
لانها سوداء او لون العقاب وكانت من برد عائشة رضي الله
تعالى عنها ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطي
وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام واما قول شارحه
ان التي تسمى العقاب بيضاء وانها التي اعطاها لعلي رضي الله
تعالى عنه فهو مخالف لما رايت من كلام اهل السير على انه ناقض
ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل ان العقاب
كانت تحوم على لحوم القتلى لانها رايات مرتفعة وهذا الاحتمال
لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم
كانت يومئذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي اعطاها
لعلي ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اعطاه غيرها كما اعطى اثنين
رايتين غير راية علي كرم الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عليا رضي الله تعالى عنه
هو الذي كان معه لواء النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف وعن
سعيد بن المسيب ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر لما مر
ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر واما تسميته راية الانصار
يوم احد بالعقاب فهو جري على ما عليه اهل اللغة ان كل راية

تسمى العقاب كما ان راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه
فقول الناظم لها العقاب لو لا تحتفر بخبير خلافا لما يوهمه
صنيعه واضمم عليك ايضا برىحانتين ومما سيدنا الحسن
وسيدنا الحسين كرم الله وجههما وفي تسميتهما بذلك اقتباس
من قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى هما ريحانتاى
من الدنيا وفي رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا
طيبهما حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل منك
لانهما بضعتان منك مع ملاحظتهما به من المزايا والخصوصيات
وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا بين الصحابة
يضرب به المثل وان لم تتطيب بل كانت ام انس تاخذ من عرقه
صلى الله عليه وسلم ليتطيبوا به لباهر ريحه الذى نعت
لطيبهما اودعنهما بالبنا للمفعول فاطمة الزهراء مبتدا
خبره ما قبله وهو الصلة والموصول كذا ذكره الشارح ولا
يصح لخلو جملة الصلة عن عائد للموصول وجوز البنا للفاعل
وان المفعول الثانى محذوف اى الذى الزهراء اودعتهما اياه
وفيه تكلف وحذف من غير دليل فالصواب ان الذى نعت
للريحانتين لتاويلهما بالمذكور او نحوه ونظير ما ذكرته في
الذى قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابو داود وهذا
منى يعني الحسن والحسين ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم
كالذى خاضوا قال ابو حيان يجوز استعمال الذى بمعنى
الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه
ثم قال والذى يختاره اى في قوله تعالى كمثل الذى استوقد
نارا انه افرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل

للجمع



الجمع اعتبارا بمعناه الذى استوقد وقيل في الاية الذى بمعنى الجنس
فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفه
لفظ مفرد وكل من ذلك ياتي فيما نحن فيه فاستفده واشار
بقوله اودعنهما الى ما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم
ان اولاد بناته صلى الله عليه وسلم ينسبون اليه في الكفاءة وغيرها
ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذى
اودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت
بالزهراء لانها لم تحض كما في حديث رواه النسائي وروى الخطابى
ابنتى فاطمة حوراء ادمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها
فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم
عليا وفاطمة وابنيهما وياتى ذكر شيء من فضائلهم بلا اسانيد وقد
استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان احكامها وما يتعلق
بها في كتابى الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والرفض
والابتداع والزندقة الذى لم يؤلف في هذا الباب اجمع منه
اخرج الطبرانى والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبي في
صلبه وجعل ذريتى في صلب على بن ابي طالب وفي حديث
رجاله ثقات الا واحدا فيختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم
خطب وهو محاصر الطائف فمما قال اوصيكم بعترتى خيرا
وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن
الزكاة او لابعثن عليكم رجلا مني او كنفسى يضرب اعناقكم ثم
اخذ بيد على وقال هو هذا توفى على كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث
وستين سنة ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر
رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح

بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه راى النبي صلى الله عليه
وسلم الليلة فشكا عليه ما لقي فقال له ادع عليهم فدعا انه
يبدل خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر في تلك الليلة
من الخروج والنظر الى السما وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت
وانها الليلة التي وعدت بها ليلة الاحد واختلف في موضع قبره
لانه اخفي خوفا من ان ينبشه الخوارج وفي رواية ان الصغر حملوه
ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذي يحمله فلم
يدر اين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه في السحاب
كنت على الدوام تاويهما اي تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما
وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال فنظرت
الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت
حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني هذان ابناي
وابنا بنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذي
احب اهل بيتي الى الحسن والحسين واحمد وابن ماجه والحاكم
من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني
وجا من طرق صح بعضها ابناي الحسن والحسين سيدا شباب
اهل الجنة وابوهما خير منهما وفي قوله وابوهما خير منهما حجة
لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل من اهل البيت
نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبه يوجه قول
بعض المتاخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اي من حيث تلك
البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة
فتامله تنبيه قوله صلى الله عليه وسلم سيدا
شباب اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة

كنت تاويهما اليك على الدوام
من الخطر لتقطعهما السباع

ليس



ليس فيها شباب لان الوارد ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون
على خلقة ابنا ثلاث وثلاثين سنة ثم يدخلونها وهم كلهم
مستوون في هذا السن الذي هو سن الكهولة واعدل الاسنان
واشرفها فلهذا اختير كونهم عليها وحينئذ فليس في الجنة
شباب ولا كهول ولا شيوخ فاي شباب هما سيداهم ويجاب
بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هولاء من غير
استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما قد يسودانهم وهم
الاكثر وقد لا كابيهما والائمة الثلاثة قبله ونحوهم والحاصل
انهما سيدا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيهم
تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط ويحتمل ان المراد شبابهما
فرضا وخصوا لان النفس انما تتشوف غالبا لمن هو على سنهما
الذي تفضلت فيه على غيرها من اهل ذلك العصر ثم رايت
بعضهم فر من الاشكال بنحو ما ذكرته لكن ما ذكرته اظهر في الاشكال
ورايت عنه اجوبة لثلاثة من الائمة فيها بعض مخالفة
سهلة لما ذكرته وزيادة على ما ذكرته وسأشير لذلك منها
اجوبة ثلاثة لابن الحاجب منها واستظهره انه سماهم باعتبار
ما كانوا عليه عند مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال
للصغير يموت من صغار اهل الجنة والشيخ المجلوم بصلاحه
من شيوخ اهل الجنة فهما سيدا شباب اهل الجنة بهذا
الاعتبار وحسن الاخبار عنهما بذلك وان كانا لم ينتقلا
عن الدنيا شابين لانهما كانا عند الاخبار كذلك انتهى وهذا
يرجع عند التامل الصادق الى قولي ويحتمل ان المراد شبابهما
فرضا الى اخره بل ان زاد صدق تامله راى ان التعبير بما ذكرته

اوضح وجوابه الثاني ان يراد بهما سيدا شباب اهل الجنة باعتبار
ذلك الوقت الذي كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين
الزام انهما سيدا المرسلين لانهما شباب في الجنة لانهم غير
داخلين في شباب الجنة اهل الجنة على المعتبرين جميعا انتهى
وقوله لانهما شباب في الجنة الذي بني عليه ايضا بعض ما
سبق عنه ممنوع وانما الذي دل عليه حديث كونهم يدخلونها
على سن ابنا ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة اذ الشباب الى
الثلاثين والكهولة الى الاربعين ثم منها شيوخة وحينئذ
صح ما اجبت به دون بعض ما اجاب به وله جواب ثالث
مبني على ان اهل الجنة شباب وقد علمت ان الواقع خلافه
فلا حاجة في ذكره على انه في ذاته فيه غموض وعدم وفاء
بالمقصود وان سلم ما بناه عليه كما يعلم بتامله لمن وقف
عليه واجاب غيره بان معناه انهما افضل من مات شابا
في سبيل الله من اهل الجنة ولم يرد انهما من الشباب لانهما
ماتا وقد كملا لما كملا يفعله الشباب من المروة كما يقال
فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروته وفتوته او انهما سيدا
اهل الجنة سوى الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين وذلك
لان اهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم
شيخ ولا كهل انتهى وقوله وهو الشباب مردود واجيب
ايضا بانه يمكن ان يراد بهما الان سيدا شباب من هم اهل
الجنة من شباب هذا الزمان انتهى وليس فيه كبير تمدح
فينا في الغرض ذكره صلى الله عليه وسلم ذلك مدحا لهما
والحاصل ان الذي يتجه في هذا المقام وبه يحصل الجواب

الواضح



الواضح ان الذي كتبت له السعادة المعتبر عنهم لكونهم اهل الجنة
شباب وشيوخ وكهول وان الحسنين تميزا في حال شبابهما بل
في صغرهما بفضائل على من هو في سنهما حينئذ لا يحصى ولا
يستثنى منهم احد بل في حال شبابهما فضلا عن جميع الشباب
الموجودين حينئذ من غير استثناء بل الشباب مطلقا من غير
استثناء ايضا اذ لا يعلم وهما في شبابهما ان شابا قبلهما ولا بعدهما
ساواهما فضلا عن كونه فضلهما واذا تقرر هذا فان حال كونهما
فضلا الشباب من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ
فانهما لم يفضلا مما على الاطلاق في حالة من الحالات خص
الشباب بالذكر واضافهما الى الجنة باعتبار انه يقال لمن
هو في حال شبابه وقد كتبت شهيدا هذا من شباب الجنة
اي من الموصوفين الان بكونه من الشباب وكونه من اهل الجنة
وحينئذ اتضحت حكمة الشباب واتضح ايضا فيهم واتضح
انه لا يحتاج الى استثناء الخلفاء الاربعة فضلا عن الانبياء
واتضح ان في هذا من التمدح لهما ورفعة قدرهما وبيان تميزهما
ما لا يخفى عظيم وقعه فتامله لتستريح من تلك الاجوبة
المطولة مع ما فيها مما سبق ومما في هذا الجواب الذي هو اوضحها
واوضعها كما او في بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر في
اصل الكلمة من الخط حال من الفاعل نقطتهما البناء اي ابواء
كابوا الباء لنقطتيهما حال كونهما من جملة حروف الخط وكان اخذ
هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن كان النبي صلى
الله عليه وسلم ياخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد
الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول رب اني ارحمهما

فارحمهما ومما صح عن اسامة ابن زيد رضي الله تعالى عنهما طرقت
على النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء
قلت فما هذا فكشفه فاذا حسن وحسين على وركيه فقال
اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب
من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل وقد حمل الحسين
على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى
الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالباء انها
خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الى ان الالف افضل الحروف
لانها مادة كل حرف في الاخر الحقيقة كما انها الاول كذلك وهكذا
شان نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة
وآخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومنبث في
جميع الانبيا بالفعل تارة بالنسبة لمن في عموده نسبه وبالقوة
اخرى بالنسبة لمن ليس في عموده من بيان للريحانتين
وحينئذ فالتجريد فيه خلافا لما ذكره الشارح شهيدين
اما شهادة الحسن وكانت ولادته في نصف شعبان بالمدينة
سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية ارسل
الى زوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها
مائة الف درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت
ليزيد بما وعدها فابى وفي سنة موته اقوال والاكثرون
انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه
فابى وقال الله اشد نقمة واجد كبدي تنقطع واني لفارق
من اين ذهبت فبحق عليك لا تكلمني في ذلك بشيء ثم قال واقسم





عليك ان لا تريق في امري محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر
يا اخي ان اباك استشرف لهذا الامر مرة بعد المرة فصرفه
الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت
له واني والله ما ارى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما
يستخفنك سفهاء الكوفة فيخرجوك وقد كنت طلبت من عائشة
ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت
فاطلبه منها وما اظن القوم لا يمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم
فلما مات سال الحسين عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت
نعم وكرامة فمنعهم مروان لانه كان والي المدينة فلبس الحسين
ومن معه السلاح حتى رده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى
جنب امه رضي الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من اذيته فلما
مات بكى في جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه صح
ما تجرعه فقال اني كنت افعل ذلك الى احد من هذا واشار بيده
الى الجبل وكان مروان هذا اشد الناس بغضا لاهل البيت وكان
هذا سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي
الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به للنبي
صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم
فقال هذا هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون وروى
ايضا حديثا من جملته قول عائشة رضي الله تعالى عنها
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان
في صلبه نعم في الحديث انه صلى الله عليه وسلم سال ربه
من شتمه او لعنه او دعا ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة
وطهارة ومن فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله

على عاتقه ويقول اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه
وليبلغ الشاهد الغائب اللهم اني احبه واحب من يحبه ثلاث
مرات وفي رواية يجعل ينفخ فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك
وفي اخرى من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي
يوم القيامة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان
الجنايب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله
ماله ثلاث مرات وكرمه باهر وحكاياته فيه اشهر ولم يسمع منه
كلمة فحش قط الا قوله مرة عن مخاصمه ليس له عندنا الا ما
رغم انفه وجا من طرق كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه
وسلم قال وهو على المنبر ان ابني هذا اي الحسن سيد ويصلح
الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله له
ذلك فان اباه كرم الله وجهه لما توفي تولى الخلافة بمبايعة
اهل الكوفة وكان اخر الخلفا الراشدين بنص جده صلى الله
عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الخلافة بعدي ثلاثون
سنة فهي خلافته مع السنة الا اشهر الباقية منها وعند
مضيها سار الى معاوية في اربعين الفا فلما ترا الجمعان علم الحسن
انه لم تغلب احدى الطائفتين حتى تذهب اكثر الاخرى فرضي
بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها
معاوية فنزل له وحينئذ صار هو الامام الحق وقبل ذلك
كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن آثما بل ماجورا واما شهادة
الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن
فقها يليه رضي الله تعالى عنه حديث حسين مني وانا من
حسين احب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط





وفي رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجا من طرق
صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية ملك القطر ولعلهما
واقعتين جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين
مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه لام سلمة
واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله
عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلا وفي رواية فاشار
جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا
يخالف لان ذلك الموضع يسمى كربلا وبالطف كذلك قال
بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف
بقرب الكوفة وروى الطبراني اما حسن فله هيبتي وسوددي
واما حسين فله جرائتي وجودي وروى البغوي وغيره سمى
هارون ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين
وجا ان العرب لم تسم بهما في الجاهلية فنسبهما ان يزيد
لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان ياخذ
له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه
اهل الكوفة انهم يبايعوه ونهى ما هم فيه من الجور فنهاه
ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلهم
لاخيه وامره ان لا يذهب باهله ان ذهب فابى فبكى ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن عمر نحو
ذلك فابى فقبله ما بين عينيه وقال استودعك الله من قتيل
وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله تعالى عنهم بل لم يبق بمكة
الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملا
طستا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل

اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد بن زياد فقتله وسار الحسين
غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فساله فقال قلوب الناس
معك وسيوفهم مع بني امية والقضا ينزل من السماء
ولما قرب من القادسية تلقاه من اخبره الخبر وامره بالرجوع
فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول لا حتى ناخذ بثارنا
او نقتل ثم سار فلقيه اوايل خيل ابن زياد فعدل الى كربلا
فجهز اليه ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا
منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه
وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما
جاهم فروا عنه الى عدوه فحارب ذلك العدو الكثير ومعه
من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا
ولولا انهم حالوا بينه وبين الما ما قدروا عليه ولما استحر
القتل في اهله حتى بلغ خمسين صاح اما ذاب يذب
عن حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث
رجا شفاعة جده فقاتل بين يديه حتى قتل ثم تفانى اصحابه
فبقي منفردا فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا
عليه حتى حالوا بينه وبين حرمه فصاح رضي الله تعالى عنه
كفوا سفهاكم عن النسا والاطفال فكفوا فلم يزل يقاتلهم
الى ان اثخنوه بالجراح لانه طعن احدا وثلاثين طعنة وضرب
اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الى ان
سقط الى الارض فحزوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام
احدى وستين ووضعه قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد
متبجحا بكونه قتل خير الناس فامر بضرب عنقه وقال

اذا



اذا علمت انه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه
وبني اخيه الحسن ومن اولاده جعفر وعقيل تسعة عشر
رجلا قال الحسن البصري ما كان على وجه الارض يومئذ
لهم شبيه وجعل ابن زياد الراس في طست وجعل يضرب
ثناياه بقضيب ويدخله انفه ويتعجب من حسن ثغره
فبكى انس رضي الله تعالى عنه وقال كان اشبههم برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك
فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل
ما بين الشفتين وبكى فاغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل
فقال لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى
وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع صلى الله عليه وسلم
يده الكريمة على يافوخهما ثم قال اللهم اني استودعك اياهما
وصالح المومنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه
وسلم عندك يا ابن زياد انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ
من قبايح الفسق والاخلال عن التقوى مبلغا لا يستكثر
عليه صدور تلك القبايح منه بل قال احمد بن حنبل
بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان بانه لم يقل ذلك ٢
الا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده وان
لم تثبت عند غيره كالغزالي فانه اطال في رد كثير مما نسب
اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت في طريق صحيح انه قتله ولا
امر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكابن العربي
المالكي فانه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد انه قال

لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اي بحسب اعتقاده الباطل
انه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد
ويكفي فيها بعض الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين
اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى استخلاف
ابيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من
اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار
الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الامام
الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد
الحسين رضي الله تعالى عنه اقتضى جواز او وجوب الخروج على
يزيد لجوره وقبائحه التي تصم عنها الاذان فهو اعني الحسين
رضي الله تعالى عنه محق بالنسبة لما عنده لا سيما اذ راى
ما راى الامام من كفره وبه يرد ايضا ما قيل نظير ذلك
حال معاوية مع الحسن قبل نزوله له عن الخلافة ومع علي
كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير اثم
لاجتهاده فالحسين كذلك فليتامل فان كلام الايمة فيه
كالمتنافي ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ومما
ومما يبطل توجيه تلك الكلمة ما ذكرته في مختصري تاريخ الخلفا
للحافظ السيوطي ان رجلا سمى يزيد امير المومنين فامر عمر
ابن عبد العزيز خامس او سادس الخلفا الراشدين ولا يرد
الحسن رضي الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان
منهم بنص الحديث الصحيح على ان الخلافة بعده صلى الله عليه
وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته سنة الا ستة اشهر تكملة هذه
الثلاثين لا انه الم نظر ولم يدن له ما دان للاربعة من جميع بلاد

الاسلام



الاسلام فكانه اندرج في خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من
الاربعة وحينئذ تعين ان خامسهم عمر رضي الله تعالى عنه
فضربه عشرين سوطا فهذا صريح في انه كان متغلبا بالشوكة
لا اماما لان الذين هم اهل الحل والعقد حقيقة اكره اكثرهم
على بيعته كما صرحت به في المختصر المذكور تبعا لاصله واقلهم
من اجلا الصحابة هربوا الى مكة وباتي قريبا ذلك مع زيادة
عليه ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالراس فوضع على
ترس عن يمينه والناس سماطان ثم انزله وجهزه مع رؤس
اصحابه وسبايا ال الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم
عليه والمشهور انه جعل ينكت الراس بالخيزران وجمع بانه
اظهر الاول واخفى الثاني قيل والعجب كل العجب من ضرب ابن زياد
ثنايا الحسين بالقضيب وحمل ال النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب
الجمال موثقين في الحبال والنسا مكشوفات الوجوه والرؤس
ولما وصلوا الدمشق اقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى
والسبي وقيل ان يزيد ارسل براس الحسين ونقله ومن بقي من
اهله الى المدينة فكفن راسه ودفن عند قبر امه بقبة الحسن
وقيل اعيد الى جثته بكربلا بعد اربعين يوما من قتله ثم
سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل
الذين ارسلهم ابن زياد بالراس اول منزل جعلوا يشربون
بالراس فخرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديد فكتبت
سطرا بدم اترجوا امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب
فهربوا وتركوا الراس ثم عادوا واخذوه واخذه عنهم وقدم
به على يزيد ومما ظهر يوم قتله من الايات ان السما امطرت

دمًا وان اوانيهم ملئت دمًا وان السما اشتد سوادها لانكساف
الشمس حينئذ حتى رويت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس
ان القيامة قد قامت وان الكواكب قد ضربت بعضها
بعضا وانه لم يرفع حجر الا روي تحته دم عبيط وان الورس انقلب
رمادًا واذا الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيه الحمرة وقيل
احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرا ترى بعد ذلك وعن
ابن سيرين اخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين
وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضبنا يوثر حمرة الوجه
والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تاثير غضبه على من قتل الحسين
بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وكما اظهر الله تعالى عظيم الجناية
على الحسين بذلك الامر الباهر اظهره على ولد الحسين زيد
صاحب المشهور رضي الله تعالى عنه فان بني امية استخفوا
به وقتلوه وحرقوه فانتقم الحق تعالى ممن فعل به حتى تسلط
عليه من فعل به مثل ما فعل بزيد واقبح بكثير كما هو مبسوط في
قصته مع هشام المشهورة وفيهما من الكرامات الباهرة
لاهل البيت ما اوجب ذكر حاصلها ليطلع من يحبهم فيزداد
محبة لهم او المبغض فيتوب ويرجع الى الله تعالى اعلم اني ذكرت
في كتابي أسنى المطالب في صلة الاقارب ما لفظه تنبيه
آخر يويد في الذي ذكرته قبل هذا ما وقع لهشام بن عبد الملك
حيث قطع رحم زيد بن علي فقتله قومه الذين اسلمهم اليه وحرقوه
بالنار فسلط الله عليه من اخرجه من قبره واحرقه بالنار
جزاءً وفاقًا وشرح ذلك ان زيد بن علي بن زين العابدين بن
ابن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم اجمعين كان يدخل على هشام

قوله عبيط قال في الصحاح
ودم عبيط طري خالص
لا خلط فيه انتهى منه في حرف
الحاء المهملة مع البا

٢



ابن عبد الملك بن مروان من فجار بني امية وظلمتهم فكان يقع
بينهم محاورات فيفحمه زيد حتى تخجله بين يدي جنده وفي عز
مملكته ومن ذلك انه قال انت زيد المؤمل للخلافة وما انت
وذاك وانت ابن امة فقال له زيد ان الامة لو لا قصرت بولدها
عن بلوغ الغاية لما بعث الله تعالى نبيا هو ابن امة وجعله ابا
العرب وابا خير النبيين وهو اسمعيل بن ابراهيم صلى الله
عليه وسلم فكانت امة مع ام اسحاق كامي مع امك وما تقصر بك
برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده علي بن ابي
طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه الستم زعمتم ان اهل
هذا البيت قد انقرضوا الا لعمر الله ما انقرض قوم هذا خلفهم
ودخل عليه مرة اخرى فرأى عنده يهوديا يسب النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل كان يسب الله فانتهره زيد وقال يا كافر اما والله
لئن تمكنت منك لاختطفن روحك فقال هشام مه يا زيد
لا توذ جليسنا فخرج قائلا من استشعر حب البقا استشعر
الذل الى الفنا وهاج حينئذ على الخروج على هشام فاطاعه من
اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه جماعة
من الايمة قيل منهم ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه وامده بمال
عظيم فخرج اوايل المحرم سنة اثنين وعشرين ومائة وخرج
معه من القرا والفقها واهل البصاير خمسة الاف في زي
لم تر الناس مثلهم ثم خذله الذين بايعوه وتاخروا عنه فقال
اين الناس فقيل له احتبسوا في المسجد فقال لا يسعهم عند الله
تعالى خذلانهم لنا فعاد اليهم وامرهم بالخروج فابوا فقال
يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز والى خير الدنيا والاخرة فابوا

فاقبلت جنود هشام فحمل عليهم زيد رضي الله تعالى عنه فقتل
منهم مقتلة عظيمة فلم يجع ذلك فيهم شيئا ودخلوا الكوفة
فتفرقوا اصحابه عنه فلم يبق الا نفر يسير فلبث يحاربهم يوم الاربعا
والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فاصيب
اخر يوم الجمعة بنشابة في جنبه فجيء له بطبيب فنزعها فمات
من وقته ودفن في قناة واجرى عليه الماء حتى لا يعرفوا قبره
ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت
على عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من كراماته الباهرة
ثم انزلوه وحرقوه حتى صار رمادا فذروه في الهوى فلما
كان زمن السفاح اول خلفا بني العباس وهو عبد الله بن
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم امر
بامراة هشام المذكور فشدخ راسها بالعمد وامر بقطع ثديها
وقتلها قصاصا في ام ولد او زوجة كانت لزيد رضي الله تعالى
عنه قتلوها ثم امر بهشام فنبش من قبره فوجد بحاله
لانه كان طلي بالصبر لئلا يتغير فاقاموه وجلدوه حتى تناثر
لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد رضي الله تعالى
عنه جزاء وفاقا فتامل نصر الله تعالى حتى على يد الاعداء
فان غالب بني العباس كانوا يكرهون ذرية الحسين لانهم
ينازعونهم في الملك ويخرجون عليهم كثيرا ومع ذلك اظهر
الله الانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بني زيد وبني عمه
انتهى لينتر ينبنبي ككل مسلم كامل الايمان الطف اي يذكر
ما وقع فيه ومن انه ارض بالعراق وانه يسمى كربلا او قريب
منها وقبره به معروف يزار ويتبرك به مصيبتهما اي مجموعها

وعلى حد



على حد يخرج منهما اللولوء والمرجان اذ منهما انما يخرجان من
الملح فقط اي مصاب الحسين لانه قتله به واما قتل الحسن
فمن انه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما علم به
نفر من الناس ولا كربلاء بل كل منهما يذكرني بذلك المصاب أي قليل
المصاب حتى اني اتصور في كل ارض الهامي فظاهره انه مغاير
للطف وقرانه قول وكان الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن سعد
عن الشعبي ان عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلا عند سيره
الى صفين وقف وسال عنها فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض
من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبكي القصة الاتية قريبا في شرح قوله فابكهم ما
رعى فيهما ذماملك بالمعجمة اي حرمتك ايها النبي الكريم
مع انه يجب على كل احد رعايتهما والوفاء بها ولا يحصل ذلك
الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق والحرمة والجلالة
ومن بغض شانيهما واعتقاد انه على غاية من الحماقة والضلالة
والجراة والتهور مرؤوس اي تابع كجعدة الكندية في الحسن
وابن زياد واتباعه في الحسين رضي الله تعالى عنهما والحالة
انه قد خان عهدك الرؤساء اي المتبوعين من الظلمة الطغاة
المتمردين كيزيد فيهما المتسببة في قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة
العظمى وباء بخزي الدنيا والاخرة وقول بعضهم لا ملام على
قتلة الحسين لانهم انما قتلوه بسيف جده الامر بسله
على البغاة وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته
عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون
على البيعة كما هو معروف وغاية امر يزيد انه جابر فاسق

منقلب وحرمة الخروج على الجائر التي حكى عليها الاجماع محلها
بعد استقرار الامور وانقضاء تلك الاعصار واما تلك
الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت خبطة راي
غيرهم وكذلك خرج على يزيد ايضا ابن الزبير ولم يبايـــ
بيعته ولا اعتد بها كجماعة اخرين امتنعوا منها وهربوا
ومن انفا مما له تعلق بذلك مع زيادة وروى ابن السكن
انه صلى الله عليه وسلم قال وقد اشار الى الحسين ان ابني هذا
يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره وبه يرد قول
البعض المذكور ومما يرده ايضا ما ترتب على قتل الحسين
مما من تقعضه وبين رعى وخان والمرموس والروس حناس الطباق
**ابدلوا** اي هولا المذكورون **الود** بتثليث الواو اي المودة
التي حرضهم الله تعالى عليها في الاية الاتية ببغضهم
وقتالهم والحاق الايذا لهم بكل طريق امكن حتى ان القرطبي
سبا منهم فابيعت الشريفة في عسكره باربعة دراهم والشريف
بدرهمين لكثرة من سباه منهم **و**ابدلوا ايضا **الحفيظة**
اي الحمية **في** نصر **القربى** ومحبتهم اي قرابة النبي صلى الله
عليه وسلم وهم اهل البيت النبوي يعني تركوا هذين واخذوا
ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم
يمتثلوا قول الله تعالى في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل
لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى الاية وقد اختلف
المفسرون في القربى والذي جا عن الحسن بن علي كرم الله وجهه
مما اسند حسن انهم اهل البيت فانه خطب الناس
خطبة بليغة فيها ان الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم

ابدلوا الود والحفيظة في القربى وامرضنا لما فعلنا

ثم

الرابع والعشرون

١٢٣

ثم قال انا ابن البشير انا ابن النذير قال وانا من اهل البيت
الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد في رواية
على كل مسلم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة
نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات مودتنا اهل البيت
وجا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند فيه شيعي غال
لكنه صدوق لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين
وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروي
عن واحد نحو ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه واخرج الطبراني
عن زين العابدين انه لما جي به اسيرا عقب قتل ابيه الحسين
رضي الله تعالى عنهم واقيم على درج مسجد دمشق قال بعض
جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع
قرن الفتنة فقال له اما قرات قل لا اسالكم عليه اجرا الا في
القربى قال وانتم هم قال نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن
عباس وابن اتباعه من حملها على غير ذلك كما في البخاري وغيره عنه
ان المراد لا تودوني يا معشر قريش لقرابتي فيكم وفي رواية
عنه انهم لما ابوا ان يبايعوه انزل الله عليه ذلك فقال صلى
الله عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي
ولا تؤذوني ويؤيد ان السورة مكية وفي رواية نزولها
بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها مرتين كما قيل به في الفاتحة
ووجه عدم المنافاة انه من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص
بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت
وعمم في كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين

صحيح من غير منافاة ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير
وهو اجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفي
روايته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الا ان تودوا الله
ولا منافاة ايضا لان من جملة مودته تعالى مودة رسوله
واهل بيته وادعا نسخ الاية قول مردود لا يليق الله
فلا يجوز اعتقاده كما قاله البغوي وغيره وقد صح خلافا لما
وهم فيه ابن الجوزي حديث احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ٣
واحبوني لحب الله عز وجل واحبوا اهل البيت لحبي وصح
ايضا ما بال قوم يتحدثون فاذا راوا الرجل من اهل
بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحبهم لله تعالى ولقرابتهم مني وفي خبر احمد انه صلى الله
عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد اذيتني ثم قال
من اذى عليا فقد اذاني وروى احمد والترمذي حديث من
احبني واحب حسنا وحسينا واباهما وامهما كان معي في الجنة
زاد ابو داوود متبعا السنن وبها يعلم بطلان قول الرافضة
تنفع محبتهم مع مخالفة السنة **وابدت** اي اظهرت **ضبابها**
عايد لها علا ابدت واراد بالضباب اليرابيع لان النافقاء
لا تكون الا لها **النافقاء** هي احدى جحرة اليربوع يكتمها
ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز
بينه وبين الفضا قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة
الاخرى المسماة بالقاصعا ضرب النافقا براسه وانشق
وخرج هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا
ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح وفي النظم

تشبيه



تشبيه المكرة بالحسين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع
في مكرها المذكور فهو استعارة تصريحية وفي ذكر النافقاء
استعارة ترشيحية او تشبيه ما عندا ولئك من النفاق بالنافقا
بالجامع الاتي فهي حينئذ استعارة مصرحة رشحت بذكر الضباب
او تشبيه النافقا بما عند اولئك من النفاق الذي
حملهم على ان فعلوا بال البيت ما فعلوا فتشبيه النافقا
بنفاق اولئك القوم استعارة بالكناية والجامع ان
النافقا يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذلك
نفاق اولئك اظهرهم حتى هربوا من الدين وفعلوا ما فعلوا
واثبات اليربوع استعارة تخييلية ويصح ان يكون استعارة
بالكناية ايضا لتشبيه الضباب باولئك في المكر واضافتهم
للضمير النافقا تخييلية **وقست** اي غلظت واشتدت
**منهم** اي المكرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله **قلوب**
فوصل اليهما والى ذريتهما منهم غاية الايذا والاستهتار
بحقهم الواجب رعايته عليهم وان لم تكن لهم تلك القلو
فقط لان الله تعالى اراد لها الشقاوة والعذاب الاليم
**على من** اي اولئك الايمة الذين هم بدور الدنيا ومن ثم
قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في الذين قتلوا مع
الحسين من اهله ليس لهم شبيه على وجه الارض **بكت**
**الارض فقدهم والسما** وهذا اقتباس من مفهوم قوله
تعالى فما بكت عليهم السما والارض اذ مفهومه ان المومن
تبكي عليه السماء والارض بمعنى انهما يتاسفان على ما
فاتهما من اعماله وثوابها اما الارض فلحال سجود المومن

وعباداته واما السما فهي اي مصلعة صعود اعماله واذا كان هذا
في مطلق المومنين كما علم من الاية فما بالك بال البيت النبوي والسر
العلوي ويصح ان يكون المراد ببكائهما بكاء اهلهما وهو واضح
لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن ورد
به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الا بدليل **فابكيهم** ايها السامع
للخطاب **ما استطعت** اي مدة دوام استطاعتك ناسيا
بنبيك صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم بعلي كرم الله وجهه
روى ابن سعد عن الشعبي قال مر علي كرم الله وجهه بكربلا
عند مسيره الى الصفين فوقف وسال عن اسم هذه الارض
فقيل له كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت
له ما يبكيك قال كان عندي جبريل انفا واخبرني ان ولدي
الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلا ثم
قبض جبريل قبضة من تراب تلك الارض شمني اياها فلم املك
عيني ان فاضتا واخرج الترمذي ان ام سلمة رات النبي
صلى الله عليه وسلم باكيا وبراسه ولحيته التراب فسالته
فقال قتل الحسين انفا وكذلك راه ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم
يلتقطه فساله فقال دم الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه
منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فان قلت
الامر بالبكا منا فيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين
باكية ومن ثم قال ائمتنا يكره البكا بعد الموت قلت
ليس المراد بالبكا المامور به هنا حقيقته بل لازمه





من التاسف والحزن على ما حصل للدين واهله من استباحة
حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه واهله
ومن غاية الاستهتار بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال
انوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكما لاتها
بفقدهم وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل
احد ان يحزن على ذلك ويتاسف عليه وان يامر به غيره ويدعو
اليه فان قلت كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن البكاء وبكى كما في الحديث المذكور قلت النهي انما
هو البكا بعد الموت لوقوع الياس به فوجود البكا حينئذ
ربما دل على نوع تبرم بالقضا والواقع هنا البكا منه
صلى الله عليه وسلم قبله وهو محض رحمة حينئذ ولهذا
يتبين عدم الاحتياج للجواب بل عدم صحته بان
النهي عنه البكا الاختياري والذي وقع منه صلى الله عليه
وسلم اضطراري او بيان للجواز واطلق منه البكا على مجرد
دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما فعله صلى الله عليه
وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا اي وقد نهيت
عن البكاء فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما فبين
ان مجرد دمع العين لا محذور فيه ولا كراهة فتامله ثم تمم
ما امر به من البكا بما يصلح ان يكون دليلا وحاملا عليه فقال
**ان جرا قليلا** اي قليل **في** مقابلة **عظيم من المصاب** لا سيما
مصاب الامة بالحسين واهل بيتهما رضي الله تعالى عنهم
اجمعين وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق ورد العجز
على الصدر **البكاء** وهو الصوت الذي يكون مع الدمع واما

المقصود وهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم
باشاعة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على اعدائهم
وغير ذلك **كل يوم وكل ارض لكربي** اي لاجل ما حصل لي من الكرب
وهو الغم الذي ياخذ النفس بحيث تخشى موتها **منهم** اي بسبب
ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر
والسب والايذا **كربلا** راجع لكل ارض **وعاشوراء** راجع
لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اي زاد في ذلك الكرب حتى ان
كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التي فيها الحسين
وكل يوم اصبح علي تصورت انه يوم عاشوراء الذي
قتل فيه فكربي عم جميع ما انا فيه من الازمنة والامكنة
فلا يفارقني بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لآخر
وبين كربي وكربلا جناس شبه الاشتقاق كما هو او جناس الاشتقاق
في تاوي واوت وقوضت وتقوضيني وطبتم وطاب وسدتم
وسودته ووزرا والوزراء والقاسم واقتسامي وابكتهم
والبكا با **ال بيت النبي** وهم مومنوا بني هاشم والمطلب
وهم المذكورون في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واكثر المفسرين انها
نزلت في علي وفاطمة والحسنين رضي الله تعالى عنهم اجمعين
وقيل نزلت في نسايه صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس
وكان مولاه عكرمة ينادي به في السوق ويرده تذكير
ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما ورجحه جمع
بانهن سبب في النزول فيدخلن قطعا ويدل له ما صح
عن ام سلمة قلت يا رسول الله انا من اهل البيت

قال

قال بلى ان شاء الله ولدخول ال البيت خبر مسلم انه ادخل
اولئك الاربعة تحت كساء وقرا الاية وصح انه صلى الله عليه
وسلم جعل هولاء تحت كساء وقال اللهم هولاء اهل بيتي
وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي حديث
حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة
ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فقالت اسكفة الباب
وحوايط البيت امين ثلاثا فعلم ان المراد باهل البيت في
الاية اهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم وهن امهات
المومنين واهل بيت نسبه وهم مومنوا بني هاشم
وبني المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم والمشهور ان
هولاء هم اهل المذكورون في قوله اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد وقيل المراد باله هنا كل مومن واختير وخبر ال كل
مومن تقي ضعيف بالمرة وال البيت الذين حرمت عليهم
الصدقة هم المرادون في جميع ما جا في فضل اهل البيت
او الال او ذوي القربى واولئك الاربعة هم المرادون
في اية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم
فيها **اذ فؤادي** اي قلبي **ليس** فعل جامد معناه نفي مضمون
الجملة في الحال ونفي غيره بالقرينة وقيل هي لنفي الحال
وغيره ووافقه ابن الحاجب بقوله تعالى الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفي العام المستغرق
المراد به الجنس كلا النافية وهو مما يغفل عنه وخرج عليه
ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى ويصح ارادة هذا المعنى

الاجر في النظم بسليه عنكم التاساء بفوقية اوله اي ما حصل
لهم من الشدايد والمحن وفي القاموس تاساه اذاه واستخف
به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزلزلها محنة ولا تقفها
شاغ وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يومن عبدي حتى
يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي انا حرب لمن حاربهم وسلم
لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتي فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله تعالى وفي الحديث ايضا انا
تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله تعالى
وعترتي فتامل كونه صلى الله عليه وسلم قرنهم بالقران
في ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال واشار
الى ان ما عندي ملازم له لا يفارقه بسلو ولا نسيان ولا
غيرهما من الوقا بحقهما والتحزن والتحسر لمصابهما
انما هو مع تفويضه الامور الى باريها كما قال غير اي
الا اني فهو استثنا منقطع فوضت امري في ذلك كله
الى الله الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسال عما
يفعل وهم يسالون وتفويضي الامور الى من هو مقدرها
ومدبرها برا اي مبرا للمفوض حيث لم يكن له اعتماد
على شيء من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا
عن كامل ومرشد قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة
الا بالله براة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفي فوضت
وتفويضي جناس الاشتقاق وجملة وتفويضي الخ حال
رب للتقليل يوم بكربلا امسي باعتبار ما وقع فيه من قتل
الحسين ومن معه بها خففت بعض وزره اي ثقل ذلك

الخطب الجسيم والمصاب العظيم عن النفوس التي عندها غيرة
لال البيت النبوي الزوراء فيهما مع زورة شبه الاشتقاق
وهي ناحية ببغداد اي ما وقع فيها من خلفا بني العباس
الذين هم من جملة ال البيت من اخذهم ببعض ثار ابن عمهم
الحسين وغيره من ال البيت بالخروج على بني امية لانهم
عاثوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين في
في ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين
بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية
والكرامات الباهرة والمعالي الفاخرة ثم نزع الخلافة
منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم شر قتلة كما
قال والاعادي الذين هم اولئك الفسقة الفجرة كان
كل طريح اي مطروح منهم الى الارض ببوارق السيوف ولوامع
الاسنة الموجبة لتوالي الحتوف[3] الزق المنتفخ الملقى
على الارض الذي حل عنه الوكاء وهو ما يشد به راس الزق
ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن اخرهم فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه
القصة مبسوطة في التواريخ كتاريخ الخلفا للسيوطي
مختصر في اختصار لي له فعليك بطلبها من محلها ان شيت
يا ال فهو منادي واصله اهل ابدلت الهاء همزة ساكنة
وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة
ولا يضاف ال الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل ال فرعون
لانه كان متصورا بصورة الاشراف بيت النبي ومن انقا
بيانهم طبتم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا وصفاتا

والاعادي كان كل طريح منهم لدى الزق حل عنه الوكاء

۳ الحتف الهلاك

وظاهر النظم ان المراد بالطيب في وبركانتين طيبتها منك
غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه في الموضعين للطيب
ظاهرا او باطنا وان الطيب ثم لها وهنا للباقين وهو الوجه
لان ذاك في خصوصهما وهذا في عموم اهل البيت كما دلت عليه
الآية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اذ هي منبع فضايلهم لاشتمالها على غرر
من مآثرهم والاعتنا بشانهم حيث ابتديت بانما المفيدة
لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم او الشك
فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من ساير الاخلاق والاحوال
المذمومة وفي احاديث تحريمهم على النار وهو فايدة ذلك
التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة
الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة
لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا
عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء
في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الاية بتطهيرا المبالغة
في وصولهم لاعلاه وفي درج التجوز عنه ثم تنوينه تنوين
التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس
ما يتعارف ويولف ثم اكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله
وقد جعل على علي وفاطمة والحسنين كساء وقرا الاية
اللهم هولا اهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وفي رواية اللهم ان هولا ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك
على ال محمد انك حميد مجيد وفي اخرى اللهم اهلي اذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل

اهل

اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث
خيركم خيركم لاهلي من بعدي وحديث سالت ربي الا اتزوج
الى احد من امتي ولا يتزوج الي احد من امتي الا كان معي في الجنة
فاعطاني ذلك وحديث واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي
لحبي انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة
وابنيهما وحديث ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا
ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم اعترتي خلقوا من طينتي
ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه
الله وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت
احد الا اكبه الله في النار فطاب المدح لي فيكم وان لم استوف
واجب حقكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنيا
عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة
بشي من نهايته وطاب الرثاء وهو تعداد محاسن موتاكم وفي
طيبهم وطاب الاشتقاق والمدح والمدح والرثاء الطباق انا
حسان مدحكم اي انا المشبه في الاعتنا بمدحكم على اقصى ما يمكن
من وجوه البلاغة والفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ينصب له منبرا في مسجد
ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويدعو له بقوله اللهم ايده بروح القدس ومن بلاغته
انه لما ان اراد ان يهجو قريشا اخبره النبي صلى الله عليه وسلم
بانه ما من بطن من بطون قريش الا وله اليهما قرابة فقال
لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين وراه عمر رضي الله
تعالى عنه ينشد اشعارا في مسجد رسول الله صلى الله عليه

وسلم فنظر اليه شزرا فقال كنت انشد فيه بين يدي من هو
خير منك وهو يقول اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد
ببعض الصحابة على ذلك فشهد واله به فاذا نحت اي رفعت صوتي
بالبكاء عليكم فانتي الخنساء بنت عمرو بن الشريد من سراة
قبائل منهم قيس بن غيلان قيل قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم الموالين له صلى الله
عليه وسلم ولذا حضر معهم منهم في فتح مكة وحرب حنين
الف رجل ونظرت عايشة رضي الله تعالى عنها ثوب الحزن
فاخبرتها بانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت
بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر
فسالت اخاها فقاسمها ماله فافتقر ثانيا فقاسمها
ماله ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك فعاتبته زوجته
فاجابها بانها كفته عارها ولو هلك مزقت خمارها
ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا
الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه قيل
بما فضلتك قال بقولها ان الزمان وما تفنى عجائبه
ابقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا بالحالمين فهم هام وارماس
ان الجديدان في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
واجمع علماء الشعر انه لم تكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر
منها اي فانها مشتهرة في نوحها على اخيها ورثائها له
بالمعاني البديعة والمباني البليغة ومحاسن الثنا وجوامع
الرثا ومنه الا يا صخر ان ابكيت عيني لقد اضحكتني دهرا طويلا

الى ان قالت اذا قبح البكا على قتيل رايت بكاك الحسن الجميلا
ومنه ايضا يؤرقني التذكر حين امسي ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر واي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان خلس
ثم قالت وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي
ومنه اعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندا الا تبكيان
الجري الجميل الا تبكيان الفتى السيدا طويل النجاد رفيع
العماد وساد عشيرته امردا ومنه وان صخرا لتاتم الهداة
به كانه علم في راسه نار وسال الخليفة المهدي المفضل
عن افخر بيت قالته العرب فذكر له هذا فاعطاه اثني الف
درهم بعد ان شكى ان عليه دينا عشرة الاف درهم وراها عمر
رضي الله تعالى عنه تطوف باكية لاطمة لخدها معلقة نعل
صخر في خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرزا احد
مثله فقال ان في الناس من هو اعظم رزية منك وان الاسلام
قد غطى ما كان قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف
راسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها
اربعة رجال فحرضتهم على الثبات ابلغ تحريض ثم قالت
فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارها على
اوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم
والكرامة في دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا كلهم
فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم
في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يعطيها ارزاقهم
لكل مايتان حتى قبض رضي الله تعالى عنه وعنهم سيدتهم الناس
اما الخنساء وذريتها فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن

بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شي واما بقية
ال البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم ما عدا الصحابة هذا
كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة بالتقى فهو
خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لانه جاء عن كثير منهم
من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجي
عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على الناظم ان السيادة من
حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه
الجواب تميزهم عن اكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى
كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد
في غيركم ومن ثم ان جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع
ذلك كله ففي النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس
بالنسب اشهر من ان يذكر ودليل الاول اعني السيادة من حيث
النسب الذي هو اشرف الانساب اية المباهلة قال بعض
محققي المفسرين فيها لا دليل اقوى من هذا على فضل فاطمة
رضي الله تعالى عنها وعلي وابنيهما اي لانها لما نزلت دعاهم
صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسن واخذ بيدي الحسين
ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفهما فعلم انهم المراد من الاية
وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه وينسبون اليه
نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والاخرة ويدل لذلك
ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون
ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم
القيامة بلى والله ان رحمي موصولة في الدنيا والاخرة
الحديث واخرج الطبراني في حديث ان الله عز وجل جعل

لعله بزيادة التقى التي

ذرية



ذرية كل نبي في صلبه وان الله جعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب
وروى غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان يوم
القيامة دعي الناس باسماء امهاتهم سترا من الله عليهم
الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم وذكر
ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية مردود بان كثرة طرقه
ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح عن عمر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب
ينقطع يوم القيامة ما عدا سببي ونسبي وفي رواية الصهر
والحسب وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة
فاني انا ابوهم وعصبتهم وجا في حديث اخر بسند رجاله
من اكابر اهل البيت ان عمر قال ذلك لما زوجه علي بنته من
فاطمة ام كلثوم وانكار جماعة من متاخري اهل البيت
ان عليا لم يزوجها لعمر ليس في محله واقرار الصحابة لهم
على الاستدلال صريح في رد ما عارضه من اقاويل شاذة
في هذه المسئلة لا سيما ما لبعض بني امية في ذلك ودليل
الثاني اعني النظر الى السيادة بالتقوى ما صح انه لما نزل
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه
وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا اغني عنكم
من الله شيئا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها اي ساصلها
بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن
الله يملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة
واخرج الطبراني حديث ان اهل بيتي هولا يرون انهم
اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون من

لعله امتي

من كانوا حيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي في اهل بيتي
من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ ان لا يعذبهم واخرج
احمد حديث والذي بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة
ما بدات الا بكم وكما في احاديث ضعيفة ان فاطمة احصنت
فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفي رواية ان عليا
قال يا رسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله فطمها
وذريتها عن النار نعم اخرج الطبراني بسند رجاله ثقاة
ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد با عباس
ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغي لاحد
من اهل البيت ان يغتر بذلك لانه استفيد من قوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث ان اهل بيتي هولاء يرون انهم
اولى الناس بي وليس كذلك لان اوليائي منكم المتقون الى اخره
وحديث البخاري ومسلم ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء
انما وليي الله وصالح المومنين لان نفع رحمه وقرابته وشفاعته
للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفي عنهم بسبب
عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسبة
اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه
وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه
وسلم عن بعض من يقول منهم في القيامة يا محمد بريد ان يشفع
له فيقول صلى الله عليه وسلم لا املك لك من الله شيئا كما
في الحديث وتامل قول الحسن بن الحسن السبط رضي الله تعالى
عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله فان اطعنا
الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان



الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل
بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا كابي طالب والله اني
اخاف ان يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وان يوتى
المحسن منا اجره مرتين وكانه اخذ ذلك من قوله تعالى يا نساء
النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب
ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين بن علي عن ابيه عن جده
انما شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم ان الفرقة
المسماة بالشيعة ليسوا من شيعة ال البيت وانما هم من
شيعة ابليس لعنه الله كما في الحديث الذي رواه الدار
قطني وقال ان له عنده طرقا كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك
في الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك يجعرون الاسلام
ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز
يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون
وفي رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم قال
لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف وسواكم
الذين يدعون سيادة ويتقدمون عليكم كسفهاء بني امية
او المراد وسواكم اي غير الذين يعلون بعلمكم لا سيادة لهم
في الدين اصلا بل ولا في الدنيا عند الكمل وانما سودته
عنه الجهلا مثله وافرد الضمير نظرا للفظ سوى البيضاء
اي الفضة البيضا والصفرا اي الذهب اي طمع الناس
في ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما
اكثر من غيرهما وفي سدتم وسودتم الاشتقاق والبيضا
والصفرا التدبيج واقسم عليك باصحابك جمع صاحب

ويومن اجتمع ولو طفلا واعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم
في حياته مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه
المحلي رحمهما الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وابهام
وان وقع في صنيع احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه في مسنده ما
يؤيد ذلك كما بينته في محل اخر الذين هم بعدك فينا الهداة
اي الدالون للامة على الله تعالى بما يجب له ويجوز ويستحيل
عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس
وكمال الاخلاق والجهاد في الله تعالى وغير ذلك مما يليق بكل ما
ذكر وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام اخص
افراده بذلك فقال اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر
والاوصياء اي الذين وصيتهم بالقيام بالدين والمجاهدة
عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا
فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت لمعالمهم الرؤس
وابادوا اهل الزيغ عن اخرهم فلم يبق منهم ديار ولا مرود
وانما حملت الاوصياء على من ذكر ردا على من زعم انه صلى الله
عليه وسلم وصى بالخلافة لابي بكر او علي ووجه الرد ان الذي
دلت عليه صرايح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به انه صلى
الله عليه وسلم لم يوص في الخلافة بشي صريح والا لهلكت
الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة
وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته ان لا ينص عليها
صريحا وانما اشار صلى الله عليه وسلم لها لابي بكر باشارات تقرب
من التصريح كما بينتها في الكتاب السابق ذكره ولعل تلك المصلحة

التي



التي ذكرناها في عدم التصريح هي التي ظهرت له صلى الله عليه
وسلم لما طلب في مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا
يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد الكتابة ليقع التصريح
وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر خشية من مخالفة النص
المودية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة
والدليل على انه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس
اياما ولم يذكر فلذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة
على احد لم يترك ذكره وانما وقع اعظم مما وقع فسكوته صلى الله
عليه وسلم اوضح دليل على ما تقرر احسنوا بعدك اي بعد
موتك الخلافة عنك في الدين بالقيام بجميع ما يجب او يحسن
مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث اجمعوا على
استخلاف ابي بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف اصحاب
الشورى لعثمان ثم علي مبايعة علي ثم مبايعة ابنه الحسن
ثم بعد نزول الحسن لمعاوية ثم على ولاية معاوية رضي
الله تعالى عنهم اجمعين وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة
الاعداء ولنشر العلوم الى ان تحملها عنهم التابعون ثم من
بعدهم جزاهم الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيرا وكل منهم
لما تولاه في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من
الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور
والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم
انما كانت للدين لا غير ازاء بكسر الهمزة وفتح الزاي ككتاب اي
قيم لما تولاه اهل له في اي بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم
عدول كما نطق به القران ومن وقعت له منهم هفوة فقد كفرت

قوله اللغط قال في المصباح لغط لغطا من باب نفع واللغط بفتحتين اسم منه وهو كلام فيه جلبة واختلاط ولا يتبين واللغط لغة ا ه انتهى

عنه بحق او تورية هم **اغنيا نزاهة** اي من جهة النزاهة والتعفف
عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها لان محط نظرهم انما
هو التجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال
صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اي المال وانما الغنى
غنى النفس اي بالله عما سواه سواء كان بيدها مال ام لا ومن
كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا
لله تعالى يصرفه في مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك
لا للفخر ولا للمباهاة ولا لمحبة جمع ذلك الحطام الفاني ولذلك
كان عبد الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقبة وتصدق هو
وعثمان في غزوة تبوك بما يبهر العقل وكان للزبير الف عبد
تؤدي اليه الخراج وما مات الا وعليه قدر كثير جدا من الديون
وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون الف دينار لا ينافي
ما تقرر انه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله معناه انه
يخرج جميع ما بيده دفعة واحدة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب
منه في كل حال او زمن واما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما
كان يدخل في يده دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لسد ضرورة
اصحابه او لان حاله في الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره
على التاسي فيها فلا يكلف بذلك وتخلف ابن عوف عن الفقراء
في دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع او ليسال سؤال
تكريم عما انعم به عليه او جبرا لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير
قادح في فضله رضي الله تعالى عنه هم **فقراء** اي غالبهم بل كلهم
لان ذوي الغنى منهم كانوا خزانا لله تعالى كما مر فلا يعدون
من الاغنياء الا باعتبار الصورة واما باعتبار الحقيقة فهم

على غاية



الخامس والعشرون

على غاية من الافتقار الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون
لنفوسهم مالا ولا غنى وانما يعدون انفسهم خزنة لا غير فمما
تقرر في معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغنى الشاكر افضل
من الفقير الصابر وهي مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق
منه ما قررته كما علمت ان الغنى هو الذي ختم به امره صلى
الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي
في الكمالات فلولا ان الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر
لما ختم له به صلى الله عليه وسلم فتامله فيه ومحل الخلاف
في الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضى فهو افضل
قطعا انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء
امره مع فقره على غاية من الرضى لم يحصل لهما غيره ومع ذلك
لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر وبفرض صحة هذا القول
فغالب فقراء الصحابة يفضلون اغنياءهم لانهم راضون
بفقرهم قطعا وبين الاغنيا والفقراء التضاد وكذا بين الائمة
والامراء وبين الرخص والاغلا الآتيان هم **علما ائمة** لانهم ورثوا
من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جا بعدهم
وفي الحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا
بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان الحسن البصري رحمه الله
تعالى كان يفتي الصحابة في زمنه وقد قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ بفتح اللام
اوعى من سامع هم **امراء** اي كثيرون منهم تولوا الامارة في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفا الراشدين
فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض المتهورين

سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه لما كان اميرا على الكوفة
بعدم العدل فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى
صار عبرة للناس ومنها ان الله تعالى يطيل عمره ويعرضه
للفتن فكان وقد ذهب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض
للجواري في الاسواق ويقول شيخ سوء اصابته دعوة العبد الصالح
سعد رضي الله تعالى عنه ومما يدل على انهم اغنياء نزاهة
لاعيانهم **زهدوا في الدنيا** بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها
فعلى من الدنو اي القرب لسبقها للاخرى وقيل لدنوها من الزوال
وهي ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض
وتطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فان المراد هنا الاموال
وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلا ولفظها مقصور
بلا تنوين حيث لا ام فيها وحكى تنوينها واستشكل ابن مالك
استعمالها نكرة كما في حديث واجاب بانها تخلعت عن
الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة
رضي الله تعالى عنهم في الزهد فيها وهو اخذ ما يحتاج اليه
من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه هم على قسمين فاكثرهم
ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف
ونشرها بالعبادات حتى لم يبق من اوقاته شيئا الا وهو مشغول
بشيء من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله
تعالى كما مر وهذا لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوا لانفسهم
بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم
واذا تقرر ان زهادتهم بقلوبهم فيها حقيقي **فما عرفت**
**الميل اليها منهم** بنوع التفات ولا اقبال لحقارتها في اعينهم





**ولا الرغبة** اي الزيادة في تحصيلها وهذا علم من نفي الميل بالاولى
فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا
ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال
الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه صلى الله وسلم به لاناس
من الصحابة كابن عوف وانس وغيرهما فكثرت اموالهم جدا لان
المال له جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات وجهة شر
بصرفه في ضد ذلك والاعانة على قيام امور الديانات وبالنظر
اليها يثني عليها وجهة شر بصرفه في ضد ذلك وبالنظر
اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احبني فاقلل ماله
وولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب
ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع ما بين تلك الاحاديث
في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين بما لا يستغنى عن
مراجعته **ارخصوا في الوغى** اي بسبب الحرب الواقع منهم
لاعدائهم في الوقائع المشهورة ومن اطلاق الوغى على الحرب
مجاز لا حقيقة **نفوس ملوك** كثيرين فكيف بغيرهم **حاربوها**
بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم
الله عليهم بقتل بعضهم وازالة ملك اخرين **اسلابها** بفتح
الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليها
من الات السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد
خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك الذي هو جمع الكثرة
واضافة الجمع يفيد عمومه اما في الافراد وهو التحقيق او في
المجموع وعليه كثيرون **اغلاء** بكسر الهمزة اسم مصدر لغلاء

السعد بمعنى اسم الفاعل اي غالية الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه
بفتح الميم وكانه جمع غال ككُدر ودواء وبه يندفع قول الشارح
لا وجه له انتهى بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المفرد بواسطة
على الجمع يحتاج لتاويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع ه
واما قوله على المعنى الاول ان المعنى انه كان القتل رخاصا
للنفوس فالاسلاب اي اخذها اغلا للاسباب وقال قبله على
المعنى الاول ايضا وكانه اي الناظم يقول انهم ارخصوا نفوس
محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما سلبوه
واجتمع عندهم من الاسلاب فقابلين ارخاص الانفس واغلا
الاموال التي هي الاسلاب الماخوذة ممن قتلوه وسلبوه انتهى
ففي كل من المعنيين بعد وخفا والوجه ان المعنى عليه انهم
كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية
الاثمان على حد رجل عدل اي عادل ورجال عدل اي عادلون
فكان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يؤول
الاغلا بالغالية وهذا هو المعنى على فتح الميم فيساوي
المفتوح المكسور **كلهم في احكامه** جمع حكم والحكم الشرعي خطاب
الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضا او التخيير وحكم الحاكم
يظهر ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة
تارة والمنفية اخرى كما في قوله الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا
هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح **ذو اجتهاد** صحيح لتوفر
شروط الاجتهاد كلها في جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف
عن احد منهم انه قلد غيره في مسئلة من المسايل وكان الناس
يستفتون كل من راه منهم فيفتيه باجتهاده ولا يعترض احد

منهم



منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خولف فيذكر لهم فمنهم
من يرجع اليه ومنهم من يؤوله او يعارضه بمثله وهذا رد على
قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل
فاعتقدوا انهم ذوو هوى او نفس وحظ او بغض حاشاهم
الله من ذلك بل لم يختصهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم الا وهم
على اكمل الاوصاف واجلها **و ذو صواب** يعود وثواب ولو عبر
به لكان اولى لان ابقاه على حقيقته انما يتاتى على القول الضعيف
ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد اما
على الاصح ان المصيب واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال
كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فانا مثله فعلى
الاول كل من علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما مصيب وعلى
الثاني علي مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية في خروجه
على علي مخطئ له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل
المقصود ثم ان وافق ما عند الله فصواب والا فخطا فان قلت
يمكن تاويل النظم بان مراده وصواب عند نفسه باعتبار انه
يتحتم عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا في نفس الامر قلت
هو تاويل بعيد على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا
الاطلاق الموهم **وكلهم اكفاء** اي متكافيون في اصل الصحبة
والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالى لا لحظ ولا
لهوى وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك وحينئذ فلا ينافي ذلك
قول ابن عمر ابو بكر اعلمنا ولا سؤال عمر لعلي رضي الله تعالى
عنهما فيجيبه فيقول لا اقدر الله امة لست فيهم يا ابا الحسن
ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر مشيخة المهاجرين والانصار

لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعا النبي صلى الله عليه وسلم
بان الله يفقهه في الدين ويعلمه التاويل ما ليس عندهم ولا سؤال
معاوية لعلي بالارسال اليه في المشكلات فيجيبه ولقد قال
احد بنيه لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا انه احتاج الينا وسالنا
واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ابو بكر ثم عمر ثم علي والاصح عثمان ثم علي ثم بقية
العشرة المبشرون بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة
٢ الرضوان وقبل اهل احد رضي الله عنهم ورضوا عنه
اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال رضي
الله عنهم ورضوا عنه ورضى الله عن العبد تاميمهم من سخطه
واحلاله تعالى دار كرامته ورضى العبد عنه ان لا يختلج
في سره ادنى حرارة من وقوع قضا من اقضيته الحق به بل يجد
لذلك في قلبه برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة
العظمى وزيادة الطمانينة وبين رضي ورضوا اشتقاق كخطوا
وخطا الاثنين في بسبب ما ذكر من اوصافهم وختمها بما
في الاية في ختهم اني استفهام انكاري تعجبي اي كيف خطوا
اليهم اي بجبل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطا وهو
بالمد للوزن لغة في الخطا بالقصر نقيض الصواب يعنى لا
يخطئ احد منهم خطا يأثم به لما امر الهم كلهم عدول مجتهدون
وان المجتهد اذا اخطا له اجر وهذا كالذي قبله ماخوذ من
عدة احاديث ذكرتها في الصواعق السابق ذكره مع ذكر مخرجها
وهنا اذكر منها جملة عرية عن ذلك اتكالا على اسانيدها
ثم منها ان الله اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي منهم

وزرا



وزرا وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا ولا فرضا
ولا نفلا وفي رواية فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا
والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله
عنه يوشك ان ياخذه اذا اراد الله برجل من امتي خيرا
القى حب اصحابي في قلبه اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه ما شانكم وشان اصحابي ذروا
لي اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق
مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل احدهم يوما واحدا
وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا اصحابي
فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ومن لم يحفظني في اصحابي
لم يرد على الحوض ولم يرني خير الناس قرني الذي انا
فيه ثم الذين يلونهم والباقي اراذل اي غالبهم وفي
رواية متفق عليها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم
الحديث وهو اول داخل في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز
وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة رضي
الله تعالى عنهم من بعد قوم وهكذا التابعون الاولون

قوله صرفا قال في المصباح
والصرف التوبة في قوله عليه
الصلاة والسلام لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا والعدل
الفدية انتهى

ثم الذين من بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم
اشار بهذا الى اول صحيح البخاري عن هرقل انه سال ابا
سفيان رضي الله تعالى عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم أيزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه
هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فقال لا فقال له ان
من شان الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجى الصحابة
قوما من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم
واندفع ما قد يقال اي فائدة في هذه الجملة من كلام الناظم
هل هي الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فائدة اذ لا فرق
بين محبيهم اليه دفعة او دفعات وكلهم ملتبسون
بحق فلا يطعن فيهم لطاعن وما تقله الرافضة ونحوهم
عنهم فلم يصح منه شي اصلا وانما هو من فعالة الجاهلين
ووضع المفترين وعلى المنهج اي الطريق الواضح الحنيفي
اي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج جاءوا
كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله
وهم على ذلك ما لموسى كليم الله تعالى ولا لعيسى روح الله
تعالى صلى الله عليهما وسلم حواريون جمع حواري وهو
الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على اصحاب عيسى
عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحورون الثياب
اي يقصرونها او من الحوارى وهو الدقيق الابيض لبياض
الوانهم في فضلهم بشهادة نصرانية كنتم خير امة اخرجت
للناس وحديث خير القرون قرني وفي رواية خير الناس

قرني

قرني وحديث المناجاة ان موسى راى لهذه الامة في اللوح اوصافا
لهم ربه فقال يا رب اجعلني منهم ولا لنقباء في فضلهم
ايضا وهو لف ونشر مشوش اي الحواريون لعيسى والنقبا
لموسى ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خصص العشرة
المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على
ترتيبهم في الافضلية والاحقية بالخلافة واقسم
عليك بابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو عطف
على بالعلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده ابدال
تفصيلية من باصحابك الذي تميز عن ساير الصحابة
رضي الله تعالى عنهم بما كان كالصريح في انه الخليفة
الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم
بل افضل ما عدا الانبيا والمرسلين كما صح به حديث
ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين
والمرسلين افضل من ابي بكر وهو مما صح من طرق كثيرة
بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله
الاشعري فلذا لم يسع احد من المبتدعة انكاره صح
للناس به في حياتك الاقتداء فاعل صح والظروف
متعلقة به فمن تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد
مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس
فقالت عايشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله انه
رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس
فقال مري ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب
يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفي رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت
لحفصة قولي له يامر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال
مروا ابا بكر وفي اخرى ان الحامل لعايشة على ذلك خوفها
تشاؤم الناس لقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي اخرى انه امرهم بالصلاة
وكان ابو بكر غايبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى
الله عليه وسلم بعد ان اخرج راسه مغضبا لا لا يابى الله والمومنون
الا ابا بكر ثلاثا وفي اخرى انه خرج فجر الاثنين يوم موته
كشف سجف حجرته فراهم في صلاة الصبح وابو بكر يصلي بهم
فتبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج
اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا به صلى الله
وسلم اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر فاشار
وتوفي صلى الله عليه وسلم ضحى وفي البيت التلميح بهذه القصة
قال العلماء فيه اوضح دليل على انه افضل الصحابة مطلقا
واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك
لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم
اقرؤهم لكتاب الله تعالى اي اعلمهم بالقران صريح في انه اعلمهم
بالقران مطلقا وقد استدل الصحابة انفسهم بهذا على انه
احق بالخلافة منهم حتى علي قال لقد امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد وما انا بغايب وما بي
مرض فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم
لديننا وما احسن قول من قال صلى بنا ثمانية ايام والوحي ينزل
فسكت الله وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المومنون

ومن



ومن الظواهر او الصرايح على خلافته ايضا ما اخرجه مسلم انه صلى
الله عليه وسلم قال لعايشة في مرض موته ادعي لي ابا بكر واخاك
حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قايل انا اولى
ويابى الله الا ابا بكر وفي رواية اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف
عليه احد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المومنون
في ابي بكر وصح ان قوما سالوا النساء ان يسال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون الزكاة بعده فقال له
فقال الى ابي بكر واخرج الشيخان ان امراة اتته فامرها ان
ترجع اليه فقالت ارايت ان جيت ولم اجدك كانها تقول
بعد الموت فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تجديني فاتي ابا بكر
ومنها ما اخرجه الشيخان من عدة طرق رؤيا انه على بير
لم تطو ينزع منها بدلو فاخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع
بها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابي بكر فاستحالت
في يده غربا اي دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس
الناس بعطن اي حتى رووا قالت العلماء هذه اشارة الى خلافة
ابي بكر رضي الله تعالى عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضي
الله تعالى عنه وكثرة الفتوح وظهور الاسلام في زمنه وبقيت
ادلة اخرى سمعية ايات واحاديث كثيرة تدل على حقية خلافته
وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان في كتابي الصواعق
السابق ذكره والمهدي اي المسكن للفتنة والاضطراب في امر
الخلافة يوم السقيفة التي لبني ساعدة من الانصار حين
اجتمعوا يوم دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة
سيد الخزرج ليولوه لما اي حين رجف الناس اي اضطربوا في امر

والمهدي يوم السقيفة لما
ارجف الناس انه الدادا

الخلافة وبين المهدي اي المسكن وارجف والقرني والاباعد ويقرب
وبعد الطبا فانه تعليل للمهدي ولا ينافيه كسر ان لانها
مع كونها للاستيناف فقد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا
به في ان الحمد والنعمة لك في التلبية الداء اي المسكر للاضطرار
لا غيره وكان مراده الداء المشهور قديما وحديثا بانه يسكن
الفتن ويجلي كربها وفي الصحيحين عن عمر رضي الله تعالى عنه
لانهم لما دفنوا النبي صلى الله عليه وسلم تخلف علي والزبير
ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعهم في سقيفة
بني ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابي بكر فقال له عمر
انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا قام
خطيبهم فخطب واثنى على الله تعالى ثم مدح الانصار واطنب
بحيث لم يترك ابنا وخبرا جا فيهم الا ذكره ثم ذكر ان قوما
يريدون ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد
عمر ان يخطب بما زوره اي جمعه في قلبه فاشار اليه ابو بكر
بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة
لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح الايمة من
قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر واما عبيدة فاخذ بيديهما
وقال بايعوا من شيتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس
وترفع ثم قال منا امير فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر
عمر وقال لابي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعته
المهاجرون ثم الانصار فقال قايل قتلتم سعد بن
عبادة اي لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله اي لان
الاجتماع عنه ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر واجتهاده

وانه

١٩٩

وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يؤدبه بما يراه
ان يقول في حقه ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة ابي
بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر
ولما بايعوه صعد الغد وجلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله
فحمد الله ثم اثنى على ابي بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه
الناس بيعته العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم
ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسات فقوموني
اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله
فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجا فتكلم
عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبايعه فلم ير عليا فدعا به فجا فتكلم عليه فقال لا تثريب
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل
كل منهما حينئذ على احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار
وبتقديمه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة
اجمعوا على خلافة ابي بكر ولم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم
من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الان ثم هلم وهكذا
اكثر الفرق واقسم عليك بابي بكر الفاعل لذلك حال
كونه كرم الله وجهه انقذ بالقاف والذال المعجمة الدين
وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اي نجاه بازالة كل شبهة
عنه واهله بازالة اسباب الفساد بينهم بعدما مصدرية
كان اي وجد للدين متعلق هو وما بعده باسمها وهو اشفا
على كل كربة اي غم ياخذ النفس ويصح كونها ناقصة وللدين
خبرها اشفا اي اشراف وقرب يخشى منه ان لا يجمع

Copyright King Saud University

للاسلام بعده شيئا ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله تعالى
عنه والله لولا ابو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه
وسلم ابدا وايضا كلهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت
عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه
كان غايبا فلما حضر دخل على الوجه الكريم فقبله وقال
طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج
فتلى عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى
الشاكرين فلما سمعوها ردت اليهم عقولهم فتلوها وقالوا
حتى عمر انكر موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال ذهب الى
ربه فسكتوا فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس
فصغوا اليه وتركوا عمر فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
ثم تلى الاية فقالوا كانا لم نسمعها الا حينيذ فكان
هو المثبت لهم حينيذ والالم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا
في محل دفنه اختلافا شديدا كاد ان يفضي الى الفتنة فروى
لهم الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي فيه فرجعوا
اليه وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا
شديدا حتى روى لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبيا
لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا ولهذا علم انه رضي
الله تعالى عنه كان احفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية
عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي
الزكاة ومسيلمة الكذاب وحال كونه انفق المال
الكثير الذي كان يملكه اي صرفه في مصارف الخير حتى نفد

حبيبه

Copyright © King Saud University